

هزيل في جاهليتها وإسلامها

تأليف

الدكتور عبد الجواد الطيّب

دار العربية للكتاب

جميع الحقوق محفوظة الهادى العربيه للكتاب

ليبيا - تونس 1982

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

تقديم

درج المؤرخون والكتّاب حين يكتبون في تاريخ الأمم وحضارتها أن يدوروا في فلك واحد ، فيكرسوا جهدهم جميعاً للكتابة في تاريخها المستقر الذي تحددت معالمه ، واستبانّت حدوده وأبعاده ، فهم يتناولون من تاريخ هذه الأمم ما اتضحت جنباته من شؤون حياتها المادية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والحرية... ويتحدثون عن المشهورين من قادتها وحكامها ، واللامعين من رجال الفكر فيها... أمّا ما اكتنفه الغموض من حياة هذه الشعوب فإنهم يتنكبونه ، ويضربون عنه صفحاً ، لأنه ضارب في القدم ، أو لأن مادة الكتابة فيه ليست من السهولة بمكان .

ومن ثم لم يتناول هؤلاء المؤرخون والمؤلفون حياة القبائل العربية قبل الإسلام بالبحث الشامل ، والمسح الدقيق . فمهما عنيّت نفسك في القراءة والتنقيب فلن تجد من ذلك إلا شذرات منشورة في بطون الكتب والمراجع ليس من شك في أنه لا يمكن الاكتفاء بها في تكوين فكرة عامة شاملة عن هؤلاء العرب في جاهليتهم ، وعن قبائلهم المختلفة التي لا ننكر أنه كان يجمع بينها طابع عام ، وبيئة عامة ، وهذا الطابع العام لا يعدو كونهم بدواً وحضراً ، أو أهل وبر ، وأهل مدر ، وأنهم كانوا يعيشون في شظف من العيش ، ولا سيما أولئك البدو أو الأعراب الذين كانوا يضربون بجرانهم في الصحراء ، وتقوم حياتهم كلها أو جلها على الرعي ، وانتجاع الكلأ والماء ، وأن ظروف الحياة في قسوتها وعنتها كانت تدفع قبائلهم إلى أن يغير بعضها على بعض في سبيل تنازع البقاء... وأنهم كانوا يتصفون بكذا وكذا من

كريم الأخلاق والصفات ، ويوصمون بكيت وكيت من ذميم التقاليد والعادات ...

ولكن هل يكفي هذا الطابع العام الذي نجده في عبارات مقتضبة عند القدماء فيما خلفوا لنا من تراث ، أو أن هناك بيئة خاصة ، وطابعاً خاصاً يميز كل قبيل عربي عن سواه؟ ذلك الطابع الخاص ، والدراسات المفصلة المستوعبة لحياة القبائل العربية شيء لا يجد عناية من أحد ، فقلما وجدنا - حتى بين المحدثين - من كرّس جهده ، أو وجّه عنايته للكتابة في تاريخ القبائل العربية ، وخصّ هذه القبيلة أو تلك ببحث منفرد يوضح خصائصها وسماتها ، ويجلو - في شيء من التفصيل - ما خفي من شؤونها . ويتناول بالحديث من برّزوا من رجالها في جاهلية أو إسلام .

فليت شعري هل أحس أولئك الباحثون أن تاريخ العرب في هذه الحقبة غير جدير بالنظر والبحث وطول الأناة! أو أنهم نكّبوا عنه ، لأن الكتابة فيه ليست بالأمر السهل الهين؟ فلا يمكن أن يطرقوه دون كثير من الكلفة والمشقة والمعاناة!

وسواء صحّ هذا أم ذاك ، فإن من حق البحث في تاريخ أمتنا العربية أن نجلو هذه الحقبة من أحقابها ، وهذه الحلقة الضامرة في سلسلة تاريخها ، فإن المكتبة العربية في أشد الحاجة إلى ما لم يُكتب فيه ، لا إلى ما تضافر الناس على الكتابة فيه .

لهذا أخذت نفسي بالبحث في تاريخ ما أهمله التاريخ أو كاد ، فبدأت أتجه إلى الكتابة في تاريخ القبائل العربية كتابة تتسم بالبحث العلمي - فيما أرجو - ذلك البحث الذي يحاول صاحبه أن يقدم جديداً في هذا التاريخ القديم الذي لا يكاد يضع الإنسان يده فيه على شيء ذي بال إلا بعد أن يطيل النظر ، ويُعمل الفكر ، ويبذل من ذات نفسه الشيء الكثير . فكان أن بدأت في دراسة تاريخ إحدى هذه القبائل العربية في محاولة أرجو أن تليها إن شاء الله محاولات مماثلة أدرس فيها غيرها من قبائل العرب .

والقبيلة التي اخترت أن تكون دراستها في طبيعة هذه المحاولات هي « قبيلة هذيل » إحدى قبائل الحجاز ومن أقربها إلى قریش جواراً ونسباً وصهرأً ، وكان لها دورها في صدر الإسلام صدأً وإعراضاً ، أو قبولاً وتسليماً ، وكان لبعض رجالها في الجاهلية شأن ، ورجالاتها في الإسلام لهم كبير خطر ، وكان لشعرها وشعرائها أثرٌ كبير في اللغة والأدب . فقد كان حظ الهذليين - فيما يبدو - من الشعر والشعراء أكثر من حظ غيرهم من العرب ، فلم يُتاح لقبيلة عربية ما أُتيح لهم من ذلك ، وترجع أهمية هذا الشعر إلى أنه مجموعة كبيرة انتهت إلينا من شعر قبيلة بأسرها ، وإلى أن هذه المجموعة هي المجموعة الوحيدة التي انحدرت إلينا من دواوين القبائل العربية ، ففيها إذن فرصة سانحة تمكن الباحث من دراسة هذه القبيلة دراسة قد لا تيسر له إزاء قبيلة أخرى لم يصلنا من تراثها الأدبي ما وصلنا من تراث هذيل .

وقد حاولت جاهداً أن أفيد من هذا المصدر الأصيل في هذه الدراسة ، وإلى جانبه كثير من المراجع الأخرى التي أسهمت في التعرف على أصل هذيل ، ومواطنها ، وبطونها ، وفصائلها ، ومواقع جيرانها من القبائل الأخرى مثل فهم وعُدوان وكنانة ، وغيرها من القبائل التي لها بالهذليين اتصال في السلم أو في الحرب ؛ ولهذا كان من بين مجموعة المراجع التي عنيت بها كتب الجغرافيا والبلدان مثل معجم ما استعجم للبكري ، ومعجم البلدان لياقوت ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ، وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزحشري ، والرحلة الحجازية للبنانوي ، وقلب الجزيرة العربية لفؤاد حمزة .

ثم نظرت في كتب الأنساب ، وما يتصل بها مثل « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » للقلقشندي ، ونسب عدنان وقحطان للمبرد ، ومعجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي ، وجهرة أنساب العرب نشر وتحقيق إليفي بروفنسال .

وقد عنيت بالبحث في كتب التاريخ مثل اليعقوبي ، ومروج الذهب للمسعودي ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ، والكامل لابن الأثير . وفي كتب السيرة كسيرة ابن هشام ، والروض الأنف للسهيلى . وفي كتب الطبقات والتراجم مثل طبقات ابن سعد وطبقات الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وإنباه الرواة للقفطي ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، وبغية الوعاة للسيوطي ، وطبقات القراء لابن الجزري ، وأسد الغابة لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر ، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي ، والفهرست لابن النديم ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبل ، ومعجم الأدباء لياقوت . . .

هذا ، وقد تتبعته هذليين في المواطن الجديدة التي رحل إليها الكثيرون منهم في ظل الإسلام كمكة والمدينة ، ثم العراق والمغرب ومصر ؛ ولهذا أضفت إلى المراجع التاريخية السابقة بعض المراجع التي تحدثت عن الفتح الإسلامي لمصر ، وعن القبائل العربية ، ومواطن إقامتها بها مثل فتوح مصر لابن عبدالحكم ، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والفاخرة للسيوطي ، والخطط للمقريزي ، والخطط التوفيقية ، والبيان والإعراب عن حلّ بأرض مصر من الأعراب للمفريزي .

ولم أكتفِ بعد هذا بجمع ما جمعت ، ولم آخذه قضية مسلماً بها ؛ وإنما وضعته قيد البحث والدراسة ؛ ليشتمل الطيب والخبيث ، ويتضح الصحيح من الزيف على أسس علمية بذلت فيها شيئاً من الجهد .

وقد تضمن موضوع هذا البحث - بعد هذه المقدمة - أربعة فصول :

الفصل الأول :

وفد تناولت فيه أصل هذيل ونسبها وبطونها ، وما تناثر في هذه البطون من مشاهير الهذليين في الجاهلية والإسلام .

وأتبعته هذا الفصل بجدول شجري يوضح أهم البطون المشهورة في هذيل .

الفصل الثاني :

تناولت فيه منازل هذيل ومواطنها ، وقد عرضت ذلك في مبحثين :
أولهما : منازل هذيل في الجاهلية .
ثانيهما : مواطن هذيل في الاسلام .

الفصل الثالث :

حياة الهذليين ، وقد عرضت ذلك في مبحثين :
أولهما : حياة هذيل في الجاهلية .
ثانيهما : وضعهم في الإسلام .

الفصل الرابع :

- (١) أدب الهذليين من شعر ونثر .
- (٢) حول اللهجة الهذلية .

الفصل الأول

أصل هذيل ، ونسبها ، وبطونها

أصلها ونسبها :

البحث في أصل هذه القبيلة ونسبها هو أول ما يتجه إليه الباحث في مثل هذا البحث . والباحث في أصل هذيل ينبغي أن يتجه أول ما يتجه إلى معرفة ما تنتمي إليه من قحطانية أو عدنانية ، فلكل من هذين الأصلين الكبيرين طابعه ، ولهجته التي كان يلهج بها أبناؤه ، لا سيما في العصر الجاهلي ، قبل أن تتغلب العربية الشمالية على لهجات حير في جنوب الجزيرة العربية .

وإذا كان قد اختلف بعض النسابين في نسب القبائل اليمنية التي نزحت إلى الشمال بعد انهيار سد مأرب ، فاعتبرها بعضهم شمالية لاعتبارات رأوها ، كما اختلفوا من جهة أخرى في نسب تلك القبائل التي كانت تعيش في خصب ودعة مثل حير ، وكهلان ، ولخم ، وجذام ، وغسان ، وطيء ، وقضاعة ، وإياد^(١) - فإنه - مع هذا - لم يحدث خلاف ذو بال في نسب القبائل العدنانية التي استقرت في وسط الجزيرة ، لا سيما ما كان منها موغلاً في البداوة كالهذليين وغيرهم من القبائل البدوية التي كانت تضرب بجرانها في صحراء الجزيرة ، والتي كانت هذه الصحراء من حولها - في عزلتها وشظفها - سياجاً يحفظها من اختلاط الأنساب وتداخلها ، فأنساب هؤلاء

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٢٤ .

كما قال بعض علماء الاجتماع من العرب « صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ، ولا عرف فيهم شوب »^(٢).

فهذا الناموس الاجتماعي الذي نبهنا إليه هذا العالم العربي ، فألفيناه مقنعاً معقولاً - نستطيع في ضوئه أن نطمئن إلى ما ذكره النسابون والعلماء العرب من أن هذيلاً قبيلة عربية يرجع أصلها إلى هذيل بن مدركة^(٣) بن إلياس^(٤) بن مضر^(٥). ومضر هذا ينتهي نسبه سريعاً إلى عدنان^(٦)؛ فهي إذن قبيلة عدنانية مضرية.

وإلى مضر هذا تنتسب أشهر القبائل العربية من قيس عيلان ، وتميم ، وهذيل ، وكنانة^(٧).

وهذيل هذه وإن كانت تعدّ من المضرين بعامة ، فإنها تعد على وجه خاص من المجموعة المضرية التي تسمى قبائل « خندف » والتي ينتسب إليها ولد إلياس من العرب^(٨).

وإذا أردنا أن نحدد مكانها بين العرب على وجه أدق وجدنا أن بطون مدركة بن إلياس أعظمها هذيل هذه ، والقارة ، وأسد ، وكنانة ، وقريش^(٩).

ونسب هذيل بهذه الصورة الواضحة أشار إليه حسان بن ثابت في مطلع قصيدته التي هجا فيها هذيلاً بعامة ، وبني لحيان منهم بخاصة بسبب غدرهم في يوم الرجيع :

(٢) ابن خلدون: المقدمة ص ١٢٣ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢/٢٠٩ - اس حزم: جهرة أنساب العرب ص ١٨٧ - تاريخ الطبري ٢/١٨٨ ، ١٨٩ - اليعقوبي ٣١٣ - سيرة ابن هشام ١/٣٢ .

(٤) المبرد: نسب عدنان وقحطان ص ٦ .

(٥) السويدي: سائك الذهب ، ص ٢٢ .

(٦) ابن حزم: الجمهرة ص ٩ .

(٧) أحمد أمين: فجر الإسلام ص ٨ .

(٨) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٠٩ .

(٩) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٠٩ .

لعمرى لقد ساءت هذيل بن مدرك أحاديث كانت في خُبيب وعاصم^(١٠)
والمّ بهذا النسب شعر أبي ذرة الهذلي:

نحن بنو مدركة بن خندف من يطعنوا في عبئه لا يطرف^(١١)
ولا نعدم أن نجده في أشعار بعض الهذليين الآخرين ، وعند شراح شعر
هذيل^(١٢) ، وتكاد تجمع عليه المراجع العربية القديمة^(١٣) .

والمحدثون - فيما كتبوا من تاريخ العرب وأنسابهم - يوافقون القدامى
على ما ذهبوا إليه من نسب هذيل ، ومن شأن المحدثين عادة تحقيق ما خلفه
القدامى في تراثهم من حقائق ، وما قرروه في كتبهم من أحكام - فقد أشار
جبرجي زيدان إلى نسب هذيل إشارة لا تخالف ما ذكره القدامى بشأن
هذا النسب^(١٤) ، كما يشير عمر رضا كحالة في « معجم قبائل العرب »^(١٥)
إلى هذا النسب المضري لتلك القبيلة ...

وإذا ما أثار بعض الباحثين الشك في نسبة بعض البطون إلى هذيل ،
فإنه لا يرقى هذا الشك عنده إلى النسب المشهور لهذه القبيلة الأم ،
فالدكتور جواد علي حينما شكّ في نسب لحيان^(١٦) ظلّ على يقين من نسب
هذيل ، فشأنه في هذا شأن غيره من المؤرخين ، وأصحاب الأنساب في القديم
والحديث ، وهم يكادون يتفقون جميعاً - فيما أعلم - على هذا النسب الذي

(١٠) ابن خنجر: الإصابة ٣/٤ .

(١١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٧٣ .

(١٢) المرجع السابق ٢٧٣ - النقية ص ١٠٤ . ديوان الهذليين ١٦٧/١

(١٣) ابن قنينة: المعارف ص ٢١ - أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ١٠٦/١ .

المعريزي: الخطط ٢٩٨/١ - ياقوت: الممصّب من جمهرة أسباب العرب (مخطوط) ٤٣٥

السيوطي: لب اللباب ص ٢٧٨ ، البغية ص ٣٤٦ - المسعودي: مروج الذهب ٣٠٩/١ .

الآمدي: المؤلف والمختلف ٩٤ ، ٩٥ . الباني: محادثه أهل الأدب ص ٨٤ ، ٩٧ ، ٩٨ .

(١٤) العرب قبل الإسلام ص ٢٠٢ .

(١٥) معجم قبائل العرب ١٣٣/١ ، ٣٦٢ - ٥٢٠/٢ ، ٦٢٧ - ٩٤٤/٣ ، ١٠١٠ ، ١٠٦٠ .

(١٦) تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٢٩/٣ .

عرفت به هذيل بين العرب .



وقد قصدت من وراء هذا الجمع بين آراء القدامى والمحدثين تقرير نسب هذه القبيلة العدنانية ، وبيان مكانها من مضر التي استقرت قبائلها - كما سيأتي - في تهامة والحجاز ونجد ، وسيكون لهذا أثره في معرفة ما لهذه القبيلة من صلة بجيرانها في المكان ، وشقيقاتها في ذلك النسب المضري الذي اشتهرت به بين أبناء عدنان من العرب .

بطونها :

إذا كان الحديث في نسب هذيل كما رأيناه حديثاً واضحاً ، لا يكاد يختلف عليه اثنان من بين المراجع العربية في القديم والحديث ، فإن عشائر هذه القبيلة ، وفصائلها ، وبطونها تختلف فيها - نظراً لكثرتها - وجهات النظر بين أصحاب الأخبار والأنساب اختلافاً هيناً لا يؤثر في جوهر الموضوع ، ولا يطمس وجه الحق فيه ، فمن المراجع ما يقتصر على ذكر العمائر الكبرى للقبيلة ، ويتنكب ما تحت هذه العمائر من بطون ، وفصائل ، وأفخاذ ، ومنها ما يعرض هذه البطون ، وتلك الفصائل والأفخاذ عرضاً سريعاً مجملًا ضارباً صفحاً عن التفصيل فيها ، والإمعان في تعدادها ، وبعضهم يعم في ذلك إمعاناً قد يوهم القارئ أن بينه وبين غيره من المراجع خلافاً ذا بال . والمسألة - على هذا النحو - لا تعدو أن تكون مسألة تعميم أو تخصيص في ذكر النسب يظهر من ورائه خلاف لفظي بين أصحاب الأنساب .

ولكنّ هناك خلافاً آخر مرده إلى الخطأ في نسبة بعض البطون إلى هذيل أو عدم نسبتها إليها ، أو جعل الصلة بينها وبين هذه القبيلة صلة الحلف والجوار لا صلة القرابة والنسب ، أو التصحيف والتحريف في أسماء بعض هذه البطون تصحيفاً أو تحريفاً يؤدي إلى التكرار في الاسم الواحد بصور وأشكال متقاربة في الحروف تكراراً يحدث شيئاً من الاضطراب

والخلاف ، ولكن ليس من العسير أن نصل إلى وجه الحق فيه . وسنقصد إلى ذلك كله في شيء من التفصيل بعرض وجهات النظر ، وسرد آراء أصحاب النسب والأخبار وغيرهم ممن أدلوا بدلوهم في الموضوع .

بطون هذيل كما يصورها الشعر :

الحق إن هذيلاً ذات طوائف كثيرة ، وبطون وعشائر متعددة تعدداً يلفت النظر ، ويثير الانتباه ، ولقد أشار إلى هذه الكثرة الكثيرة شعر الشعراء الذين تعرضوا لهذيل مادحين أو قادحين ، بل أشار إليها شعر الهذليين أنفسهم ، ومن ذلك قول مالك بن خالد الخناعي :

فأي هذيل وهي ذات طوائف يوازن من أعدائها ما نوازن^(١٧)

وكثير من هذه العشائر والفصائل والبطون يأتي ذكره في الشعر الهذلي كلما جدت مناسبة تدعو إلى ذكرها اعتزازاً بها من الشعراء الذين ينتمون إليها ، أو انتقاصاً لشأنها على لسان الشعراء المناهضين لهذيل ، أو على لسان بعض الشعراء الهذليين أنفسهم من ينتمون إلى بطون وأفخاذ أخرى قد يكون بينها وبين أبناء عمومتها ما يدعو إلى التعريض بها أو النيل منها .

ومن أهم بطون هذيل التي وردت في الشعر الهذلي لحيان في قول مالك بن خالد الخناعي :

فدى لبني لحيان أمي فإنهم أطاعوا رئيساً منهم غير عوق^(١٨)

ومن بينها عمرو ، وقرْد ، ومازن ، ولحيان هذه في قول صخر الغي ردّاً على أبي المثلّم ، وكلاهما هذلي :

أبت لي عمرو أن أضام ومازن وقرْد ولحيان وفهم فسلم

(١٧) اس دريد : الجمهرة (زون) ٢١/٣ - البكري . التسيه ص ١٣٠ - شرح أشعار الهذليين

(مخطوط) ١٥٤

(١٨) ديوان الهذليين ٢٢٥/٣ .

فقد ذكر السكري أن هذه كلها أسماء قبائل من هذيل^(١٩)، ولكن السكري غير موفق في هذا التعميم الذي أوحى به إليه، وورطه فيه ورود هذه الأسماء على لسان شاعر من هذيل، فألقى القول على عواهنه دون تمحيص. والحق أن فهماً ليست من بطون هذيل، ولم يقل بذلك أحد من التسابين، وإنا هي بط من بطون قيس كانت تجاور هذيلاً، ولها معها وقائع وأيام مشهورة^(٢٠) ومن رجالها تأبط شراً ذلك الشاعر الصعلوك الذي كان له مع هذيل شأن أي شأن^(٢١).

وقرد ومازن السابقتان وردتا في شعر أبي ذؤيب:

نماه من الحيين قرد ومازن ليوث غداة البأس بيض مصادق^(٢٢)

ومن هذه البطون بنو خناعة في قول صخر الغي:

لو أن أصحابي بنو خناعه أهل الندى والجود والبراعه^(٢٣)

فخناعة حي من هذيل^(٢٤).

وللسكري في هذا البيت رواية أخرى:

لو أن أصحابي بنو خزاعه أهل الندى والمجد والبراعه

وقد أتبع البيت على هذه الرواية قوله: «خزاعة حي من هذيل»^(٢٥)، ولعل هذا تصحيف وقع فيه.

وإلى جانب ما سبق من بطون: «بنو برد» في قول حذيفة بن أنس:

-
- (١٩) ديوان الهدلين: القسم الثالث ص ٢٢٥.
- (٢٠) العرب قبل الإسلام ص ١٩١ البقية ص ٤٨.
- (٢١) البقية ص ٤٥.
- (٢٢) اللسان (صدق).
- (٢٣) ديوان الهدلين: القسم الثاني ص ٢٣٦.
- (٢٤) شرح أشعار الهدلين (مخطوط) ١١٦.
- (٢٥) ديوان الهدلين: القسم الثاني ص ٢٣٥.

فَرَّتْ بنو قرد وبرد ومـازن ولحيان والفلح الشفاه الجانب (٢٦)

ومنهم بنو سهم وجُريـب ، وعِشـريق ، وخثـيم في قول حذيفة هذا :

وفَرَّتْ بنو سهم يجرّـدن ساهفـا... ..

وفَرَّتْ جريـب بـعد ما قال رَجُلهم ...

وفَرَّتْ خثـيم يـحطـمون وعشـرق ... (٢٧)

وخثيم هذه جاءت على لسان أبي ذؤيب :

على أن الفتى الخثمي سَلَى بنصل السيف حاجة من يغيـب (٢٨)

وفي قول ساعدة بن العجلان :

ومالك إذ عرفت بني خثـيم وإياهم على عمد تـكيد (٢٩)

ومن هذه البطون بنو معاوية في قول صخر :

لو أن أصحابي بنو معاويـه أهل جنوب نخلة الشأميـه

ما تركوني للكلاب العاويـه ولا لبرذون أغر الناصيـه (٣٠)

وقد جاء في شرح أشعار الهدليين أن معاوية هذه حي من هذيل (٣١).

ومن هذه البطون تيم في قول صخر نفسه رداً على أبي المثلـم :

أبـا المثلـم إني غـير مهتـم إذا دعوت قـيماً سالت المسـل (٣٢)

وتيم هذه هي تيم هذيل (تنسب إلى تيم بن سعد بن هذيل) ، فهي غير تيم

القبيلة الكبيرة المشهورة .

(٢٦) شرح أشعار الهدليين (مخطوط) ٢٢٥ .

(٢٧) المرجع السابق ، نفس الورقة

(٢٨) ديوان الهدليين : القسم الأول ص ٩٦

(٢٩) المرجع السابق : القسم الثالث ص ١٠٥

(٣٠) المرجع السابق : القسم الثاني ، ص ٢٣٦

(٣١) شرح أشعار الهدليين (مخطوط) ، ص ٣١ .

(٣٢) المرجع السابق ص ٢٤ .

ومنها كبير بن هند في قول المتنخل :
لكن كبير بن هند يوم ذلكم فُتُخَ الشَّامِلُ في أيمانهم رَوْحَ (٣٣)
وفي قول صخر :
أبلغ كبيراً عني مغلفة تبرُّقَ فيها صحائفُ جدد (٣٤)
وكاهل في قول أبي ذؤيب :
وإن غلاماً نيل في عهد كاهل لطرف كنصل المشرفي صريح (٣٥)
وكاهل هذه مع قرد في قول أبي ذؤيب أيضاً :
وقائلة ما كان حذوة بعلمها غداتئذٍ من شاء قرد وكاهل (٣٦)
وكاهل ومعه عمرو في قول قيس بن خويلد (ابن العيزارة) الهذلي :
بني كاهل لا تنفلن أديهما ودع عنك أفصى ليس منك أديهما

★ ★ ★

جذت بني عمرو على أن تصالحوا وإني سألحي كاهلاً وألومها (٣٧)
وهما معاً في قول أبي قلابة :
يُصَاحُ بكاهل حولي وعمرو وهم كالضاريات من الكلاب (٣٨)
ومن هذه البطون أيضاً عَجْرَةٌ في شعر أبي ذؤيب :
ونيلٌ أمّ قتلى فوق القاع من عُسْر من آل عَجْرَةٍ أُمسى جدهم هُصِيراً (٣٩)

(٣٣) التنبه ، ص ٨٠ - ديوان الهذليين . القسم الثاني ، ص ٣٢ .
(٣٤) شرح أشعار الهذليين مخطوط ص ١٣
(٣٥) ديوان الهذليين . القسم الأول ص ١١٤ . أساس البلاغة ، ص ٤٧٨
(٣٦) ديوان الهذليين . القسم الأول ص ٨٢
(٣٧) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٩٥
(٣٨) ديوان الهذليين . القسم الأول ، ص ٣٢ .
(٣٩) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

وجُعْثمة في قوله :

كأن ارتجاز الجعثميات وسطهم نوائح يجمعن البكا بالأزامل^(٤٠)
فيذكر شراح شعر هذيل أن ارتجاز الجعثميات معناه أصوات القسيّ
المنسوبة إلى حي من جعثمة من هذيل^(٤١) وهناك رواية هي « الخعثميات »
بالحاء المعجمة ، وهي في الأصل المخطوط الذي أخذ عنه الديوان المطبوع ،
وهذه الرواية ذكرها صاحب التاج (مادة جعثم) إلا أنه يظهر عدم صحتها ،
إذ أن خعثم لا تنتسب إلى هذيل ، ولا تنسب إليها القسيّ بخلاف « جُعْثمة »
بضم الجيم والشاء المثناة إذ هي التي تنتسب إلى هذيل وتنسب إليها
القسيّ^(٤٢).

ومن تلك البطون « بنو قُريم » في شعر أبي بثينة الهذلي :
ألا أبلغ لديك بني قريم مغفلة يجيء بها الخير^(٤٣)
وفي قول صخر :

لو أن حولي من قريم رَجَلا بيض الوجوه يحملون النبلا
لمنعوني نَجْدة ورِسلًا^(٤٤)

وبنو زُليفة وبنو صُبْح في قول أبي جندب :
من مبلغ ملائكي حُبشياً أخا بني زليفة الصُّبحيا^(٤٥)

★ ★ ★

هكذا يجد الباحث هذا العدد الجم من عشائر هذيل وبطونها ماثلاً في

(٤٠) ديوان الهذليين : القسم الأول ص ٨٤ .

(٤١) المرجع السابق (نفس الصفحة)

(٤٢) أنظر الحاشية رقم ٣ من ديوان الهذليين (طبع دار الكتب) القسم الأول ، ص ٨٤ .

(٤٣) الآمدي : المؤلف والخلف ص ٣٠ . - ديوان الهذليين : القسم الثالث ، ص ٩٥ .

(٤٤) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٤ ، ٢٥ - الإصابة ٢٥٩/٣ .

(٤٥) ديوان الهذليين : القسم الثالث ، ص ٨٥ .

الشعر الهذلي ، وقد سبقت الإشارة إلى أن ذكر هذه البطون في شعر هذيل إنما دفع إليه الفخر والهجاء ، أو ما شابه ذلك من مناسبات . وكثيراً ما نجد أنها وقد سُرد منها ما جاء في شعرهم سرداً قلما نستطيع معه تحقيق مكان كل من هذه الفصائل والبطون في شجرة القبيلة الأم ، ولكننا نفيد منه شيئاً هو نسبتها إلى هذيل ، كما نفيد شيئاً آخر هو تعدد هذه البطون الهذلية وكثرتها .

أما تنظيم هذه العشائر والفصائل والبطون ، وتنسيقها ، وردّ الفروع منها إلى الأصول ، وإسقاط ما تكرر منها ، أو ما كان دخيلاً عليها ، والتنبيه إلى ما قد نجده في بعضها من تحريف وتصحيف ، والعدول به إلى جادة الصواب ، فكل هذا مردنا فيه إلى المراجع الأخرى مع بذل كل ما نستطيع من جهد في تحقيق ما يتصل من ذلك بالموضوع .

بطون هذيل في المراجع الأخرى :

إذا جاوزنا شعر الهذليين إلى المراجع الأخرى وجدنا أن هذه العشائر والفصائل والبطون التي جاءتنا على لسان شعراء هذيل جاء ذكرها أيضاً في هذه المراجع مضافاً إليها بطون أخرى من الجائز أنها لم ترد في شعر الهذليين أنفسهم ، وقد ورد الكثير منها في كتب الأنساب ، كما جاء ذكر شيء منها في كتب الأدب ، والتاريخ ، والسير ، والطبقات ، والتراجم ، وفي معاجم اللغة التي عنيت بذكر أسماء القبائل التي تصادفها في ثنايا الحديث عن مادة لغوية يكون لها صلة بهذا الاسم أو ذاك من أسماء القبائل العربية ، وفي كتب النحو العربي إذا ما تناولت بالشرح والتعليق شاهداً من شواهد النحو والصرف ، وكان قائله من هذه القبيلة أو تلك ، أو ينتسب إلى هذا الفرع أو ذاك من فروع قبيلة بعينها كهذيل .

وإليك أهم القبائل الهذلية ، ورجالها المشهورين في الجاهلية والإسلام ، وكل هذه القبائل تؤول في أصلها إلى فرعين كبيرين هما سعد ولحيان .

لحيان :

إحدى القبائل الهذلية الهامة ، مرّ ذكرها في الشعر الهذلي ، كما جاء في كتب الأنساب^(٤٦) وغيرها من المراجع الأخرى ، وقد اشتهرت بالشجاعة والبأس والنجدة ، والبغي أيضاً ؛ حتى قال فيهم الجمحي راوية شعر هذيل : « كان من شأن بني لحيان من هذيل أنها كانت شوكة من هذيل ، ومنعة وبغياً^(٤٧) . ومنهم أبو ضب الهذلي^(٤٨) الذي قيل « إنه لم يقتل قتيل من هذيل إلا قتل قاتله »^(٤٩) .

وهم الذين باغتوا نقرّاً من المسلمين ، وغدروا بهم^(٥٠) في يوم الرجيع فبعث النبي إليهم بَعْثاً^(٥١) ، ثم غزاهم فاعتصموا برؤوس الجبال^(٥٢) . وقد روي أن الرسول ﷺ كان يلعنهم لبيعهم وعدوانهم ، وعداوتهم لدعوة الإسلام إبان ظهوره^(٥٣) ، وقد هجاهم بعض شعراء النبي مثل كعب بن مالك الذي ندد بفرارهم من جيش المسلمين في هذه الغزوة إذ يقول :

لو ان بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عُصبا في دارهم ذات مَصَدَق
لقوا سَرَعاناً يملأ السرب روعه أمام طحون كالحجرة فيلق
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت شعاب حجاز غير ذي متنفق^(٥٤)

(٤٦) المبرد : نسب عدنان وقحطان ص ٦ ، جهرة أساب العرب ، ص ١٨٥ ، ٤٣٥
السيوطي : البعية ص ٣٤٦ الكامل لاس الأثير ، ٧٩/٢ معادنة أهل الأدب ص ٨٤ .

(٤٧) النقية ص ١٣ .

(٤٨) ابتهاج الموس ، ص ٥١ .

(٤٩) البقية ص ١١

(٥٠) الطبري ٢٩/٣ ، ٣٠ . سيرة ابن هشام ١٢٠/٢ . الأغاني ٤٢٨/٤ ، ٤٢٩ .

الكامل لاس الأثير ٧٩/٢ ، ٨٠ ،

(٥١) طبقات ابن سعد ٥٧/٣ - صحيح مسلم ٤٢/٦ .

(٥٢) النية ص ٥٦ - طبقات ابن سعد ٥٦/٣ ، ٥٧ ، مروج الذهب ٣٠٩/١

سيرة ابن هشام ، ١٦٤/٢

(٥٣) أسد الغابة ٩٣/٣ طبقات ابن سعد ٣٧/٣

(٥٤) سيرة ابن هشام : القسم الثاني ص ٢٨٠

وحسان بن ثابت الذي وسمهم بالغدر والخيانة والإثم حيث يقول :
 لعمرى لقد ساءت هذيل بن مدرك أحاديث كانت في خُبيب وعاصم
 أحاديث لحسان صلوا بقبيحها ولحيان رگسانون شر الحرائم^(٥٥)
 ويبدو أن بني لحبان كانوا منعصبين لوثنيتهم أكثر من سائر هذيل ،
 وقد كان منهم سدنة سواع معبود هذيل في الجاهلية^(٥٦) ، ومنهم خالد بن
 سفيان بن نُبَاح الهذلي اللحبابي ، الذي كان يجمع الجموع - بعد غزوة أحد -
 من لحسان وغيرهم بعرنة وما والاها لحرب المسلمين ؛ فبعث النبي عبد
 الله بن أنيس ، فاحمال حتى قله وأراح المسلمين من شره وخطره^(٥٧) .

بطون لحيان :

يذكر علماء الأساب وغيرهم من بطون لحيان « طابخة ، ودابغة »^(٥٨) ،
 ومن رجالات طابخة في الجاهلية المتنخل الهذلي^(٥٩) أحد مشاهير هذيل ،
 وعمه أبو قلابة الهذلي سد بني هذيل ، وأول من قال الشعر فبهم - فيما يقال -
 وقد روى أن ابنه أميمة هي إحدى جدات النبي البعيدات من قبل
 أمه^(٦٠) ؛ ولهذا فإن بعض رواة الأخبار كالجمحي يعتبر بني لحيان هؤلاء
 أخوالاً للنبي^(٦١) ، مع أن النسب ببنة وبينهم - كما نرى - جد بعيد .

ومن رجالات طابخة في الإسلام أسامة بن عمير ، وينتمي إلى كبير بن
 هند أهم بطون طابخة^(٦٢) ، وهو - كما يقول البخاري - من أصحاب النبي

(٥٥) أسد الغابة ٧٤/٣ - سره ابن هشام : المصم الثاني ص ١٢٤ ، ١٧٩ . الإصانة ٣/٤ .

(٥٦) ابن الكلبي الأصنام ص ٩ - بلوغ الأرب في أحوال العرب ٢١٧/٢ .

(٥٧) طبقات ابن سعد ٣٥/٣ - سره ابن هشام ٨٣/٣ . حاشاء الحواش ٢٣٤/٢ .

(٥٨) ابن حزم : جمهرة أساب العرب ص ١٨٥ .

(٥٩) العقوبي ص ٣٠٩ - المؤلف والمخلف ص ١٧٨ - الخزانة ١١٠/٤ .

الشعر والشعراء ص ١٥٦ - اللسان ، تاج العروس (مجل) .

(٦٠) جمهرة أساب العرب ص ١٨٥ . أسد الغابة ٣٦١/٤ . طبقات ابن سعد ٣٣/١ .

المؤلف والمخلف ص ٢٤٥ .

(٦١) البقعة ص ٢٨ .

(٦٢) الإصانة ٣٠/١ - سره ابن هشام (على هامش الروص الأنف) ٢٠١/١ .

ﷺ ، وقد روى حديثه أصحاب السنن وغيرهم (٦٣) . وقد أثبت ابن حزم أيضاً صحابته للنبي (٦٤) ، وإلى هذا كان فقيهاً شريفاً في قومه (٦٥) . وابنه أبو المليلح الهذلي الصحابي المحدث (٦٦) .

ومن كبير بن هند أيضاً حمل بن مالك ، وهو من أهل الصحبة ، والرواية عن النبي (٦٧) ، وقبل إن ابن عباس قد روى عنه (٦٨) ، وقد استعمله النبي على صدقات هذيل (٦٩) .

ومن طابخة أيضاً أبو عزة الهذلي الصحابي المحدث ، وقد روى عنه أبو المليلح الهذلي السابق الذكر (٧٠) . ومنهم سلمة بن صخر الذي شهد حُناً مع النبي ﷺ ، وشهد أيضاً فتح المدائن مع سعد بن أبي وقاص (٧١) .

أما الطن الآخر « دابغة » فمنه « نُسْشة الخير » الصحابي ، وابن عمه سلمة بن المحبِّق الهذلي (٧٢) ، وأخوه سنان بن المحبِّق ، ويذكر ابن حزم أن المحبِّق المذكور ، وابنتيه سلمة وسنانا قد روي عنهما الحديث (٧٣) .

وسنان هذا كان من الولاة والقواد الفاتحين أيام معاوية ، وفي ذلك يطالعنا صاحب فتوح البلدان بأنه قد « ولي زياد بن أبي سفيان أبام معاوية سنان بن المحبِّق الهذلي ، وكان فاضلاً متألهاً ... أتى الشفر ، ففسح مكران

(٦٣) الإصانة ٩/١ .

(٦٤) جهرة أساب العرب ، ص ١٨٥ .

(٦٥) سائك الذهب ص ٢٣ .

(٦٦) جهرة أساب العرب ص ١٨٥ . أسد الغابة ٥٢/٢ .

(٦٧) أسد الغابة ٥٢/٢ .

(٦٨) ناه العروس (حل) .

(٦٩) الإصانة ٣٨/٢ .

(٧٠) أسد الغابة ٢٥٣/٩ .

(٧١) المرجع السابق ، ٣٣٨/٢ .

(٧٢) المرجع نفسه ١٣/٥ .

(٧٣) جهرة أساب العرب ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

عَنوة ، ومصرَّها ، وأقام بها ، وضبط البلاد^(٧٤) . ويذكر الزَّبيدي أنه « ولد يوم الفتح فسماه الرسول ﷺ سناناً ، وكان شجاعاً ، وقد ولي غزو الهند في سنة خمسين هجرية »^(٧٥) .

ومن رجال لحيان من العلماء العالم اللغوي علي بن المبارك « اللحياني » . « أخذ عن الكسائي ، وأبي زيد ، وأبي عمرو الشيباني ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأخذ عنه القاسم بن سلام ، وله النوادر المشهورة »^(٧٦) . في المحيط اللغوي .



سعد بن هذيل :

من البطون الهذلية الهامة ، وهو نظير لحيان في الانتماء رأساً إلى أصل هذه القبيلة الأم ، ويبدو أن سعداً هذا قد سمي تيمناً باسم صنم كانت تعبده هذيل في الجاهلية^(٧٧) . وتلك ظاهرة نجدها واضحة في أسماء العرب في العصر الجاهلي .

وسعد هذا كان كثير الأبناء والأحفاد ، متعدد البطون والأفخاذ ، وإن ذلك ليبدو واضحاً لكل من ألقى نظرة في كتب التاريخ والأخبار والأنساب ، ومن ذلك ما يذكره اليعقوبي في تاريخه : « وأما هذيل بن مدركة ، فإن العدد منهم في بني سعد بن هذيل ، ثم في تميم بن سعد ، ثم في معاوية بن تميم ، والحارث بن تميم »^(٧٨) .

وحين يتناول ابن قتيبة أنساب هذيل نرى من ذلك قوله : « فولد

(٧٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٨ .

(٧٥) تاج العروس (سنن) .

(٧٦) البغية ص ٣٤٦ .

(٧٧) اللسان (سعد) . المحصص ٨٧/١٣ .

(٧٨) اليعقوبي ص ٣١٣ .

سعد بن هذيل تميم بن سعد ، وحريث بن سعد ، ومسعة بن سعد ، وخزاعة بن سعد ، وجهامة بن سعد ، وغنمة بن سعد « ثم يشير إلى البطون الكثيرة العدد من هؤلاء ، فيقول : « والعدد في تميم ومعاوية والحارث » (٧٩) . وهو في عجز كلامه يوافق اليعقوبي تمام الموافقة .

فمن بطون سعد عند ابن قتيبة ومن وافقه « حُرَيْث » (٨٠) ، وعند ابن حزم « خُريب » ، وقد ذكر أن من ولده أبا كبير الهذلي الشاعر (٨١) . وفي المصادر الأخرى « جُريب » (٨٢) ، وينتسب إليه عبد مناف بن ربع الهذلي الجربي (٨٣) ، وأبو كبير الهذلي السابق ذكره (٨٤) .

ونجد في بعض المصادر أن من بطون سعد بن هذيل خفاجة ، وإليه ينسب أبو العيال الهذلي الشاعر المعروف (٨٥) .

ومن بطون سعد خُزاعة (٨٦) ، وقد جاء في بعض المراجع - مصحّفاً - خزاعة (٨٧) ، وينتسب إلى خزاعة هذا مالك بن خالد الخناعي (٨٨) ، والبريق الهذلي (٨٩) الشاعران ، ومنهم عامر بن سدوس الذي كان يُعزى هو ورهطه إلى خزاعة (٩٠) ، وقتادة بن دعامة بن سدوس الذي كان عالماً ثقة بأنساب

(٧٩) المعارف ص ٢٢ .

(٨٠) العقد ٥٧/٢ - المعارف ص ٢٢ . ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ١٦٤ .

· شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٩ . الرضي شرح الشافعية ، ٢/٢٩ .

(٨١) جهرة أنساب العرب ص ١٨٦ .

(٨٢) البقعة ص ٩ . الخزاعة (السلطية) ٣/١٧٤ .

ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ٤٣ . ابن سيده : المحصص ١٣/٢٣٥ .

(٨٣) البقعة ص ٥٦ - ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ٣٨ .

(٨٤) المرجع الأخير ص ٨٨ .

(٨٥) حواشي المرجع السابق ص ٢٤١ .

(٨٦) اللسان ، وتاج العروس (حنع) . الخزاعة ٤/٢٣٣ - الشعر والشعراء ص ١٥٦ . معجم

قبائل العرب ١/٣٦٢ .

(٨٧) العقد ٥٧/٢ - المعارف ص ٢٢ - شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٣٢ .

(٨٨) شرح أشعار الهذليين ص ١٤٨ - ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ١ - الخزاعة ٤/٢٣٣ .

(٨٩) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ٥٤ .

(٩٠) المرجع السابق ص ٥١ - شرح أشعار الهذليين ص ٢٧٩ .

العرب وأيامها والذي قال فيه السيوطي: «لم يأتنا عن أحد من علم العرب أصح من شيء أتنا عن قتادة»^(٩١). ومن بطون خناسة هذه بنو أرمداء^(٩٢).

ومن بطون سعد كذلك رهم، ومنهم المعطل الهذلي^(٩٣) أحد مشاهير شعراء هذيل.

ومن بطونها أيضاً تميم^(٩٤)، (وتميم هذه هي غير تميم القبيلة الكبيرة المعروفة). ومن تميم هؤلاء ساعدة بن العجلان الشاعر الهذلي^(٩٥).

ومن بطون تميم معاوية^(٩٦)، ومن معاوية بنو حنيف بن معاوية^(٩٧)، وبنو قرد^(٩٨) بكسر القاف وسكون الراء، وفي اللسان بفتحهما^(٩٩)، وقرد هذا هو عمرو بن معاوية^(١٠٠) وينسب إليه أبو ذؤيب الهذلي كما جاء في بعض المراجع^(١٠١)، وإن كان الراجح غير ذلك كما سيأتي بعد. ومن نسله أبو خراش الهذلي (خويلد بن مرة)، وهو مخضرم مات في عهد عمر^(١٠٢)، وأبو جندب^(١٠٣)، وهما أخوان من بني مرة القردي الذين قيل إنهم كانوا

(٩١) المزهري ٢/٢١٠.

(٩٢) شرح أشعار الهذليين ص ١٢.

(٩٣) الجمهرة ص ١٨٦ - شرح أشعار الهذليين ص ٢٨٦ - ديوان الهذليين: القسم الثالث ص ٤٠.

(٩٤) الجمهرة ص ١٨٦ - نهاية الأرب ص ١٨٨ - سبط اللاكبي ١/٢٣٣ - أسد الغابة ٤/١٥٧.

المعارف ص ٢٢.

(٩٥) سبط اللاكبي ١/٢٣٣.

(٩٦) الجمهرة ص ١٨٦.

(٩٧) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٨٨ - النفية ص ٥٤.

(٩٨) تاج العروس (قرد).

(٩٩) اللسان (قرد).

(١٠٠) حواشي السمعاني ١/٢١٦. تاج العروس واللسان (قرد).

(١٠١) الخزائن (السلفية) ١/٤٠٠. ديوان الهذليين: القسم الثاني ص ١١٦.

(١٠٢) تاج العروس (خرش). الخزائن ١/٤٠٠. ديوان الهذليين: القسم الثاني ٢/١١٦.

البركلي: الأعلام ١/٣٠١.

(١٠٣) الأصنام ص ١٩. ديوان الهذليين: القسم الثالث ص ٨٥.

دهاة شعراء يعدون عدوآ شديداً^(١٠٤).

ومن معاوية أيضاً بنو مازن^(١٠٥) بن معاوية ، ومن هؤلاء أبو شهاب المازني^(١٠٦).

ومن معاوية كذلك بنو سهم بن معاوية كما تقول عامة المصادر^(١٠٧) ، إلا صاحب السمت الذي انفرد بأنه ابن مرة بن معاوية^(١٠٨).

وكان بنو سهم أبطالاً مغاوير ، فقد دوخوا بعض القبائل المجاورة لهم من خزاعة وغيرها^(١٠٩) . وكانت فيهم شهامة ونجدة ، وقد أسروا كثيراً من كندة وحير والحبش الذين كانوا في جيش أصحاب الفيل ، ثم فروا - كما قيل - في جبال هذيل ، فقتل منهم من قتل ، وأسر من أسر ، ثم خرج بأسراهم معقل بن خويلد السهمي سيد هذيل آنذاك ، وكان - كما ورد في شرح أشعار الهذليين - أحد اثنين كلاهما من هذيل وفدآ بهؤلاء الأسرى على النجاشي لافتداء أسرى قومهم العرب^(١١٠) وقد نجد في ديوان الهذليين ما يقارب ذلك من أن معقلاً هذا « هو الوافد على النجاشي ، وفد عليه في أسرى كانوا من قومه ، فكلمه فيهم ، فوهبهم له »^(١١١).

ويبدو أن كثيرين منهم كانوا سادة في هذيل يتوارثون السيادة كابراً عن كابر ، فقد كان خويلد بن وائلة بن مطحل السهمي سيد هذيل في

(١٠٤) تاج العروس (خرش).

(١٠٥) الجمهرة ، ١٣٦/٢ - تاج العروس (صهل).

(١٠٦) الجمهرة ١٣٦/٢ .

(١٠٧) البقية ص ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ - ديوان الهذليين ٣٠/٣ شرح أشعار الهذليين (مخطوط)

١٠٣ ، ١١٢ ، ٢٦٣

الشعر والشعراء ص ١٥٧ .

(١٠٨) سمت اللآلي ٣٩٩/١

(١٠٩) البقية ص ٥٦ .

(١١٠) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١١٢

(١١١) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ٦٨ .

زمانه^(١١٢) . وقد كان هو ، وسيد كنانة رفيقين لعبدالمطلب بن هاشم في لقاء أبرهة عام الفيل لمفاوضته^(١١٣) . وقد ورث السيادة عنه ابنه معقل بن خويلد^(١١٤) ، وكان حامياً للذمار ، وله في ذلك مواقف محمودة ، فحين هاجمت سليم بني لحيان من هذيل هبّ في قومه مدافعاً عن بني عمومته على الرغم مما كان بينه وبين سليم من موادة ، فاضطر سليماً إلى أن يولوا مدبرين . وفي ذلك يقول معقل :

تقول سليم سالمونا وحاربوا هذيلاً ولم تطمع بذلك مطعماً -
فأما بنو لحيان فاعلم بأنهم بنو عمنا من يرمهم يرمنا معاً^(١١٥)
وكثيراً ما كان يخرج معقل هذا في نفر من أشراف بني سهم للصالح بين
المتحاربين من قومه^(١١٦) .

ومن بني سهم هؤلاء بنو مُرمّض ، ويرجع إليهم في النسب أبو صخر الهذلي^(١١٧) ، وعبدالله بن عتبة ذو الجنين الذي قيل إنه سمي بذلك لأنه كان يحمل ترسين في الحرب^(١١٨) .



والآن - وقد انتهينا من بطون معاوية بن تميم - نعود إلى تميم هذا لنجد من أبنائه أيضاً الحارث بن تميم^(١١٩) ، وهذا الحارث هو أول من ابتدع - فيما يقال - عبادة سواع في هذيل ، ومن جاورها من العرب آخذاً ذلك عن

(١١٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ص ١٥٧ .

(١١٣) تاريخ ابن خلدون ٦٢/٢ . بلوغ الأرب ٢٧٢/١ .

(١١٤) الشعر والشعراء ص ١٥٧ .

(١١٥) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٠٢ .

(١١٦) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ٧٠ .

(١١٧) النقيّة ص ٧٥ .

(١١٨) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ٦٥ .

(١١٩) اليعقوبي ص ٣١٣ .

عمرو بن لُحيّ الخزاعي الذي زعموا أنه أول من نصب الأصنام للعرب (١٢٠).

ومن أبناء الحارث بنو مالك بن الحارث بن تميم ، ومنهم مالك بن الحارث الشاعر الهذلي (١٢١) ، ومن الحارث أيضاً كاهل بن الحارث ، بكسر الهاء (وقد يكون بفتحها) (١٢٢) . ومن كاهل هؤلاء قيس بن العيزارة الهذلي (١٢٣) ، وينسب إليهم في بعض المصادر مالك بن الحارث السابق الذكر (١٢٤) .

ومن بطون كاهل بنو صاهلة بن كاهل (١٢٥) ، وينسب إليهم في بعض المصادر أبو ذؤيب الهذلي (١٢٦) .

ومن بطون صاهلة بنو قريم بن صاهلة (١٢٧) ، ومنهم غافل بن صخر ، وهو سيد من أشرافهم ، كان ثاني اثنين من هذيل وفدا على النجاشي - كما سبقت الإشارة - ومعهما أسرى كندة وحير والحبش لفداء أسرى كنانة (١٢٨) ، ومنهم أم عبد والدة عبد الله بن مسعود الصحابي الهذلي المشهور (١٢٩) .

ومن أهم بطون صاهلة بنو مسعود أو المسعوديون ، ومن هؤلاء المسعوديين كثير من الصحابة والتابعين ، وعلماء الإسلام وأعلامه ، فينتهي إلى صاهلة عن طريق مسعود هذا عبد الله بن مسعود الصحابي (١٣٠) القارىء

-
- (١٢٠) السويدي . سائبك الذهب ص ١٠٤ .
(١٢١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢ .
(١٢٢) شرح المفصل ١٠٣/٢ .
(١٢٣) المؤتلف والمختلف ص ٣٢٦ .
(١٢٤) المرجع السابق نفس الموضع .
(١٢٥) تاج العروس (كهل)
(١٢٦) ابن دريد : الملاحن ص ٩٣ .
(١٢٧) البقية ص ٢٧ ، ٤٩ .
(١٢٨) تاج العروس (غفل) ، شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١١٢ .
(١٢٩) تاج العروس (غفل) ، أسد الغابة ٦٠٠/٥ ، طبقات ابن سعد ٣٦٦/١٣ .
(١٣٠) جهرة أنساب العرب ص ١٨٦ - ابن حجر : الإصابة ١٢٩/٤ - أسد الغابة ٢٥٦/٣ وما =

الفقيه المحدث ، وأخواه عتبة بن مسعود ، وعميس بن مسعود (١٣١) ، ومن ولد عبد الله بن مسعود عبدالرحمن المكي المحدث (١٣٢) ، والقاسم بن معن بن عبدالرحمن الذي قال عنه السيوطي إنه « كان من علماء الكوفة بالعربية ، واللغة ، والفقه ، والحديث ، والشعر ، والأخبار ؛ ومن الزهاد والثقات ... » (١٣٣) وابنه عبدالرحمن بن القاسم المحدث (١٣٤) ، وأبو عبيدة بن معن بن عبدالرحمن ، وهو قارئ من الثقات (١٣٥) ، وكان القاسم السابق ذكره قاضياً للكوفة ، ويقال إنه لم يأخذ للقضاء رزقاً مدة ولايته (١٣٦) . ومن عقب عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود أيضاً المسعودي المؤرخ صاحب مروج الذهب (١٣٧) .

ومن ولد عتبة بن مسعود عبدالله بن عتبة التابعي المحدث الثقة الرفيع القدر ، روى عن عمر وابن مسعود (١٣٨) ، وقد ولّاه عمر على السوق (١٣٩) ، ثم كان قاضياً لمصعب بن الزبير على الكوفة (١٤٠) . ومنهم عبيدالله بن عبدالله بن عتبة العالم الفقيه الشاعر الذي كان أحد مشاهير فقهاء المدينة (١٤١) ، وكان من العلماء بالأخبار والأنساب (١٤٢) ، وهو من أجلّ شيوخ الزهري ، وكان

= بعدها .

تاج العروس (صهل) ، السهيلي : الروص الأنف ١٦٦/١ .

(١٣١) جهرة أساب العرب ص ١٨٦ .

(١٣٢) ابن الجزري : طبقات القراء ٤٨٥/١ . طبقات ابن سعد ١٢٥/١ . أسد الغابة ٢٥٦ .

(١٣٣) البغية ٣٨١ .

(١٣٤) ابن حجر : تعجل النعمة ص ٢٥٥ .

(١٣٥) طبقات القراء ٦٠٢/١ .

(١٣٦) شذرات الذهب ٢٨٦/١ .

(١٣٧) الجهرة ص ١٨٦ .

(١٣٨) طبقات ابن سعد ٨٢/١٠ .

(١٣٩) الإصابة ١٠٠/٤ .

(١٤٠) أسد الغابة ٣١٦/٢ . طبقات ابن سعد ٨٢/١٠ .

(١٤١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٠٦/١ .

(١٤٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٣٦٩/١ .

أثيراً لدى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ، يقدر له علمه ، ويعرف له فضله^(١٤٣) . وأخوه عون بن عبدالله بن عتبة ، وكان خطيباً راوية ناسباً شاعراً^(١٤٤) .

ومن ولد عُميس بن مسعود عمرو بن عَميس ، وكان والياً على القطقطانة (قرب الكوفة) أيام علي ، فقتله هناك الضحاك بن قيس الفهري عامل معاوية^(١٤٥) .



والآن - وقد أتينا على صاهلة بن كاهل وبطونها - نصعد إلى كاهل مرة أخرى لنرى أن من بطون كاهل أيضاً عمرو بن كاهل بن الحارث^(١٤٦) ، ومن عمرو هؤلاء بنو عامر بن عمرو ، وإليهم ينتمي حذيفة بن أنس الهذلي أحد شعراء هذيل^(١٤٧) . وقد نسب بعضهم رأساً إلى عمرو^(١٤٨) . وليس هنالك فرق كبير ، فأصل النسب في الحاليين واحد لم يتغير . ومن بني عمرو أيضاً زهير بن العجوة الهذلي الذي قتله جميل بن معمر الجمحي يوم حنين حين وجده مربوطاً في الأسرى ، وكان زهير قد خرج يطلب الغنائم والأسلاب^(١٤٩) .

ومن بني عمرو خُثيم بن عمرو^(١٥٠) ، ومن خثيم هؤلاء حبيب بن عبد الله «الأعلم الهذلي» ، وأخوه صخر الغي^(١٥١) ، وينسبان في بعض المصادر رأساً

-
- (١٤٣) العقد ٢٠٦/١ .
(١٤٤) البيان والتبيين ٣٤٣/١ ، ٣٤٤ .
(١٤٥) الحمرة ص ١٨٦ .
(١٤٦) العقد ١٠٦/٣ - شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٠٤ .
(١٤٧) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ١٨ .
(١٤٨) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٢٨ .
(١٤٩) ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ١٤٨ ، سيرة اس هشام ٢١/٣ . الأغاني ٥٨/٢١ .
(١٥٠) شرح أشعار الهذليين : (مخطوط) ص ٧٠ . ديوان الهذليين : القسم الأول ص ٧٦ . تاج العروس (ختم) .
(١٥١) ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ٥١ ، ٧٧ (حاشية ١) . شرح أشعار الهذليين للسكري =:

إلى عمرو^(١٥٢)، ولعل هذا من التسامح المعروف حتى الآن من نسبة الحفيد إلى الجد - لا إلى الأب - لا سيما إذا كانت شهرة الجد أكبر.

★ ★ ★

ونصعد إلى كاهل مرة ثالثة لنجد من بطونه بني كعب بن كاهل، ومن ينتسبون إلى كعب هذا ساعدة بن جؤية الهذلي^(١٥٣) الشاعر المعروف بين شعراء هذيل.

ومن بطون كاهل أيضاً بنو صبيح بن كاهل^(١٥٤)؛ وقد كان صبيح هذا من سادات هذيل في الجاهلية^(١٥٥). ومن بني صبيح هؤلاء أبو بكر الهذلي الفقيه^(١٥٦) الإخباري^(١٥٧) الذي كان يروي علم الأخبار والأنساب عن قتادة^(١٥٨).

وبنو صبيح هؤلاء ينحدر منهم بنو زليفة بن صبيح^(١٥٩) ويذكر ابن حزم أن ديارهم كانت حول مكة، ولهم بها عدد وعدة ومنعة^(١٦٠)، كما يذكر المسعودي أن الرياسة في هذيل كانت فيهم^(١٦١).

★ ★ ★

^{١٥٢} (طبع أوروبا) ص ٦.

^(١٥٢) المؤلف والمختلف ص ٩٤.

^(١٥٣) ديوان الهذليين: القسم الأول ص ١٦٧ - الخزانة ٧٦/٣. ابن جني: المنصف ٢٣٤/٣.

^(١٥٤) نهاية الأرب ص ٣١٢ معجم قائل العرب ٦٣٠/٢ - الحمرة ص ١٨٧.

^(١٥٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣٠١/٢.

^(١٥٦) نهاية الأرب ص ٣١٢ - الحمرة ص ١٨٧.

^(١٥٧) شذرات الذهب ٢٦٤/١.

^(١٥٨) السيوطي: المزهري ٢١٠/١.

^(١٥٩) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٩٥.

^(١٦٠) الحمرة ص ١٨٧.

^(١٦١) مروج الذهب ١٥٥/٢.

تلك هي أهم العشائر والبطون المشهورة في هذيل ، ولكننا نجد إلى جانب ذلك اشارات سريعة في الشعر الهدلي ، أو في المصادر الأخرى تشير إلى بطون وأفخاذ ليست بذات خطر ، فلم تنسب إلا إلى هذيل نسبة عامة دون تخصيص أو تحديد ، وقد يحوم حولها بعض الشك ما دامت لا تأخذ مكانها في سلسلة النسب من هذيل . ومن هذه العشائر دهمان^(١٦٢) وبعجة^(١٦٣) ، وجعثة^(١٦٤) ، وأسامة بن لُعْط^(١٦٥) . . . إلى غير ذلك من الإشارات العابرة التي لا تستحق الوقوف عندها ؛ ولهذا نجتزئ منها بهذا العرض السريع .

★ ★ ★

هذيل والمراجع الحديثة :

ولكن ينبغي أن نقف وقفة قصيرة عند ما ورد في بعض المراجع الحديثة بشأن هذيل وبطونها حيث يطالعنا صاحب معجم قبائل العرب بأن هذيلاً تنقسم قسمين : شمالي ، وجنوبي . . . ويتألف القسم الشمالي من سبعة أفخاذ : المطارفة ، والمساعيد ، والسواهر ، والحيان ، وعمرو أو عمير ، والجنابر . أما القسم الجنوبي فيدعى هذيل اليمن ويتألف من الأفخاذ الآتية : الندوبة ، ودعد ، والسرانة ، والعاهلة ، وجيل^(١٦٦) .

ولنا لنجد في كثير من هذه الفروع غرابة تبعد بنا كثيراً عما ذكرنا من بطون هذيل ، ولكن واقع الأمر أن هذا كلام منقول بنصه في شيء من الإيجاز - عن بعض مراجع أخرى حديثة ، نتحدث عن القبائل العربية التي

(١٦٢) اللسان (دهم) .

(١٦٣) ديوان الهدلين : القسم الأول ص ٨٦ .

(١٦٤) اللسان (جعثم) .

(١٦٥) تاج العروس (لعط) .

(١٦٦) عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ١٢١٣/٣ .

تقطن المملكة العربية السعودية الآن^(١٦٧). وليس هنالك من شك يمكن ان يثور حول ما ذكرنا من قبائل هذيل؛ لأن هذه الأزمان المتطاولة، والآماد البعيدة بين العصر الجاهلي، والعصر الحديث لا بد أن يكون لها أثر كبير في تغيير أسماء هذه الفروع التي تشعبت وتشابكت، أو تباعدت ودخلت في غيرها، أو دخل غيرها فيها، فاكسبت أسماء جديدة قد لا تمتّ الى أصلها القديم بأدى صلة. هذا الى أن صراحة الأنساب لم تعد لها أصالتها الأولى.

وحسبنا أن نعرف أن صاحب «قلب الجزيرة العربية» حينما يعدد بطون ثقيف في عصرنا هذا يذكر منها بطناً يسمى هذيلًا، وآخر يدعى قريشاً^(١٦٨)، فهل هناك صلة تقوم على هذا النحو بين هذيل وثقيف، أو بين قريش وثقيف حتى يكونا بطنين من بطونها؟ فلا يمكن بأية حال تبرير هذا على أساس سليم الا أن تكون هذيل وقريش مجرد اسمين لا يمتان بصلة الى هذيل وقريش المعروفين منذ العصر الجاهلي، وصدر الاسلام، أو أن يكون بعض أولئك وهؤلاء قد دخلوا بمرور الزمن وبحكم الجوار في ثقيف، حتى نسبوا أخيراً اليها، وذكروا بين بطونها.

فليس غريباً اذن - بعد ما رأينا - أن نجد إغراباً كهذا في البطون المنسوبة الى هذيل في أمثال هذه المراجع، ويكفي أن نجد أن بعض هذه البطون لا يزال يحمل الاسم القديم مثل لحيان، وعمرو أو عمير، فقد مرّ بنا لحيان، وعمرو فيما سقنا من حديث حول بطون هذيل، وهما من الشهرة المستقبضة بمكان، كما أن عميراً - وإن كان مغموراً - قد ذكر في سبائك الذهب بطناً منسوباً الى هذيل^(١٦٩).

وحسبنا أيضاً أن بعض الأماكن التي وردت في هذه المراجع مثل وادي فاطمة، وغيره من الأماكن التي تقع حول مكة، أو في أطرافها من جهة الشرق والجنوب هي نفسها منازل هذه القبيلة وبطونها منذ العصر الجاهلي.

★ ★ ★

(١٦٧) - (١٦٨) قلب الجزيرة العربية ص ٢٠٢.

(١٦٩) السويدي - سائك الذهب ص ٢٤.

نظرة ناقدة :

ولكن ينبغي لنا أن نقف وقفة أخرى عند هذه القبائل الهذلية التي فصلنا القول فيها ، والتي وردت اشارات اليها في الشعر الهذلي ، أو طالعنا بها المصادر القديمة ؛ فقد بلغت هذه البطون المختلفة حداً من الكثرة يلفت النظر ، وان كانت هذه المراجع تختلف - فيما بينها - فيما تمدنا به من هذه البطون كثرة وقلة ، فمنها ما يقتصر على الفروع الكبرى للقبيلة ، ومنها ما يعم في تعداد البطون والأفخاذ والفصائل الصغيرة ، ولكن هذه المراجع - في مجموعها - تعطينا عدداً كبيراً من هذه البطون الهذلية .

ويستطيع الباحث - على أساس من المصادر الأصيلة - أن يرد هذه الأشتات من البطون والعشائر الهذلية كلاً الى أصله ، ويبعد بها - كما رأينا - عما عساه أن يجده القارئ فيها من شبهة التشويش والاضطراب والخلاف . فالحق أن معظم هذه البطون يرجع بعضها الى بعض في صورة هينة سهلة لا غموض فيها ، ولا التواء ، فهي تنتهي الى بطون أكبر منها ، ثم تنتهي هذه وتلك الى عمائر كبرى تدلي بنسبها رأساً الى هذيل الجد الأكبر لهذه القبيلة الأم .

ومع هذا ، فأحقاقاً للحق ، نقرر أن هذا الخلاف حول هذا الموضوع لم تسلم منه المراجع المذكورة بصورة قاطعة ، شأنها في ذلك هو الشأن في كثير من مسائل التاريخ القديم ، الذي لم يؤت هؤلاء العلماء أداة تحقيقه ، والوصول دائماً الى وجه الحق فيه .

ومن أمثلة ذلك ما نجده من خلاف حول بعض البطون الهذلية الكبرى مثل لحيان ، ونسبتها الى هذيل على أساس من قرابة الدم ولحمة النسب ، أو على مجرد الحلف والجوار والولاء ، فقد تضافر أغلب كتب الأخبار والأنساب ، وسائر المراجع القديمة على نسبتها الى هذيل عن طريق النسب لا عن طريق الجوار ، فقد ذكرت هذه المصادر أن لهذيل ولدين من صلبه هما لحيان وسعد كما سبق أن مرّ بنا ، ولا نكاد نجد خلافاً في هذا بين

قدمائنا الا ما أورده الهمداني من أنهم كانوا من بقايا جرهم ، ودخلوا في هذيل (١٧٠) أو أنهم من بقايا العماليق الذين هلكوا بتهامة ، وحالفوا هذيلاً (١٧١) .

وأغلب من كتبوا في الأنساب من المحدثين لم يخالفوا جهرة القدامى في هذا النسب (١٧٢) ، وان كان قد خالف أولئك وهؤلاء فيما اتجهوا اليه الدكتور جواد علي حيث اعتبر بني لحيان هؤلاء من بقايا دولة اللحيانيين القديمة ذات الآثار والنقوش اللحيانية المعروفة . وأنهم بعد ضعفهم ، وسقوط مملكتهم ، وضغط القبائل عليهم اضطروا الى الانتقال من مواطنهم الأصلية في منطقة العلا ، ومدائن صالح ، والاتجاه نحو الجنوب حيث اختلطوا بغيرهم ، وقد كانوا قبل الاسلام في هذيل ، ولهذا عددهم النسابون من بطونها (١٧٣) .

ولعل الرجل متأثر في هذا برأي المستشرقين ، ذلك الرأي الذي لو دلت الدلائل العلمية يقيناً ، أو ظناً على ثبوته وصحته لسلمنا به دون شك أو مرأى ، ولكن أغلب الظن أنه رأي أوحى به الاشتراك في الاسم بين بني لحيان هؤلاء ، وبين أولئك اللحيانيين الغابرين .

والحق أن بني لحيان الهذليين هم - فيما أرى - من هذيل لحماً ودماً ، وهم غير اللحيانيين القدامى ذوي التاريخ العريق المعروف ، فلم يقل أحد بأن الاشتراك في الأسماء يصلح أساساً لإطلاق الأحكام في القضايا العلمية ، فكثيراً ما نجد أن الأسماء تكرر نفسها بين الأشخاص والقبائل العربية ، فمثلاً في العرب سعود كثيرة منها : سعد تميم ، وسعد هذيل ، وسعد قيس ، وسعد بكر (١٧٣) ، وفيهم موازن كثيرة منها : مازن تميم ، ومازن قيس ،

(١٧٠) انظر تاج العروس (٣٢٤/١٠) ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٢٩/٣ .

(١٧١) معجم قبائل العرب ١٠١٠/٣ - محادثة أهل الأدب بأخبار وأنسب جاهلية العرب ص ٨٤ - المنجد ص ٤٦٠ .

(١٧٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٤٢٩ .

(١٧٣) الجمهرة (د س ع) ٢٦٢/٢ - الصحاح (سعد) .

ومازن اليمن ، ومازن ربيعة^(١٧٤) . وهناك تميم القبيلة المعروفة ، وتميم أخرى بطن من هذيل ، وبنو مخزوم في قريش ، وغيرها في هذيل . . وهكذا . بل إنا نجد أن كثيراً من أسماء الأعلام في العبرية القديمة شائعة الاستعمال عند العرب في الجاهلية ، ومن أمثلة ذلك : حفي ، وعلي ، وعبدالله ، والنادي ، والسعد ، وعفراء . ثم انه يوجد كثير من هذه الأعلام العربية في النقوش السبئية ، والتمودية ، ومن يتابع هذه النقوش القديمة في النمارة ، وفي منطقة العلا يجد كثيراً من هذا التكرار في الاسماء^(١٧٥) .

ومن حقنا ألا نذهب بعيداً فكثير من أسماء الاشخاص والعائلات اليوم مكرر بين الناس الى حد كبير ، فهم يسمون - عن قصد أو غير قصد - أسماء متشابهة أو متماثلة ، وقد يتم هذا تيمناً بأسماء ، أو تشبهاً بعظماء ، وهذا مسلك الناس دائماً في كل زمان ومكان .

ثم ان علم الأنساب كان يعتزّ به العرب اعتزازاً بالغاً ، ولهم نسابون قد اشتهر بعضهم بالحفظ والضبط ، فكيف يخفى عليهم أمر لحيان وقد دخلت في هذيل كما يقول الهمداني ، وصاحب صحيح الأخبار من القدامى^(١٧٦) ، أو فيما يقول الدكتور جواد علي حين يقرر أنه قد تم ذلك قبيل الاسلام (أي قبله بزمان يسير) - كيف يخفى عليهم ذلك؟ وهذا حسان بن ثابت يهجو هذيلاً لأن منها لحيان اثر غدرهم بأهل الرجيع - كما سبق أن أشرنا - وحسان مخضرم عاش ردحاً طويلاً من عمره في الجاهلية ، فكيف يخفى عليه أمر هؤلاء؟ ثم كان معه أبو بكر من وراء هجائه ، وقد كان من أعلم الناس بالأنساب كما هو معلوم .

هذا ، وثمة اشارات أوردها الرواة تفيد أن لحيان من هذيل وليسوا بجيران لها أو لإحدى بطونها ، بل قد تصرّح تصريحاً بأن لحيان هذا هو

(١٧٤) شرح شواهد بن عقيل ص ١١٨ .

(١٧٥) اسرائيل ولفنسون . تاريخ اللغات السامية ص ٨٠ .

(١٧٦) صحيح الأخبار ١٨٦/٢

لحيان بن هذيل (١٧٧).

وكذلك شعر معقل بن خويلد السهمي الهذلي صريح في تقرير نسب لحيان حين يقول :

تقول سليم سالمونا وحاربوا هذيلاً ولم تطمع بذلك مطمعا
فأما بنو لحيان فاعلم بأنهم بنو عمنا من يرمهم يرمنا معا (١٧٨)
ومن الأدلة القاطعة في نسبة لحيان الى هذيل نسبة تقوم على الدم لا
على الجوار تلك المفاخرة والمهاجرة التي ثارت بين عمرو بن هُميل اللحياني ،
وعمر بن جنادة الخزاعي ، وفيها يقول عمرو بن هُميل مُندداً بصاحبه في
فخر واعتزاز :

فان بيوتنا شم طوال وبيتك لا يُظلل ولا يُبيت
وانا نحن أقدم منك عزاً اذا بنيت بمخلفة البيوت
خزيمة عمنا وأبي هذيل وكلهم الى عز وليست
ويمنعك الولاء وأنت عبد وأمنع حيث كنت اذا لقيت
أبى لي صارخ كالسيل نهد وعز لا يزول لنا ثبيت (١٧٩)
فهذا كلام واضح صريح في أن أباه وجدّه الأكبر هو هذيل بن مدركة ،
وأن عمه هو خزيمة بن مدركة ، وأنه يستمد من هؤلاء العز ، والمنعة ،
والسؤدد ، والفخر .

هذا وقد نسب الجمحي بني كاهل أيضاً الى هذيل نسبة الحلف والولاء ،
لا نسبة القرابة والنسب ، وجعل كاهلاً أخاً ثقيف (١٨٠) ، وعلى هذا نجد في
بعض المراجع أن عمرا ذا الكلب - وهو من رجالات كاهل - كان جاراً

(١٧٧) شرح أشعار الهذليين (تحمي مراج) ٨١٨/٢ .

(١٧٨) المرجع السابق ٣٧٥/٢ .

(١٧٩) شرح أشعار الهذليين (تحمي فراج) ٨٨٢/٢ .

(١٨٠) المرجع السابق ٢٣٧/١ .

لهذيل^(١٨١) ، ولم تعده هذه المراجع من هذيل دماً ونسباً . ومعنى هذا أن الشك سيحوم حول نسب جميع الفروع التي تدلي الى هذيل بكاهل هذا مثل بني صبح ، وبني زليفة ، وبني صاهلة ، وبني كعب ، وبني مخزوم (مخزوم هذيل) ، وجميع من ينسبون الى هؤلاء من بطون كاهل ورجالها .

ولكن يبدو أن كاهلاً من أحفاد هذيل صليبة ، وليس مجرد حليف أو جار للهذليين ، فإن أغلب الكتب التي كتبت في الأنساب وغيرها تقرر ذلك النسب لكاهل ومن يلونه من أبناء وأحفاد . ثم ان القلة القليلة من المراجع التي تقول بهذه المخالفة ، أو هذا الجوار ذكرت ذلك مبهماً ، ولم تسب كاهلاً من جهة النسب الى قبيل آخر غير هذيل نسبة صحيحة ، وهذا يثير الشك فيما ذكر بشأن هذا النسب ، ويقوي الاحتمال الآخر ، وهو اعتبار كاهل وبطونها من صميم هذيل .

هذا وعمرو ذو الكلب - الذي أشرنا الى انه أحد رجالات كاهل - لا تحس في شعره هو الآخر أثراً لهذا الجوار المزعوم ، فليس في هذا الشعر - تابعاً ولا جاراً ولا حليفاً لهذيل ، وانما هو يتسنى الذروة في قومه من هذيل ، ويتقدم فتبانهم في غاراتهم :

فأما تثقفوني فاقتلوني	وان أثقف فسوف ترون بالي
فأبرح غازياً أهدي رعيلا	أؤم سواد طود ذي نجـال
بفتيان عمارط من هذيل	هم ينفون أناس الحلال

★ ★ ★

فهذا ثم قد علموا مكاني اذا اختضبت من العلق العوالي^(١٨٢)
وهذه أخته جنوب تقول في رثائه ما لا يقال الا في سيد جحجاح من
سادات قومه :

(١٨١) ديوان الهذليين . القسم الثالث ص ١١٣
(١٨٢) ديوان الهذليين . القسم الثالث ص ١١٤ وما بعدها

فأقسم يا عمرو لو نبهاك اذن نبها منك داء عضالا
اذن نبها غير رغديدة ولا طائش رعرش حين صالا
اذن نبها ليست عريسة مفيداً مضيتاً نفوساً ومالا
اذن نبها واسعاً ذرعه جميع السلاح جليداً بسالا
هزبرا فروساً لأقرانه أيها اذا صاول القرن صالا

★ ★ ★

وقد علم الضيف والمملون اذا اغبر أفق وهبت شمالا
وخلت عن اولادها المضعات فلم تر عين لمزن بلالا
بأنك كنت الربيع المريع وكنت لمن يقتفيك الثالا (١٨٣)

ثم نراها تقول في هذا البكاء ، وذلك الرثاء :

أبلغ بني كاهل عني امغللة والقوم من دونهم سعيًا ومركوب
ابلق هذيلًا وأبلغ من يبلغها عني رسولاً وبعض القول تكذيب
بأن ذا الكلب عمرًا خيرهم حسبًا ببطن شريان يعوي حوله الذيب (١٨٤)
ومن هذا كله يمكن أن نستنتج - مطمئنين - أن عمرًا ذا الكلب هذا
ليس للهذليين مجرد جار أو حليف بل هو هذلي في أصله ودمه ، ثم هو في
السنام والذروة من قومه هذيل ، ومن أفضلهم في الحسب والنسب والجاه .

★ ★ ★

وهكذا نستطيع - بعد ما قدمنا - أن نرتاح الى ما نقول به من اثبات
ذلك النسب الهذلي لكاهل ، وما ينتسب اليه من عشائر هذيل وبطونها ، أو
من ينتمي اليه من رجالات هذه العشائر والبطون .
هذا الى أن تلك القلة القليلة من المراجع التي تجنح الى القول باستبعاد

(١٨٣) المرجع السابق ص ١٢١ - ١٢٣

(١٨٤) ديوان المهديين . القسم الثالث ص ١٢٥ .

نسبة هذا البطن الى هذيل إلا عن طريق الحلف أو الجوار - تلقي القول على عواهنه ، ولا تسلك في ذلك مسلكاً علمياً يؤدي بها الى الحقيقة ، ويسلمها الى الرأي الصحيح ، بل تسوق ذلك في إبهام لم تتجشم معه أن تنسب كاهلاً الى قبيلة أخرى غير هذيل نسبة صحيحة ، وهذا مما يشير الشك فيما يقولون به من حلف أو جوار ، ويزكي الاحتمال الآخر الذي قررناه من اعتبار كاهل وبطونه من صميم هذيل .

وثمة رأي - مرجوح هو الآخر في نظرنا - ينسب عمراً هذا الى لحيان^(١٨٥) ، وعلى أساس من الخلاف الذي سبقت الإشارة اليه في نسب لحيان يعتبرونه من هذه الناحية أيضاً جاراً لهذيل . وقد سبق لي أن فندت ذلك الرأي الذي يقوم عليه هذا الاحتمال .

ومن قبيل الخلاف أن يكون بعض البطون أصلاً من غير هذيل ، فينسبها بعض المراجع الى هذيل وهماً منها ، واعتاداً على مجرد مجيئها على لسان شعراء هذيل من غير تحقيق أو تمحيص ، فقد أورد الزبيدي^(١٨٦) أن ذؤيبة قبيلة من هذيل ، وأتبع ذلك قول الشاعر الهذلي (أبي خراش) :
غدونا غدوة لا شك فيها فخلناهم ذؤيبة أو حبيبا
والحق أن ذؤيبة هذه من هوازن ، ويقرر ذلك أبو سعيد السكري في شرح هذا البيت من شعر أبي خراش ، فهو يقول في ثنايا ما أورده من كلام : « ذؤيبة وحبيب حيّان من عجز هوازن »^(١٨٦) .

ومن هذا النحو من الخلاف تقريباً ما ثار حول جُعْثمة التي ينسب اليها بعض القسيّ ، فقد ورد في ديوان الهذليين أنها من هذيل^(١٨٧) ، وفي القاموس : « جُعْثمة حي من هذيل أو من أزد السراة »^(١٨٨) ، وفي اللسان ما

(١٨٥) شرح اشعار الهذليين (تحقيق فراح) ٥٦٥/٢

(١٨٦) تاج العروس (ذأب) .

(١٨٧) ديوان الهذليين ، القسم الأول ص ٨٤ .

(١٨٨) القاموس (جعثم) .

يفيد أنها « من هذيل ، أو من أزد السراة ، أو من أزد شنوءة » (١٨٩) .
ولعله قد أدى الى هذا الخلط قرب مواطن هذه القبائل التي نسبت
جعثمة إليها ، ثم ضالة شأن جعثمة هذه ، وأمثالها ، وعدم شهرتها ،
واستفاضة أخبارها .

★ ★ ★

وهناك أمثلة من الخلاف قد تؤدي بنا الى تعدد واهم في بطون هذه
القبيلة ، وذلك - فيما أحسب - نتيجة لتقارب بعض الحروف ، والتباسها على
السمع ، أو لتشابه هذه الحروف في الرسم ، واختلاطها في الكتابة ، ومن
ذلك خناعة وخزاعة ، فقد اتجه معظم ما في يدنا من المراجع الى ان خناعة
هو ابن سعد بن هذيل (١٩٠) ولكن ورد في بعضها ذكر خزاعة بن سعد بن
هذيل (١٩١) بدلاً من خناعة . وقد كان من الممكن وجودهما معاً أخوين من
سعد بن هذيل لو قد حدثتنا بذلك المراجع المذكورة ، أو دلّت الدلائل
عليه ، ولكن يبدو أن ذلك تكرار لاسم واحد هو خناعة ذكر صحيحاً مرة ،
محرّفاً مرة أخرى .

وقد يؤيد ما ذهب اليه اختلاف الرواية في هذا البيت من شعر صخر
الهذلي :

لو أن أصحابي بنو خناعه أهل الندى والجود والبراعه

★ ★ ★

فالرواية السائدة فيه خناعة ، وقد وليها في ديوان الهذليين أن خناعة

(١٨٩) اللسان (جعثم) .

(١٩٠) ديوان الهذليين ، القسم الثالث ص ١ ، ٧٠ . القاموس (حنع) ، الشعر والشعراء ص ١٥٦ -

نهاية الأرب ص ٢٤٧ . معجم قائل العرب ١/٣٦٢ . شرح أشعار الهذليين ص ١٢ ،

١١٦ ، ١٤٨ ، ٢٧٩ .

(١٩١) العقد ٢/٥٧ .

حي من هذيل ، ثم أعقبتها رواية أخرى على هذا النحو: «وقد أورد
السكري البيت هكذا « خزاعة » بدلاً من خناعة ، ثم قال : خزاعة حي
من هذيل » (١٩٢) .

ومما يزيد الأمر وضوحاً اختلاف المراجع في ترجمة واحدة لشاعر هذلي
واحد هو «مالك بن خويلد» ، فقد جاء في اللسان أنه مالك بن خويلد
الخزاعي^(١٩٣) ، وصاحب اللسان متأخر ، وليس بحجة في الأنساب ، وإنما هو
في هذا مجرد ناقل ، ولكننا نجد السكري في شرح أشعار الهذليين يقرر أنه
خناعي^(١٩٤) . ولا يمكن أن ينتهي نسب امرئ الى شخصين مختلفين على
هذا النحو الذي نراه ، فلا بد أن يكون أحدهما - وأرجح أنه خزاعة - من
نسج الوهم والخيال نتيجة للتصحييف الذي وقع فيه .

ومن أمثلة هذا التعمد الواهم ما أشرنا اليه من ذكر حريث^(١٩٥) ،
وخُريب^(١٩٦) ، وجُريب^(١٩٧) ، وحرب^(١٩٨) جنباً الى جنب بين البطون
الهذلية ، وأغلب الظن أنها جميعاً بطن واحد من بطون سعد بن هذيل ، وما
هذا التعدد إلا نتيجة التصحييف في هذا الاسم .

ومن الغريب أننا نجد أن ذلك التصحييف قد يسبب الاختلاف حتى بين
صفحة وأخرى في المرجع الواحد ؛ فقد ذكر مثلاً في ديوان الهذليين مرة
حُريث ، وأخرى جُريب ، وربما كان ذلك راجعاً الى إهمال التحقيق

(١٩٢) ديوان الهذليين ٢/٢٣٥ .

(١٩٣) اللسان (بقل) .

(١٩٤) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٤٨ .

(١٩٥) ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ٢٦٤ .

· شرح أشعار الهذليين ص ١٠٩ . العقد ٥٧/٢ . المعارف ص ٢٢ .

(١٩٦) جهرة أنساب العرب ص ١٨٦ .

(١٩٧) العقد ٥٧/٢ . البقية ص ٩ . المخصص ٢٣٥/١٣ . الخزانة ١٧٤/٣ . شرح أشعار الهذليين

٢٢٦ . ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ١٤٣ (حاشية ٣) .

(١٩٨) ابن جني : المنصف ٣/٢٠٢ .

وقصوره . اذا لم يكن خطأ مطبعياً لا يستحق الوقوف عنده .

ومثل هذا يقال في سعد بن هذيل نفسه ، فقد ألفيته - في ترجمة أبي كبير الهذلي - في حاشية « التنبيه على أوهام القالي في أماليه » محرراً الى سهل بن هذيل^(١٩٩) ، ولم يمر بنا من أبناء هذيل وأحفاده من يسمى سهلاً ، ولم نجد في سلسلة نسب أبي كبير من يحمل هذا الاسم ، ثم ان سلسلة النسب الواردة في هذا المصدر هي نفسها في المصادر الأخرى مع استبدال سعد بسهل . هذا الى ما نجده من تقارب نبرات الصوت فيهما ، وأنها على وزن واحد مما يوجد اشتباهاً عند من لا يحسنون السماع .

ومع هذا فالأمثلة على هذا التحريف والتصحيف قليلة لا تكاد تتجاوز ما ذكرنا .

هذا ، ويذكر النسابون أن بعض القبائل العربية ، أو بطوناً من هذه القبائل كانت تعيش في جوار هذيل مثل بني الدرعاء ، وهم حي من عدوان من قيس عيلان ، فهناك من يقول بأنهم كانوا حلفاء في بني سهم بن معاوية من هذيل^(٢٠٠) ، ويطالعنا شراح ديوان هذيل بما يؤكد هذه الحقيقة من أن بني الدرعاء « حي من عدوان بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان . . . وخلفهم في بني سهم بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل »^(٢٠١) .

فاذا كنا نجد من هذه الاشارات - كما رأينا - ما يفيد أن بطوناً من قبائل العرب كانت تعيش في جوار هذيل ، فإننا نجد أيضاً أن من بطون هذيل ورجالها من حالفوا غيرهم ، أو عاشوا في جواره ، بل ان من الأخبار ما ينتهي بنا الى أن بعض هذه البطون الهذلية قد دخلت في غيرها من القبائل ، وانتسبت اليها ، ولم تعد تذكر في عداد هذيل ، فيذكر ابن حزم في جهرة أنساب العرب أن حوّة - وهم ينتمون في أصلهم الى سعد بن هذيل -

(١٩٩) السكري : التنبيه ص ١٠٠ .

(٢٠٠) تاج المروس (درج)

(٢٠١) ديوان الهذليين ٣/ ٣٠ .

دخلوا في بني عبس ، وقيل إن الحطيئة الشاعر ، منهم^(٢٠٢) ، ويبدو أن عامر بن سدوس قد دخل هو الآخر في خزاعة ، فقد ورد في ديوان الهذليين أن عامر بن سدوس الحناعي كان يُعزى هو ورهطه الى خزاعة ، وأن المعطل قال شعراً فيه من اللوم ما يسدد سهامه اليهم^(٢٠٣)

كما ورد في شرح أشعار الهذليين بصدد الكلام في شعر المعطل نفسه أن الناس يولجون بني سدوس ، وأولياء عامر وإخوته الى خزاعة ، وقد قال ابن الاعرابي في ذلك ان الناس كانوا يعدلون عامر بن سدوس وبني أبيه الى خزاعة ، فقال المعطل في ذلك شعراً^(٢٠٤) هو الشعر الذي سبقت الإشارة اليه في ديوان الهذليين^(٢٠٥) .

★ ★ ★

وهكذا نرى كلاماً حول دخول قوم في هذيل ، وخروج آخرين منهم ، كما نجد خلافاً حول بعض بطونهم ، وفي نسب بعض رجالهم ، ولكن ذلك كله ليس بالأمر الجلل الذي يطنى على وضوح هذا النسب واستقامته ، وتلك البطون وانتسابها الى أصلها الهذلي ؛ ففي شيء يسير من التمهيع قد انتهينا الى وجه الحق في هذا الشأن .

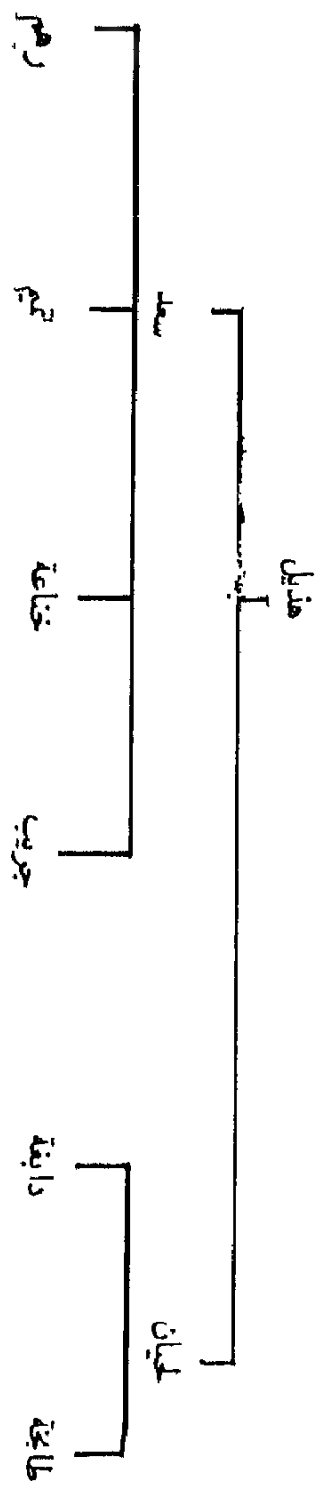
★ ★ ★

(٢٠٢) الجمهرة ص ١٨٦

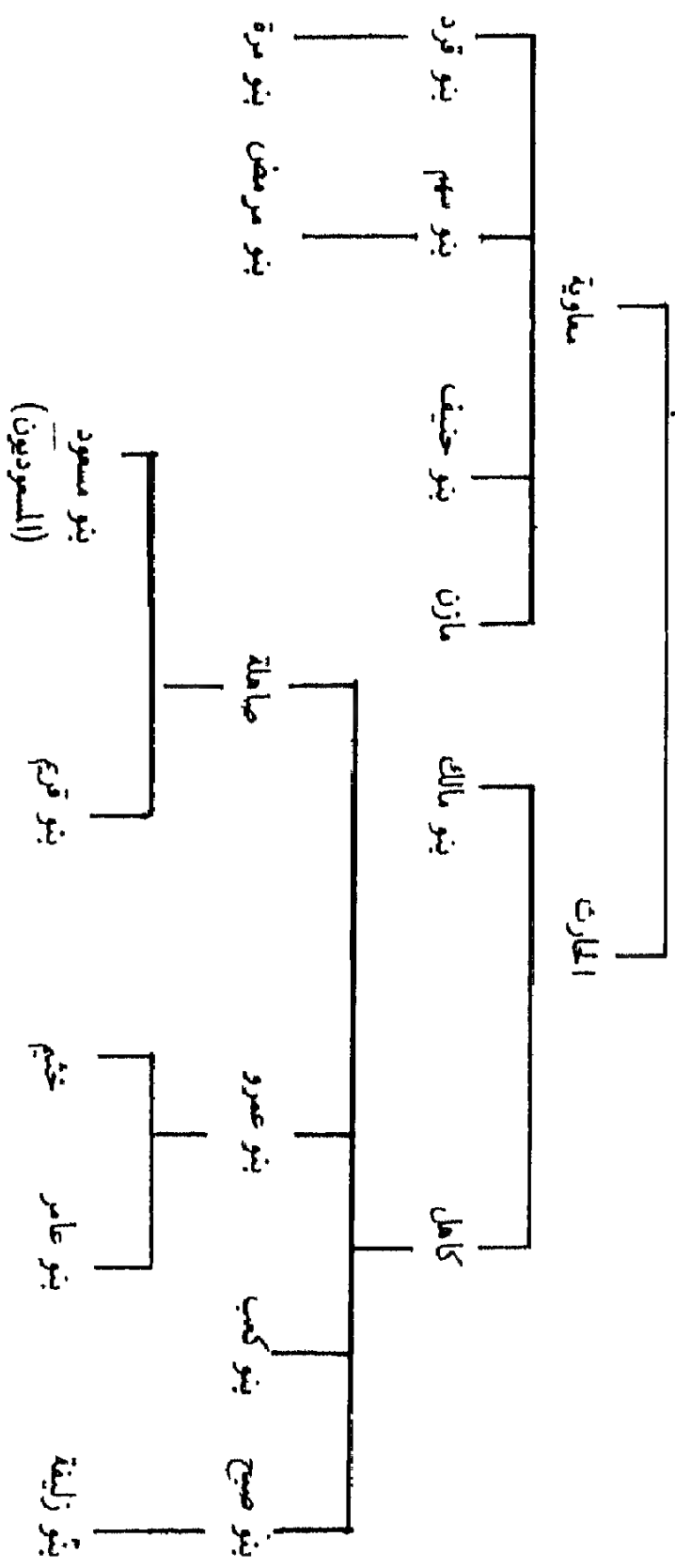
(٢٠٣) ديوان الهذليين ٥١/٣ .

(٢٠٤) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراح) ٦٣٦/٢ .

(٢٠٥) ديوان الهذليين ٥١/٣ .



كثير بن هند



الفصل الثاني

منازل هذيل ومواطنها

أولاً - منازل هذيل في الجاهلية :

شغلت هذيل ببطونها العديدة رقعة واسعة من إقليم الحجاز في مناطق متعددة حول مكة ، وفي أطرافها الجنوبية والشرقية ، وفي عرفة وما يتصل بها ، وفي أماكن أخرى كثيرة بين مكة والمدينة ، وربما كان أغلبها إلى مكة أقرب ، وإن كان يحتمل أن يكون بعضها متصلاً بنواحي المدينة كالموازج التي وردت في شعر الهذليين ، والتي ذكر البكري أنها من ديارهم^(١).

وهنا من ذكر هذه المواطن والبقاع أن نوضح مسرح حياة هذه القبيلة التي نتناولها بالدراسة ، وما صاقبها من مواطن القبائل التي تجاورها ، أو الأماكن التي تشركها فيها هذه القبائل كي نستبين في ضوء هذا كله صلة هذه القبيلة بجيرانها من القبائل الأخرى ، ومدى تأثيرها بهذه القبائل أو تأثيرها فيها ؛ لما لهذا التأثير وذلك التأثير من أهمية قصوى في هذه الدراسة .

والمعروف أن هذيلة قبيلة بدوية في طابعها العام ، فهي إذن لم يستقر أغلب بطونها وعشائرها في أماكن بعينها ؛ لأن الاستقرار في المدن والقرى لم يتح إلا للحضر الذين كانوا يقيمون في مكة ، والمدينة ، والطائف ، ووادي الفرى ، وما يماثلها في اليمن ، وفي الإمارات العربية التي كانت مستقرة في أطراف الجزيرة على حدود الفرس والروم كالمناذرة والغساسنة .

(١) معجم ما استعجم ١/ ٢٨٢ .

أما البدو الرحل فهم لا يعرفون هذا الاستقرار ، وإنما كانوا يتنقلون في سبيل النجعة كما هو معلوم .

فهذيل إذن كانت بطونها المختلفة غالباً في حركة وتنقل وراء الخصب والماء والكلأ . ولكن - مع هذا - كان لمجموع البطون الهذلية مجال تجول في إطاره ، فلا تُبعد كثيراً عما ألفته من مواطن ، وما تنزل به على مر العام من منازل .

وقد كانت هذه المواطن ، وتلك المنازل كثيرة متعددة تعدد بطون هذه القبيلة وكثرتها ، كما أن الرقعة التي كانت تشغلها ، وتتخذ منها مسرحاً لحياتها لم تكن في مجموعها ذات طبيعة جغرافية واحدة ، فكانت هذيل تسكن الجبال والهضاب والوهاد والوديان في منطقة واسعة من الإقليم .

السراة :

ومن أهم البقاع التي كانت تقطنها بطون هذيل بعض الأجزاء الحجازية من تلك المرتفعات التي تمتد في سلسلة جبلية تخترق إقليم الحجاز ، وتمتد شمالاً حتى بلاد الشام ، وجنوباً حتى بلاد اليمن ، وقد يصل ارتفاعها الى (٢٤٠٠ م) فوق سطح البحر^(٢) ، وتسمى هذه السلسلة جبال السراة . وهذه السلاسل الجبلية إذا وصلت الى الطائف مالت شرقاً كأنما هي في زاوية ، وتركت مكة بينها وبين البحر .

ويقول الهمداني إنه لم يعد يطلق اسم السراة إلا على هذه السلسلة الجبلية بين الطائف وصنعاء ، وقد تغير اسمها فيما دون ذلك^(٣) . وقد كان يشارك هذيل في هذه السروات جيرانها من القبائل الأخرى

(٢) د . الصياد : المملكة العربية السعودية « مذكرات معهد الدراسات العليا ص ١١ » .

(٣) صفة جريدة العرب ص ٢٩٧ .

مثل فهم ، وعدوان ، وتجيلة ، وثقيف وغيرها ، وكلها قبائل عربية
فصيحة^(٤).

وقد تحمل هذه الجبال عدة أسماء تختلف باختلاف أماكنها ، وباختلاف
القاطنين فيها . والذي تقطنه هذيل منها ينسب إليها ، فيقال سراة هذيل .
وسنرى أن جبال هذيل نفسها تتعدد أسماءها ، وتختلف اختلافاً
ملحوظاً فيما بينها .

ويحدد ابن خلدون سراة هذيل هذه بأنها « متصلة بجبل غزوان المحيط
بالطائف ، ولهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة
والمدينة^(٥) .

وواقع الأمر أن جبل غزوان هذا يقع في الجنوب الشرقي من مكة ،
وفي ذروته مدينة الطائف ، وليست سراة هذيل متصلة به فحسب - كما
يقول ابن خلدون - وإنما هو جزء من هذه السراة التي تتناثر فيها مساكن
هذيل ومنازلها^(٦) .

ومن جبال هذيل أيضاً كُرّ ، وكَرَاء ، والهدّة ، وكلها سلاسل جبلية
منصلة تحيط بالطائف ، وتفضي إلى باديتها^(٧) . ومن بين سلاسل هذه الجبال
نجد الشفا ، وهو الآخر من جبال الطائف^(٨) .

وفي سفح كرّ نجد موضعاً مشهوراً لهذيل هو عاذ^(٩) ، وقد يسمى « أنف
عاذ » ، وهو من ديار هذيل المجاورة لبني سليم^(١٠) ، وكان لهذيل فيه محلتان

(٤) معجم البلدان ٦٠/٥ ، ٦١ . الألوحي : بلوغ الأرب في أحوال العرب ٩٥/٣ . البكري -

معجم ما استعجم ٨٨/١ .

(٥) تاريخ ابن خلدون ٣٠٩/٢ .

(٦) د . هيكل : في منزل الوحي ص ٣٦٦ .

(٧) المرجع السابق : نفس الصفحة .

(٨) معجم ما استعجم ٨٠٣/٣ . في منزل الوحي ٣٤٧ ، ٤٣٤ .

(٩) معجم البلدان ٩٣/٦ .

(١٠) معجم ما استعجم ٢٠١/١ .

إحداهما فوق الأخرى ، وبينهما مسافة ميل تقريباً^(١١) .

ويذكر ياقوت أن من جبال هذيل القريبة من الطائف جبال الجوز^(١٢) ، ويريد الفيروزبادي أن يكون أكثر دقة وتحديداً ، فيقول : إنها لبني صاهلة من هذيل^(١٣) ، وهذه الجبال كانت أقصى سروات هذيل نحو الجنوب ، فقد كان بنو صاهلة هؤلاء أقصى بطون هذيل نحو اليمن^(١٤) وكانت منازل فهم في هذه الجهات مصابقة لهم^(١٥) ، فقد عاش في جبال يللم ، وما يقاربها بعض بطون صاهلة كبني قُريم ، وكانت بينهم وبين فهم فيها حروب ومواقع^(١٦) .

وإذا اتجهنا نحو الشمال ، وتركنا الطائف وباديتها وجبالها وجدنا جبلي « نَعْمَان » وهما في جنوبي عرفات ، ويقعان بينها وبين الطائف ، ومن جبال هذيل في هذه الناحية « ككب » ، وهو جبل مشرف على موقف عرفات^(١٧) ، فهو من جبال عرفات ، ومن نواحيه ذو الحجاز ، وبه ماء لهذيل باسمه^(١٨) ، وكان موضع سوق بعرفة على فرسخ منها^(١٩) ، وكانت لهذيل^(٢٠) وهي من أشهر أسواق العرب بعد عكاظ .

وقريباً من ككب نجد « الوصيق » ، وهو جبل كانت تنزل به هذيل وكنانة^(٢١) ، وهو الآخر متاخماً لوادي عرفة .

-
- (١١) معجم البلدان ١/٣٦١ .
(١٢) المرجع السابق ٣/١٦٨ .
(١٣) القاموس (جور) .
(١٤) البقية ص ٢٥ .
(١٥) المرجع السابق ص ٥٣ .
(١٦) نفس المرجع ص ٣٧ ، ٤٨ .
(١٧) الحبال والأمكنة والمباه ص ١٣٧ . صحيح الأخبار ص ٣٧١ .
(١٨) بلوغ الأرب في أحوال العرب ١/١٩٨ .
(١٩) ديوان الهذليين . القسم الأول ١/٤٠ . حاشية (٥) .
(٢٠) معجم البلدان ٧/٣٨٥ - الحبال والأمكنة والمباه ص ٥٨ .
(٢١) معجم البلدان ٨/٤٢٥ .

وإلى الشمال من ذلك نجد من هذه الجبال قرب مكة «دائرة» ، وهو الجبل الذي يحجز بين نخلة اليانية ، ونخلة الشامية ، وقد كانت تنزل على مياهه بنو مرة من هذيل ، وبعض بني لحيان منهم^(٢٢) ، ويمتد إلى الشمال منه «شمنصير» ، وهو جبل شامخ تكثر من حوله العيون التي يفيض منها الماء^(٢٣) ، وبغربي شمنصير تقع الحديبية ، وهناك مسجد الشجرة^(٢٤) . ويتصل بهذا الجبل قرية أخرى يقال لها «ضرعاء» كانت بعد الإسلام ذات قصور ومنبر وحصون ، وتشترك فيها هذيل وعامر بن صعصعة^(٢٥) ، ويذكر البكري في معجمه ، وينقل عنه البغدادي في خزائنه أنها غير ضرعاء التي قال إنها هي الأخرى لهذيل ، وبني غاضرة ، وبني عامر بن صعصعة^(٢٦) ، ويمتد شمنصير نحو الجنوب حتى يجاوره جبل صغير يقال له ضُعاضع ، وعنده سد كبير يجتمع فيه الماء^(٢٧) ، وبه قرى صغيرة لسعد ومسروح ، وفي سعد هذه نشأ النبي ﷺ ، وهذيل وفهم تجاوران سعداً في هذا المكان^(٢٨) .

وجبال السراة سواء ما كان منها في الجنوب ، والجنوب الشرقي متصلاً بالطائف وعرفة وما حولهما ، أو ما كان منها في الشمال بين مكة والمدينة - كلها تخترقها الأودية والشعاب ومسائل الماء التي نجد بعضها في سفوحها الشرقية المواجهة لنجد ، وأكثرها في سفوحها الغربية المواجهة للبحر^(٢٩) .

وفي جنوب مكة ، وجنوبها الشرقي ، وهو سراة هذيل الجنوبية نجد من هذه الأودية النخب ، وقد رواه ياقوت عن السَّكُونِي بفتح النون وكسر الحاء ، وعن الأخفش بفتحهما ، وقال إنه واد بأرض هذيل بينه وبين

(٢٢) معجم ما استمع ٥٣٠/٢ .

(٢٣) المرجع السابق ٨١٠/٢ .

(٢٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢٥) معجم البلدان ٤٢٨/٥ .

(٢٦) معجم ما استمع ٨٥٨/٣ .

(٢٧) معجم البلدان ٤٣٥/٥ .

(٢٨) معجم ما استمع ٨١٠/٢ .

(٢٩) معجم البلدان ٢٧٢/٨ ، ٢٧٣ .

الطائف ساعة ، فهو واد بناحية الطائف ، والخارج من الطائف من جهتها الشمالية يبدو له هذا الوادي أول ما تترأى له باديته^(٣٠) ، وقد مرّ به الرسول ﷺ في طريقه إلى الطائف قبل الهجرة يدعو ثقيفاً إلى الاسلام^(٣١) ، ومن المأثور أن هذا الوادي هو وادي النمل^(٣٢) الذي ذكره القرآن الكريم في قصة سليمان عليه السلام^(٣٣) .

ومن هذه الأودية التي لهذيل وادي عُرنة^(٣٤) ، ويقع بين عرفة وجبلين هناك يسميان بالمأزمين بينهما طريق ضيق يفضي بالحجيج إلى عُرنة ثم إلى عَرَفة . فهذا الوادي هو غير وادي عرفة كما يقول الإصطخري والهمداني^(٣٥) ، لا عرفة نفسها (كما يقول البكري)^(٣٦) ، ومع هذا فهما متجاوران غير أن عرفة من الحل ، وعُرنة من الحرم ، وتقع قبل عرفة في طريق القادم من المزدلفة .

وفي عُرنة هذه وما والاها كان ينزل سفيان بن خالد بن نُبَيْح الهذلي اللحياني في جماعة من لحيان وغيرهم ، وكان يجمع الجموع لحرب النبي والمسلمين ، وإليها وصلت سرية عبد الله بن أنيس لاحتباط المؤامرة فقتل زعيمها ، وقضى على حركته الآثمة^(٣٧) كما سبق أن أشرنا .

ومن أوديتهم في الجنوب أيضاً نَعْمَان^(٣٨) ، ويقع بعد عرفة في طريق الذهاب إلى الطائف^(٣٩) ، ويسلك المتجه إليه طريق مَنَى إلى المزدلفة ،

(٣٠) في منزل الوحي ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٣١) معجم البلدان ٢٧٢/٨ .

(٣٢) في منزل الوحي ص ٣٥٦ .

(٣٣) سورة النمل (٢٧) الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٣٤) صفة جزيرة العرب ص ١٧٣ .

(٣٥) مسالك الممالك ص ١٥ . صفة جزيرة العرب ص ١٧٣ .

(٣٦) معجم ما استعجم ٩٣٥/٣ .

(٣٧) طبقات ابن سعد ٣/٣٥٥ . الديميري : حياة الحيوان ٢/٢٣٤ .

(٣٨) صفة جزيرة العرب ص ١٧٣ - شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٥٨ .

(٣٩) كحالة : حفرافة شه جزيره العرب ص ١٧٥ . صفة جزيرة العرب ص ١٥٣ .

فعرفات^(٤٠) ، ويمتد الطريق بعده إلى شَدَاد على سفح جبل كراء الذي يحيط ببادية الطائف كما سبقت الإشارة .

وفي نعمان مكان يسمى القَدُوم ، كان من منازل بني واثلة بن مطحَل من بني سهم من هذيل ، وفيه أغار عليهم بنو ظفر من بني سُليم في يوم القدوم^(٤١) .

وهذا الوادي كان ينزله بعض بني قُريم بن صاهلة أيضاً ، وقد أغار عليهم فيه بنو مُذَلج ، وكان لقريم النصر عليهم^(٤٢) .

ويذكر الأصمعي أن هذا الوادي يسكنه بنو عمرو بن الجارث بن تميم ابن أسعد بن هذيل^(٤٣) ، وفي شعر حذيفة بن أنس الهذلي - أحمر بني عمرو - ما يؤيد ذلك إذ يقول :

كَأَنَّ بَنِي عَمْرٍو يَرَادُ بِدَارِهِمْ بِنَعْمَانَ رَاعٍ فِي أَدِيمَةٍ مُغْرِبٍ^(٤٤)
ويقول :

وَمَا نَحْنُ إِلَّا أَهْلُ دَارٍ مَقِيمَةٍ بِنَعْمَانَ مِنْ عَادَتِ النَّاسِ ضُرْتُ^(٤٥)
وكذلك الشأن في شعر أمية بن أبي عائد ، وهو الآخر أحد بني عمرو هؤلاء . ويبدو أنهم كانوا ذوي منعة في هذا المكان ، فلقد نجد صدى ذلك في شعر هذا الشاعر بصورة واضحة^(٤٦) .

ومن بلاد هذيل وجبالها بهذا الوادي الأصدار ، وهو صدور الوادي التي

(٤٠) في منزل الوحي ص ٢٩٩ .

(٤١) البقرة ص ٤ .

(٤٢) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٤٣) المرجع نفسه ص ١٣٠ .

(٤٤) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ٢٥ ، ٢٩ .

(٤٥) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ٢٩ .

(٤٦) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢١٤ .

يجيء منها العسل إلى مكة (٤٧).

وينبئنا البكري أن بني عمرو كانوا ينزلون من هذا الوادي في موضع يقال له أدّيمة (٤٨).

ومن أماكن هذيل في وادي نعمان ضيم ، وعَرَعَر ، وهما مكانان متصلان في هذا الوادي (٤٩).

ومن جبال هذا الوادي يعرج ، وفيه طريق إلى الطائف أسفل له لبني المُلْجَم من هذيل ، وأعلاه لزُليفة من هذيل أيضاً (٥٠).

ونعمان هذا هو الذي يسمى « نعمان الأكبر » ، وهو غير نعمان الأراك بمكة (٥١) ، ويقع هذا الأخير في شاليها ، وبه التنعيم الذي يقع بظاهر مكة على طريق القوافل إلى المدينة ، وعلى مسافة أربعة أميال من مكة (٥٢) ، وبه أقرب أعلام الحرم إليها (٥٣).

وكثيراً ما تخلط المراجع بين وادي نعمان هذين لاشتراكهما في الاسم ، والحق أنهما واديان مختلفان يحملان اسماً واحداً (٥٤).

ويذكر ابن حزم أن نعمان هذا الذي في شالي مكة هو الآخر من بلاد هذيل ، وأن سواعاً صنم هذيل كان في هذا الوادي (٥٥).

ومن أودية هذيل في الجنوب العرج ، وهو أحد أودية الطائف مجاور

(٤٧) معجم البلدان ٣٠٠/٨ ، تاج العروس (نعم).

(٤٨) معجم ما استعجم ١١٦٤/٤ .

(٤٩) معجم البلدان (عرعر).

(٥٠) معجم البلدان ٥٠٩/٨ .

(٥١) اللسان (نعم).

(٥٢) تاج العروس (نعم).

(٥٣) في منزل الوحي ص ٢٨٣ .

(٥٤) ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٣٣٦ .

(٥٥) حجرة أنساب العرب ص ٤٥٧ وما بعدها .

لوادي النَّخْب^(٥٦) ، فيروي ياقوت عن الأصمعي أن من أودية الطائف وادياً يقال له العرج ، وهو غير العرج الذي بين مكة والمدينة^(٥٧) ، ويقول في موضع آخر من كتابه إن جبل كبكب المعروف قريب من عرفة مشرف على هذا العرج . وهذه الروايات تعطينا صورة عن مكان العرج بين الطائف وعرفة ، وأنه كان من منازل هذيل وبني نصر بن معاوية .

تهامة :

وهذه السلسلة من جبال السراة تتدرج في الانحدار جهة الشرق ، ولكنها تنحدر فجأة جهة الغرب ، وتترك بينها وبين ساحل البحر سهلاً ساحلياً يُعرف بالغور أو تهامة ، ويعرف في الحجاز بتهامة الحجاز . وكانت تهامة الحجاز هي الأخرى من مواطن الهذليين التي انتشرت فيها بطونهم وعشائرهم ، فكانوا يسكنون السفوح الغربية للسراة ، وهي مواجهة لتهامة ، وكانت تجاورهم في هذه الأماكن خزيمة التي كانت تنزل في أسفل هذه السفوح في أماكن تخترقها الشعاب والأودية ، ومسائل الماء في طريقها إلى البحر^(٥٨) .

وكانت كنانة ، وهي أهم قبائل خزيمة تعيش في ذلك السهل الساحلي ، وتمتد فبه على شاطئ البحر مسافات طويلة من تهامة الحجاز ، وتشركها هذيل في كثير من هذه الأودية والشعاب^(٥٩) ، ومنها « حَلْيَة »^(٦٠) وكان ينزل به مع الهذليين بعض بني ثابر وهم حي من الأزد^(٦١) . ومنها

(٥٦) الألوحي : بلوغ الأرب ١/١٩٨ .

(٥٧) معجم البلدان ٦/١٤٠ .

(٥٨) معجم ما استعجم ١/٨٨ .

(٥٩) المرجع السابق (نفس الموضع) .

(٦٠) الجبال والأمكنة والمياه ص ٤١٥ . معجم البلدان ٣/٣١٩ .

(٦١) البقية ص ٣٣ ، ٣٤ .

« السَّرين » (٦٢) ، وبينه وبين مكة تسعة أميال (٦٣) ، وتقع به بلدة باسمه قريباً من جُدَّة (٦٤) .

ومن هذه الأودية « أدام » (٦٥) ، وقد قيل إنه أشهر أودية مكة (٦٦) ، وبينه وبين مكة اثنا عشر ميلاً (٦٧) . وقد كان ينزل في صدر أدام هذا جماعة من بني صاهلة من هذيل (٦٨) .

ومنها « الضَّجَن » (٦٩) ، وكان ينزل به بعض بني لحيان (٧٠) ، و « الضَّجَز » (٧١) ، و « الحَدَّة » (٧٢) ، و « مَلَّكان » (٧٣) ، و « ذات البشام » ، وهو من بلاد هذيل بعرنة (٧٤) ، وكان ينزل به بعض بني لحيان ، وبني سهم من هذيل (٧٥) .

وقريباً من ذلك المكان نجد « الجُرف » القريب من ودَّان ، وهو من منازل بني سهم بن معاوية المذكورين ، وفيه أوقعت بنو سُليم بهم في إحدى غاراتها عليهم (٧٦) .

:

-
- (٦٢) ديوان الهذليين ١٣٩/٢ .
(٦٣) تاريخ ابن الجاور ص ٤٠ ، ٤١ .
(٦٤) معجم البلدان ٨١/٥ .
(٦٥) المرجع السابق ١٥٥/١ .
(٦٦) تاج العروس (أدم) .
(٦٧) تاريخ ابن الجاور ص ٤٠ ، ٤١ .
(٦٨) النقبه ص ٤٥ .
(٦٩) الحبال والأمكنة والمياه ص ١٠١ . معجم البلدان ٤٤٦/٥ .
(٧٠) البقعة ص ١٣ .
(٧١) معجم قبائل العرب ٩٩٧/٣ .
(٧٢) معجم البلدان ٣٢٢/٣ .
(٧٣) الحبال والأمكنة والمياه ص ١٤٤ .
(٧٤) معجم البلدان ١٨١/٢ .
(٧٥) البقعة ص ٦١ . الخزانة (السلمة) ٤١٧/١ .
(٧٦) معجم ما استعجم ٣٨٦/١ - معجم البلدان ٨٤/٣ .

. ومن الأودية المذكورة « سَعْيَا ، ومركوب » (٧٧) ، وقد وردا كثيراً - كما ورد غيرهما - في شعر هذيل ، ومن ذلك قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي من قصيدة ترثيه :

أبلغ بني كاهل عني مغلفة والقوم من دونهم سعيّاً ومركوب
أبلغ هذيلاً وأبلغ من يبلّغها عني رسولاً وبعض القول تكذيب
بأن ذا الكلب عمراً خيرهم نسبا ببطن شريان يعوي عنده اللّذّيب (٧٨)
وبطن شريان هذا هو الموضع الذي قتل فيه (٧٩).

وربما كان الوادي الأخير - وادي مركوب - من أقصى هذه الأودية نحو الجنوب ، فهو يقع خلف يللم (٨٠) الذي هو ميقات أهل اليمن .
وهذه الأودية أعلاها لهذيل ، وأسفلها لكنانة .



ومن جبال تهامة في شمالي مكة ضَجْنان ، وبينه وبين مكة اثنا عشر ميلاً تقريباً ، وهو لأسلم ، وهذيل ، وغاضرة ، وله ذكر في حديث الإسراء (٨١) ، وفي أسفله كُرَاع الغميم ، وهو واد يقع بين ضَجْنان وعُسفان (٨٢) على ثمانية أميال منها (٨٣) ، وعسفان هذه تقع على طريق القوافل بين مكة والمدينة ، وهي إحدى مناهل هذا الطريق بين الجُحفة ومكة على مرحلتين من مكة (٨٤) ، وهي من مساكن بني لحيان (٨٥) ، ويشاركون فيها بنو المصطلق من

(٧٧) الجبال والأمكنة والمياه ص ٧٩ .

(٧٨) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ١٢٥ .

(٧٩) المرجع السابق نفس الموضع .

(٨٠) تاج العروس (ركب) .

(٨١) معجم البلدان ٤٢٦/٥ .

(٨٢) القاضي عياض : مشارق الأنوار ٣٥٠/١ .

(٨٣) معجم البلدان ١٢٢/٢ .

(٨٤) المرجع السابق ١٧٣/٦ . بهجت : الأمكنة والبقاع ص ١٥٠ .

(٨٥) معجم البلدان ١٧٣/٦ .

خزاعة^(٨٦)، وبالقرب منها من جهة الجنوب ماء الرجيع الذي يقع بينها وبين مكة^(٨٧)، وهو من مياه لحيان، وعنده غدرت لحيان برهط من المسلمين، وأوقعوا بهم في يوم الرجيع كما سبقت الإشارة^(٨٨).

ومن أودية لحيان في هذه الأماكن قريباً من عسفان وادي رهاط، وهو واد كبير في غربه تقع الحديبية، وهذا الوادي يجاور نِعمان الشمالي، وقد سبق أن عرضنا لما قيل من أن سواعاً صنم هذيل كان في نِعمان، ولكن يذكر ابن الكلبي أنه كان برهاط^(٨٩). ولعل قرب المكانين كان هو السبب في هذا الخلاف.

وفي أطراف وادي رهاط بالقرب من مكة تقع قرية رهاط على ثلاثة أميال منها^(٩٠)، ويبدو - على الرغم مما هنالك من خلاف - أنها كانت مقر هذا الصنم، فقد كان بنو لحيان أهل هذه الناحية هم سدنة سواع في الجاهلية^(٩١).

وقد كان يسمى وادي رهاط: وادي غُرَّان أيضاً. وهذا الوادي خصيب، وبه عيون جارية، ونخل كثير^(٩٢)، وفي رهاط أو غُرَّان كانت مساكن بني لحيان كما سبقت الإشارة، وإلى غُرَّان انتهى النبي ﷺ في غزوته بعد فتح بني قريظة يريد بني لحيان هؤلاء مطالباً بأصحاب الرجيع^(٩٣).

(٨٦) معجم ما استعجم ٩٣٩/٣.

(٨٧) المرجع السابق ٦٤١/٢.

(٨٨) سيرة ابن هشام ٢٧٩/٢ - معجم ما استعجم ٦٤١/٢. الطبري ٢٩/٣، ٣٠. في منزل الوحي ص ٢٨٤.

(٨٩) الأصنام ص ٩، ١٠.

(٩٠) معجم ما استعجم ٦٤٦/٢.

(٩١) الأصنام ص ٩. بلوغ الأرب ٢١٧/٢.

(٩٢) أخبار مكة ٧٨/١.

(٩٣) معجم ما استعجم ٩٩٢/٣.

وبين هذا الوادي ووادي أمج ميل واحد^(٩٤) . وأمج وساية متجاوران ،
أو هما شيء واحد ، وهو واد عظيم به أكثر من سبعين عيناً كما يذكر
ياقوت في معجمه^(٩٥) .

وأمج هذا من مساكن خزاعة ، فهي إذن كانت تجاور هذيلًا بعامة ،
وبني لحيان منهم بخاصة في بعض هذه الأماكن .

ومن مظاهر المشاركة والمجاورة بين هذيل وخزاعة اشتراكهما في عبادة
مناة^(٩٦) التي يقال إنها كانت صخرة بقُدَيْد ، وهو واد بين عُسْفان
والمدينة^(٩٧) ، كما يقال إنها صنم في جهة البحر مما يلي قُدَيْدًا^(٩٨) .

ونجد كذلك الكَدِيد ، وهي قرية جداً من عسفان وجران ، وكان بعض
بني لحيان ، وبني جندع بن ليث ينزلون في هذا المكان حين أغارت عليهم
جميعاً خيل رسول الله ﷺ بالكديد ، بعد أن دلهم عليه رجل من خزاعة ،
فوجدت عليه بنو بكر ، وبنو لحيان^(٩٩) .

ومن منازل لحيان شمال القديد ذو دروان ، ورسمه في بعض المراجع
دوران بتقديم الواو على الراء^(١٠٠) ، وهو واد يأتي من شمنصير^(١٠١) .
وبجوار ذي دروان تقع نَقْرَى ، وهي حرّة من حرار الحجاز كان ينزل
بها بنو لحيان ، وبنو خزاعة^(١٠٢) .

(٩٤) مشارق الأنوار ٥٨/١ أخبار مكة ٧٩/١ .

(٩٥) معجم البلدان ٢٩٦/٥ .

(٩٦) الأصنام ص ١٤ . الزمخشري : الكشف ١٤٥/٣ الألوسي : بلوغ الأرب ٢٠٢/٢ .

(٩٧) الأزرقي : أخبار مكة ٧٤/١ .

(٩٨) معجم البلدان ١٦٧/٨ .

(٩٩) البقبة ص ٥٦ .

(١٠٠) معجم ما استعجم ٥٦١/٢ .

(١٠١) معجم البلدان ٩٦/٤ .

(١٠٢) معجم ما استعجم ٣٨٥/٢ - مشارق الأنوار ١٦٩/١ .

ومن الأماكن المحدودة في هذه الجهة جُمدان ، بين أمج وعسفان^(١٠٣) ، وبين قديد وعسفان^(١٠٤) ، فهي تقع في مثلث رؤوسه هذه الأماكن الثلاثة ، ويسوق الأزرقى رواية عن مسير تبع إلى مكة ، ورد في ثناياها أن تبعاً هذا نزل في بعض نواحي جمدان ، وهو في طريقه إلى الحرم^(١٠٥) . وفي النفس شيء من هذه الرواية ؛ لأن جمدان في شمالي مكة ، وليست في طريق تبع من اليمن إلى البيت الحرام .

ويذكر القاضي عياض أن جمدان من منازل أسلم^(١٠٦) ، وأسلم هذه من خزاعة التي أشرنا إلى جوارها لهذيل في هذه الأماكن ، وقد كان بينها وبين هذيل إحن وتارات بقيت مظاهرها إلى فجر الإسلام ، حتى بعد إسلام خزاعة^(١٠٧) .

ومن أقرب هذه الأودية إلى مكة وادي سرف ، ويقع شمال التنعيم على طريق القوافل الصادرة من مكة إلى المدينة ، وكان ينزل به بعض بني لحيان مجاورين لبني ليث بن بكر^(١٠٨) .

وكانت تقع قرية سرف على بضعة أمبال من مكة ، وبطن سرف سمي بعد ذلك بالنواريّة ، ويقع بين التنعيم ، ووادي فاطمة^(١٠٩) ، ولفظ سرف اليوم يطلق أغلب ما يطلق على «مسجد ميمونة» ، فأطلاله هي الأثر الوحيد الباقي في هذه الناحية^(١١٠) .

وأهم أودية هذيل في شرقي مكة ، وجنوبها الشرقي نخلة اليانية ، ونخلة

(١٠٣) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٦٧

(١٠٤) أحبار مكة ٧٩/١ ، ٨٠ ، ١٥٦

(١٠٥) المرجع السابق ٧٦/١

(١٠٦) مشارق الأنوار ١٦٩/١ .

(١٠٧) أحبار مكة ٩٧/٢ وما بعدها

(١٠٨) السقنة ص ٣٨ .

(١٠٩) الجامع اللطيف ص ٢٩٥

(١١٠) في مرل الوحي ص ٢٨٧

الشامية ، وهما واديان كبيران .

ونخلة اليمانية هي مسلك حجاج جنوبي نجد ، والحساء وعمان واليمن .
أما نخلة الشامية النافذة إلى ذات عِرق ، فهي مسلك حجاج العراق ،
وشمالٍ نجد .

وسكان هذين الواديين أغلبهم من هذيل^(١١١) .
وسيول نخلة اليمانية أعلاها من وادي قرْن ، قريباً من قرن المنازل
مِقات حجاج نجد ، والتي تسمى الآن السبل^(١١٢) .

ومن أودية نخلة اليمانية وادي يدَعان ، وبه مسجد للرسول ، وفي هذا
الوادي عسكرت هوازن يوم حنين^(١١٣) ، ويدعان لم يتغير اسمه حتى الآن ،
وإن كان أهل الحجاز قد أبدلوا ياءه جيماً فقالوا « جدعان »^(١١٤) .

ومن قرى نخلة اليمانية الزَّيْمة^(١١٥) ، وهي لا تزال قائمة باسمها إلى اليوم
في طريق الطائف مجاورة لوادي حنين^(١١٦) .

ويقول بعض الباحثين إن وادي نخلة هو المسمى الآن بالسيل
الكبير^(١١٧) . ويبدو أن هذا قد يصدق على جزء من نخلة اليمانية وحدها ،
فهي الضاربة إلى الجنوب على هذا النحو ، ثم إن السيل الكبير يقع في
جنوب الزَّيْمة التي سبق القول بأنها من قرى نخلة اليمانية ، ومما يؤيد ذلك
أيضاً أنه لا يزال الطريق بين الزَّيْمة ، وبين السيل الكبير يحمل اسم « درب
اليانبة »^(١١٨) ، وقد مر الرسول بنخلة اليمانية منصرفه من حنين في طريقه

(١١١) صحيح الأخبار ٣٥/١ .

(١١٢) أخبار مكة ٢٥١/٢ .

(١١٣) معجم البلدان ٢٧٥/٨ .

(١١٤) صحيح الأخبار ٧٦/١ .

(١١٥) تاج العروس (زم) .

(١١٦) في منزل الوحي ص ٣١٦ .

(١١٧) المرجع السابق ص ١٨٦ .

(١١٨) المرجع نفسه ص ٣١٨ .

الى حصار الطائف^(١١٩).

ومن شعاب نخلة اليانية أبا م وأبيم ، وهما لهذيل^(١٢٠) ، وعُشَر ، وهو شِعب لهذيل قرب مكة ، يستمد ماءه من جبل داءة الذي يفصل بين وادي نخلة^(١٢١) المذكورين .

ومن هذه الشعاب الضهيأتان ، وهما شعبان آخران تجاه عُشَر ، ويجاورهما جبل يسمى المرقبة ، كان رقباء هذيل يرقبون فيه أعداءها وضحاياها^(١٢٢) ، ولعله الجبل المسمى الآن بالعرقوب ، وهو آخر جبال نخلة اليانية^(١٢٣) .

ومن جبالها يسومان أو السُومان كما يسميان عند أعراب هذه الجهات اليوم ، وهما جيلان يقعان على جانبي درب اليانية بين الزيمة والسييل الكبير عند نهايته في طريق الذهاب إلى الطائف^(١٢٤) . ويفصل بينهما وبين الضهيأتين جبل المرقبة^(١٢٥) السابق ذكره .

وقريباً من قرن المنازل تقع جبال مرخة التي لا زالت تحمل اسمها إلى هذا العهد^(١٢٦) ، وهما مرختان : شمالية وتسمى بالمرخة الشامية ، وجنوبية وتسمى بالمرخة اليانية ، وكان بالشامية منهما بنو قريم بن صاهلة^(١٢٧) من الهذليين ، وبالمرخة اليانية كان يقيم بنو عضل جيران هذيل^(١٢٨) .

هذا ، ومن المراجع ما يسوق أن المرختين جميعاً تعدّان من منازل

(١١٩) سيرة ابن هشام ٤٨١/٢ . صحيح الأخبار ١٣٨/٢ .

(١٢٠) معجم البلدان ١٠١٤ ، ٦٩/١ - تاج العروس (أم) .

(٢١) معجم البلدان ١٨٩/٦ . تاج العروس (عشر) .

(١٢٢) صحيح الأخبار ١٤٨/٢ . معجم البلدان ٤٤٣/٥

(١٢٣) صحيح الأخبار ١٤٩/١ .

(١٢٤) في منزل الوحي ص ٣١٩ .

(١٢٥) معجم البلدان ٤٤٣/٥ ، ٢٧/٨ ، ٢٨

(١٢٦) صحيح الأخبار ١٤٨/٢ .

(١٢٧) معجم البلدان ١٩/٨

(١٢٨) ديوان الهذليين : القسم الثالث ص ٤٠

هذيل^(١٢٩)، وقد ورد في البقية أن نخلة اليمانية عامة من منازل بني صاهلة^(١٣٠).

أما نخلة الشامية فتقع إلى الشمال من نخلة اليمانية. ولعل سرية عبد الله ابن جحش حين قدم إلى نخلة^(١٣١)، ليترصدها قريشاً، ويكون عبناً للمسلمين عليهم - كانت مهمتها هذه في نخلة الشامية؛ فهي أقرب هاتين النخلتين إلى مكة والمدينة معاً.

وتأتي سيول نخلة الشامية هذه من ذات عرق ميقات حجاج العراق التي درّست، وفي مكانها اليوم «الضريبة» التي يحرم منها حجاج العراق الآن^(١٣٢).

والجبال الواقعة في أعالي نخلة الشامية بذات عرق، وما يقاربها هي من بلاد نصر بن معاوية من هوازن، ويشاركهم فيها غطفان. وبنو نصر وغطفان أبناء عمومة ينتمون إلى قبس عيلان^(١٣٣). ويجاورهم في أعلى نخلة الشامية هذه أبناء عمومتهم من بني سعد بن بكر الذين كانوا أظآراً للنبي ﷺ^(١٣٤). وبعض بني سعد هؤلاء كانوا جيراناً لبني سهم من هذيل^(١٣٥).

ويسكن في نواحي نخلة الشامية من هذيل أيضاً بنو معاوية^(١٣٦) ويؤكد ذلك شعر صخر النغي من شعراء هذيل إذ يقول:

لو أن أصحابي بنو معاوية أهل جنوب نخلة الشاميه

(١٢٩) العباب الزاخر ورقة ٤٨.

(١٣٠) البقية ص ٣٤.

(١٣١) صحيح الأخبار ١/٣٥.

(١٣٢) في منزل الوحي ص ٦٨٢.

(١٣٣) تاج العروس (قبس).

(١٣٤) معجم البلدان ٨/٢٧٥.

(١٣٥) البقية ص ٥٤.

(١٣٦) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٣١.

ما تركوني للكلاب الماوية ولا لبردون أغر الناصيه (١٣٧)

ثم إن مالك بن عوف النصري ، وهو - كما مرّ - من جيران هذيل ، قد أغار على بني معاوية هؤلاء في هذه الأماكن ، ولأبي ذؤيب شعر قاله في هذه المناسبة (١٣٨) . ومالك بن عوف هذا كان قائد هوازن يوم حنين ، وقد أمر النبي بهدم حصن له ، وهو في طريقه إلى الطائف .

ومن كان ينزل أيضاً في نخلة الشامية من الهذليين بعض بني خناعة ، ولا سيما بني عامر بن سدوس الخناعي (١٣٩) .

وفي شمالي وادي نخلة الشامية تقع صُوائق ، وهي جبال حجازية واقعة بين بلاد هذيل ، وبلاد بني سليم ، وهي باقية على هذا الاسم إلى اليوم (١٤٠) .

وتجتمع سيول الواديين جميعاً « نخلة الشامية ونخلة اليمانية » عند المكان المسمى بالسد ، أو ببستان ابن معمر الذي يسميه الناس بستان ابن عامر ، فهناك يجتمع الواديان في بطن مرّ (١٤١) حيث يكونان وادياً واحداً هو وادي مر ، أو مر الظهران الذي أخذ اليوم اسماً جديداً هو « وادي فاطمة » ، ويستمر حتى يصب في البحر الأحمر (١٤٢) .

ومر الظهران يقع شمالي مكة بينها ، وبين عسفان ، وهو المرحلة الأولى في الطريق القديم (طريق القوافل) إلى المدينة . ومن مر إلى سرف سبعة أميال ، وإلى مكة ثلاثمائة شمر ميلاً (١٤٣) .

وينقل ياقوت عن عرّام أن « مرّاً » القرية ، و« الظهران » الوادي ،

(١٣٧) ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ٢٣٦ .

(١٣٨) ديوان الهذليين : القسم الأول ص ١٦٤ .

(١٣٩) البقبة ص ٥٨ .

(١٤٠) صحيح الأخبار ١/ ١٧٨ ، ٣٨٢ .

(١٤١) الصحاح (سدد) .

(١٤٢) صحيح الأخبار ١/ ٣٥ .

(١٤٣) معجم ما استمع ٣/ ٩٥٧ .

وأن بمرعيوناً كثيرة ، ونخلًا وجنّيزاً ، وهي لأسلم ، وهذيل ، وغازية^(١٤٤) .
ومن المراجع ما ينقل إلينا أن مرّ الظهران كان ينزل به بعض كنانة ،
ولهم فيه سوق هي لبني الدئل منهم خاصة^(١٤٥) ، وبه منازل كعب من خزاعة
إلى جانب هذيل^(١٤٦) .
وقريباً من مرّ الظهران يقع وادي الصفراء ، أو الصفراوات^(١٤٧) ، وهو
الآخر لهذيل^(١٤٨) .

وسهل ساية أو (السّيّ كما يعرف اليوم) هو الآخر قريب من عسفان ،
وينحدر ماءؤه جهة الغرب ، ويصب في أعلى وادي فاطمة . وبساية نخيل
ومزارع ، وسكانه بنو سليم^(١٤٩) الذين يجاورون هذيلًا في هذه الأماكن
وغيرها ، كما يجاورها غيرهم من القبائل والبطون التي أشرنا إليها .



وهكذا يتضح مكان هذيل بين القبائل العربية التي تكتنفها في أنحاء
الجزيرة ، ثم مكان هذه القبيلة وبطونها المشهورة مع جيرانها الأذنين ممن
تأثرت بهم أو أثرت فيهم من قبائل العرب كخزاعة وكنانة وسعد بن بكر
وهوازن وغطفان وغيرها ، وذلك في منطقة من الحجاز ، من حدود عسير
تقريباً في الجنوب إلى ما بعد عسفان شمالاً ، وتلك كانت مساكنهم في
الجاهلية ، ولكن ينسفي أن نلم بمواطنهم في الإسلام لما لذلك من أهمية في
الموضوع .

-
- (١٤٤) معجم البلدان ٩٠/٦ ، ٢١/٨ . صحيح الأخبار ١٣٧/٢ . تاج العروس (ظهر) .
(١٤٥) صحيح الأخبار ١٢٨/١ .
(١٤٦) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ص ٣٣٤ معجم البلدان ٢٨٩/٧ . القاضي عياض :
مشارك الأنوار ٣٩٤/١ .
تاج العروس (طرق) .
(١٤٧) مشارق الأنوار ٣٥/٢ .
(١٤٨) ديوان المهذلين ٦١/٣ .
(١٤٩) صحيح الأخبار ١٢٨/١ .

ثانياً - مواطن هذيل في الإسلام :

يذكر بعض المؤرخين أن هذيلًا تفرقت بعد الإسلام على الممالك ، ولم يبق لهم في الجزيرة العربية حي يطرق^(١٥٠) .

وهذا كلام فيه كثير من المبالغة والشطط ، فالحق أنه إن كان كثير منهم قد فارقوا الحجاز وتهامة إلى بلاد الإسلام الأخرى ، فإنه - مع هذا - قد بقي عدد منهم في منازلهم بالحجاز بعد الإسلام ؛ ففي صلة تاريخ الطبري أن الجنائي زعيم القرامطة صعد إلى سطح الكعبة ليقلع الميزاب ؛ فرماه بنو هذيل الأعراب من جبل أبي قبيس بالسهم فأزالوهم عنه^(١٥١) .

وفي الرحلة الحجازية للبتانوي نجد أن هذيلًا لا تزال تسكن الجبال بين مكة والطائف ، وأن عددها الآن يناهز عشرة آلاف نفس ، وأن بني لحيان بين مكة وجدة ، وعددهم ألف وخمسمائة^(١٥٢) .

والدكتور هيكل في تطوافه ببادية الطائف يطلعنا على أن بعض الجبال في هذه الجهات - ومن بينها جبال الطلحات - يقيم فيها قبائل الطلحات إحدى بطون هذيل في هذا العصر^(١٥٣) .

فالحق أن هذيلًا - أو ما بقي منها في بوادي الحجاز بعد الإسلام - لا يزالون يسكنون في مواطنهم القديمة منذ العصر الجاهلي ، وإن كان من المحتمل أن يكونوا قد انحسروا عن بعض هذه المواطن^(١٥٤) . ولكنهم مع ذلك لا يزالون يحتلون مواطن كثيرة مما كان لهم منذ الجاهلية الأولى ، فيذكر ابن بليهد النجدي أن هذيلًا « باقية في منازلها من العهد الجاهلي إلى هذا العهد في وادي نخلة اليمانية وجبالها ، ووادي نخلة الشامية وجبالها ،

(١٥٠) تاريخ ابن خلدون ٣١٩/٢ . معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ١٢١٣/٣ .

(١٥١) صلة تاريخ الطبري (العريب بن سعد القرطبي) ص ١٧٣ .

(١٥٢) الرحلة الحجازية ص ٥٢ .

(١٥٣) د . هيكل : في منزل الوحي (الطبعة الرابعة) ص ٣٧٩ .

(١٥٤) انظر الحمداقي : صفة جزيرة العرب ص ١٧٣ .

وتمتد منازلهم إلى عسفان شمالاً ، وإلى وادي حنين جنوباً ، وإن كان يذكر أن بني لحيان منازلهم الآن داخل الحرم من الأميال إلى مكة ، وما بين التنعيم ووادي فاطمة ، ويقرر أن هذه كانت منازلهم منذ العصر الجاهلي^(١٥٥) . وفي هذا تساهل كبير ، فما عرف أحد أن بني لحيان كانوا يسكنون داخل الحرم في العصر الجاهلي .

هذا ، وقد نقل عنه الدكتور جواد علي أن مساكن بني لحيان تقع في العصر الحاضر داخل الحرم^(١٥٦) ، ولكنه لم يشر إلى أن هذه كانت مساكنهم في الجاهلية .

ويسوق صاحب المنجد أن « مواطنهم في يومنا حول الطائف في جبل قُرّة ، وفي ظواهر مكة »^(١٥٧) .

والحق أنه ليس هنالك جبل يسمى بهذا الاسم ، وإنما هو جبل « كَرَّ » أو « كَرَاء » ، وقد سبقت الإشارة إلى أنهما من سلاسل الجبال المحيطة بالطائف (كَرَّ وكَرَاء والهدّة)^(١٥٨) .

ويبدو أن صاحب المنجد قد ترجم عبارته عن مقال « هذيل » في دائرة المعارف الإسلامية ، وملاحع عبارته هي ملاحع المقال مع الاختصار والإيجاز ، ومن هنا جاء اسم هذا الجبل عنده محرفاً ، إذ حُرِّف مرة في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية ، وأخرى من الإنجليزية إلى العربية نظراً لاختلاف الأصوات والحروف ، وطبيعة النطق في كل من اللغتين^(١٥٩) .

(١٥٥) صحيح الأخبار ١٨٦/٢ .

(١٥٦) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٢٩/٢ .

(١٥٧) المنجد ص ٥٥٠ .

(١٥٨) انظر (في منزل الوحي) ص ٣٦٦ .

(١٥٩) انظر Encyclopedia of Islam Vol 2, Hudhail, 329 .

مكة والمدينة :

وقد كانت هذيل في العصر الجاهلي يلم بعض أفرادها بالحضر القريب منها^(١٦٠) في مكة والمدينة وغيرهما ، كما يفعل الأعراب الآخرون ، ولكنها منذ فجر الإسلام لم تعد ميلاتها بالحضر مقصورة على ذلك ، وإنما بدأت جماعات من الهذليين تستقر في هذا الحضر ، ولا سيما مكة والمدينة ، فيذكر ياقوت أنه « لما قدم رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجراً أقطع الناس الدور والرابع ، فخط لبي زهرة في ناحية من مؤخرة المسجد ... وجعل لعبدالله وعتبة ابني مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد^(١٦١) ».

وقد ازداد على الأيام عدد هؤلاء الهذليين بالمدينة سواء من النازحين إليها ، أم من أبنائهم وأحفادهم الذين شبوا ونشأوا في ظلال هذا المجتمع الجديد .

فنجد من المسعوديين بالمدينة بعض الأعلام من العلماء والشعراء كعبيدالله بن عبدالله بن عتبة^(١٦٢) ، ووالده عبدالله بن عتبة العالم المحدث^(١٦٣) .

ولم يكن ذلك أمراً مقصوراً على المسعوديين فحسب ، بل كان بالمدينة كثير من الهذليين الآخرين منهم مسلم بن جندب الذي كان قاصّ مسجد الرسول ، وكان إمامهم وقارئهم^(١٦٤) ، وهو أستاذ نافع بن أبي نعيم^(١٦٥) ؛ وعبد الله بن مسلم بن جندب الذي كان إمام مسجد الأحزاب فيها^(١٦٦) ، والبريق

(١٦٠) الإصاة ١٥١/٢ .

(١٦١) معجم البلدان ٤٣٠/٧ . طبقات ابن سعد ١٠٨/٣ .

(١٦٢) سبط اللاكي ٧٨١/٢ - العقد الفريد ٢٠٤/١ .

(١٦٣) شذرات الذهب ٨١/١ .

(١٦٤) البيان والتبيين ٣٧٧/١ .

(١٦٥) إنباء الرواة ٢٦١/٣ .

(١٦٦) معجم البلدان ١٣٦/١ .

الهذلي الشاعر^(١٦٧) ، وأبو عمرو عبدالله بن الحارث الراوية^(١٦٨) ، والنضر بن سفيان الهذلي^(١٦٩) وأصيل بن عبدالله الهذلي^(١٧٠) ، وجندب بن سلامة الهذلي الذي أدرك الجاهلية ، وكان تاجراً بالمدينة في عهد عمر^(١٧١) .

فالهذليون الذين أقاموا بالمدينة في صدر الإسلام وبعده كثيرون ، وهذه أمثلة لم نقصد منها الحصر والإحصاء .

وقد كان يقيم في مكة أيضاً كثير من الهذليين ، فبذكر صاحب أخبار مكة أنه « كان يقيم في مكة آل أبي طرفة الهذليين ، وكان لهم جانب من رباع بني عامر بن لؤي ، ومن دورهم هناك دار أبي طرفة ، ودار الطلحين »^(١٧٢) .

وقد كان لكثير من هؤلاء الهذليين عطاء في خلافة ابن الزبير ، ومنهم أبو صخر الهذلي الذي كان هواه مع بني أمية ، وكثيراً ما كان يمدحهم^(١٧٣) ، ولذلك عندما دخل في هذيل منعه ابن الزبير عطاءه فهجاه^(١٧٤) . فأمر بحبسه إلى أن شفعت فيه هذيل ، ومن كان له فيهم خثولة من قرشب^(١٧٥) .



ولم يكن هذا شأن الهذليين في مدن الحجاز المشهورة وحدها مثل مكة والمدينة ، بل نزح كثيرون منهم إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى تحت راية الفتح الإسلامي وفي ظلاله ، شأنهم في ذلك شأن الكثيرين من العرب . ومنهم

-
- (١٦٧) النقة ص ٧٠ . المؤتلف والمختلف ص ٢٦٨
(١٦٨) معاهد التنصص ١٦٨/٢ .
(١٦٩) أسد الغابة ١٨/٥ .
(١٧٠) المرجع السابق ١٠١/١ .
(١٧١) الإصانة ٢٧٥/١ .
(١٧٢) الأرقعي : أخبار مكة ص ١١٣ .
(١٧٣) الحزانة (ط بولاق) ٢٣٧/٣ . تاج العروس (ربع) .
(١٧٤) الحزانة (بولاق) ٢٣٧/٣ .
(١٧٥) المرجع السابق ٥٥٦/١ .

من رحل إلى هذه الأقطار بدافع من طلب العلم، أو في ركاب السياسة والحكم، ثم هم في أصل حياتهم بدو رحل لا يعرفون الاستقرار، وقد كان آباؤهم وأجدادهم يرحلون في بادية كلها أو جلها خشونة وشظف، فلا عليهم أن يرحلوا هم أيضاً إذا كانت رحلاتهم هذه ستنتهي بهم إلى شيء غير قليل من الراحة والدعة في ظل هذا المجتمع الجديد؛ ولهذا كله ألقوا عصاهم في كثير من الأمصار الإسلامية، فمنهم من ذهب إلى نيسابور^(١٧٦)، ومنهم من شد الرحال إلى نصيبين^(١٧٧)، أو إلى مكران^(١٧٨) ثم إلى حلب^(١٧٩)، وحمص^(١٨٠)، والحلة^(١٨١)، واللاذقية^(١٨٢) من بلاد الشام، وكذلك بعض بلاد اليمن^(١٨٣).

ولكن أهم الأقاليم الإسلامية التي رحلوا إليها، وكان لهم في بعض جوانب الحياة فيها شأن إنما هي العراق والمغرب ومصر.

الهذليون في العراق :

: لا تخلو أمصار العراق المعروفة من وجود هذليين يشاركون في مجتمعاتها. والعراق إقليم إسلامي له من الخصائص ما جعل أفئدة كثيرين من العرب تهوى إليه.

وأهم أمصار العراق، وأجدرها بالنظر في هذا الشأن: الكوفة، والبصرة، وبغداد.

-
- (١٧٦) شدرات الذهب ٣ / ٢٠٨ .
 - (١٧٧) البيان والتبيين ١ / ٣٠٣ .
 - (١٧٨) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٣٨ .
 - (١٧٩) طبقات العراء ٣ / ٢٠٠ .
 - (١٨٠) الإصابة ٦ / ١٨٥ .
 - (١٨١) السيوطي: البغية ص ٤١٠ .
 - (١٨٢) طبقات القراء ١ / ٣٧٧ .
 - (١٨٣) تاج العروس (حجر) .

الكوفة :

كانت الكوفة من أكثر الأمصار الإسلامية استقبالا للوافدين من هذيل ، وربما كانت من أشدها تأثراً بهم ، فقد كان رأس الوافدين إليها من هؤلاء الهذليين عبدالله بن مسعود الذي ولاه عمر بيعة المال فيها^(١٨٤) ، فنزل بها ، وابتنى فيها داراً إلى جانب المسجد^(١٨٥) .

وقد كان لابن مسعود منزلة علمية رفيعة ، فأقبل عليه الكوفيون يأخذون عنه العلم ، وكأنا قد زادهم تحفياً به ، وإقبالاً عليه ما رأوه من تقدير الخلافة له ، وإعظامها لشأنه ، فقد كتب إليهم أمير المؤمنين عمر : «إني بعثت إليكم بعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وآثرتكم به على نفسي فخذوا عنه»^(١٨٦) .

وإلى جانب كونه فقيهاً كان محدثاً ، وكان من الأعلام المشهورين في علوم القرآن وقراءاته ، وقد أقبل عليه الكوفيون ، وتلمذوا له في هذا الفرع من الدراسات القرآنية ، وكان كثيرون منهم يفضلون قراءته على غيرها^(١٨٧) بل كانوا يتعصبون لها تعصباً شديداً ، وتخرج منهم على يده ، ويد تلاميذه كثير من مشاهير علماء القراءات في الكوفة من أمثال زرّ بن حُبَيْش تلميذ ابن مسعود نفسه ، وأبي بكر بن عياش ، وعاصم بن أبي النّجود أحد القراء السبعة ، وشيخ الإقراء بالكوفة في عهده^(١٨٨) ، ومنهم سليمان بن مهران الأعمش^(١٨٩) ، ويحيى بن وثاب ، وأستاذه مسروق^(١٩٠) ، وطلحة بن

(١٨٤) الأخبار الطوال ص ١٢٩ ، الزركلي : الأعلام ٥٨٥/٢ .

(١٨٥) طبقات ابن سعد ١١/١٠ .

(١٨٦) المرجع السابق ١١١/٣ .

(١٨٧) طبقات القراء ٣٨٠/٢ .

(١٨٨) طبقات القراء ٣٤٦/١ .

(١٨٩) المرجع السابق ٣١٥/١ .

(١٩٠) المرجع السابق ٢٩٤/٢ .

مصرف^(١٩١)، وغيرهم كثير^(١٩٢). وكذلك الربيع بن خيثم الكوفي التابعي أخذ القراءة عن ابن مسعود^(١٩٣)، وأبو عمرو الشيباني عالم اللغة المشهور بالكوفة، والذي كان يقرئ الناس بمسجدها له أيضاً رواية عن ابن مسعود^(١٩٤)، ثم إن حمزة وهو أحد القراء السبعة تنتهي قراءته إلى ابن مسعود^(١٩٥)، والمفضل الضبي العالم النحوي الراوية كان من القراء الذين أخذوا عن عاصم، وعن الأعمش^(١٩٦)، وكلاهما - كما سبق - تنتهي قراءته إلى ابن مسعود^(١٩٧).

وهكذا نجد أن تلاميذ ابن مسعود من قراء الكوفة أكثر من أن نحصيهم عدداً، ومن هؤلاء بعض الهذليين أنفسهم مثل أبي عبيدة معن بن عبد الرحمن ابن عبدالله بن مسعود الذي روى القراءة عن الأعمش^(١٩٨)، ومحمد بن أبي عبيدة هذا، وقد روى القراءة عن حمزة^(١٩٩).

وكثيراً ما نجد أن علماء اللغة والنحو في الكوفة من القراء، وربما كان كثيرون منهم من مدرسة ابن مسعود نفسه، كالمفضل الضبي، وأبي عمرو الشيباني، وقد سبقت إليهما الإشارة. والقراء النحوي الكوفي المعروف روى القراءة عن أبي بكر بن عياش، وعلي بن حمزة الكسائي^(٢٠٠)، ومحمد بن الحسن بن يونس أبو العباس الهذلي المعداد في نخبة الكوفة كان هو الآخر

-
- (١٩١) المرجع نفسه ٣٧٧/١.
(١٩٢) المرجع نفسه ٣٧٧/١، ٤٥٨.
(١٩٣) نفس المرجع ٢٨٣/١.
(١٩٤) شذرات الذهب ١١٣/١.
طبقات القراء ٣٠٣/١.
(١٩٥) المرجع الأخير ٤٥٨/١.
(١٩٦) المرجع السابق ٤٠٣/٢.
(١٩٧) المرجع نفسه ٤٥٨/١.
(١٩٨) طبقات القراء ٦٠٢/١.
(١٩٩) المرجع السابق (نفس الموضوع).
(٢٠٠) المرجع نفسه ٣٧٠/٢.

من القراء^(٢٠١) بل إن رأس مدرسة الكوفة النحوية ، وهو الكسائي هو نفسه من القراء السبعة المعروفين .

ولهذا كانت القراءات بعامة ، وقراءة ابن مسعود بخاصة ذات أثر عميق في المدرسة الكوفية ، حتى إنهم - على عكس البصريين - يعتدون بها ، إلى جانب الشعر مصدراً هاماً من مصادر النحو الكوفي ، فهم من أكثر الناس إدراكاً لفضل هذه القراءات والاعتداد بها في النحو واللغة ؛ لما يحوطها من سياق ينأى بها عن الوضع والانتحال اللذين قد يستهدف لهما الشعر ، ويبعد بها عن الخطأ الذي يحدث - أحياناً - عند الرواية عن الأعراب الذين قد لا تحسن نيتهم في كل ما يرويه عنهم علماء اللغة ورواتها .

وهكذا نرى أثر ابن مسعود وتلاميذه واضحاً في قراء الكوفة ، وفي غيرهم من علماء العربية ، وقد يلمس الباحث ذلك بجلاء في منهج النحو والنحاة في مدرسة الكوفة .

هذا ، وقد كان من علماء الكوفة المهذليين ذلك النحوي اللغوي علي بن حازم « اللحياني » الذي أخذ عن الكسائي وغيره ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بين سلام ، وهو من بني لحيان بن هذيل^(٢٠٢) .

ومنهم عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان قاضياً لمصعب بن الزبير على الكوفة^(٢٠٣) ، وعون بن عبد الله بن عتبة ، وكان راوية ناسباً شاعراً^(٢٠٤) ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة وكان من المحدثين^(٢٠٥) ، والقاسم بن معن ابن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود الذي كان من علماء الكوفة بالعربية ،

(٢٠١) البغية ص ٣٦ . طبقات القراء ٢/٢٩ ، ٢٨٩ .

(٢٠٢) معجم الأدباء ١٤/١٠٦ - بغية الوعاة ص ٣٤٦ .

تاريخ العرب قبل الاسلام ٣/٤٢٩

(٢٠٣) طبقات ابن سعد ١٠/٨٢ - أسد الغابة ٢/٣١٦ - الإصابة ٤/١٠٠ .

(٢٠٤) البيان والتبيين ١/٤٤٣ .

(٢٠٥) شذرات الذهب ١/٢٤٧ .

والفقه ، والحديث ، والشعر ، والأخبار^(٢٠٦) ، وكان قد ولي القضاء بالكوفة^(٢٠٧) ، وهو أستاذ لأن الأعرابي من الكوفيين البارزين^(٢٠٨) .

فكانت بيئة الكوفة - كما سبق أن أشرنا - غنية بآثار الهذليين وتلاميذهم في اللغة والعلم والأدب جميعاً .

البصرة :

نزل البصرة من الهذليين عدد ليس بالقليل ولكن الآثار التي نجدها لهؤلاء الهذليين فيها ربما كانت أقل من نظائرها في الكوفة ؛ لأن حظ البصرة من النابيين من هذيل كان - فيما يبدو - أقل من حظ الكوفة منهم .

وقد كانت هذه الآثار - غالباً - في ميدان غير ميدان البحث اللغوي ، والنحوي ، وقراءات القرآن الكريم ، فقد اتفق أن كان أغلب هؤلاء من المحدثين المقلّين من أمثال أبي المليلح الهذلي^(٢٠٩) الذي كان عاملاً على الأبله ، وكان يشهد الجمعة في البصرة ، وهو من المعدودين في البصريين^(٢١٠) . ومحمد ابن أبي المليلح الذي ذكره ابن حبان في الثقات ، وذكر أنه قد روى عنه البصريون^(٢١١) ، وأبو عزة الهذلي^(٢١٢) ، وهو صحابي من بني طابخة بن لحبان^(٢١٣) ، ونُبَيْشَة الخير ، وهو الآخر صحابي من بني لحبان^(٢١٤) ، وحمل بن مالك بن النابغة من بني طابخة بين لحبان أيضاً ، وهو من أصحاب الرسول ، وكان قد استعمله النبي على صدقات هذيل ، وقيل إنه روى عنه ابن

(٢٠٦) البغية ص ٣٨١ - معجم الأدباء ٥/١٧ .

(٢٠٧) الزبدي : الطبقات ص ١٤٦ - معجم الأدباء ٥/١٧ .

(٢٠٨) معجم الأدباء ١٨/١٨٩ .

(٢٠٩) صحيح مسلم ٣/١٥٣ .

(٢١٠) طبقات ابن سعد ١١/١٥٩ .

(٢١١) ابن حجر : تهذيب المسألة ص ٣٧٨ .

(٢١٢) طبقات ابن سعد ١١/٥٦ .

(٢١٣) أسد الغابة ٥/٢٥٣ .

(٢١٤) أسد الغابة ٥/١٣ الإصانة ٦/٢٣١ .

عباس^(٢١٥)، ثم نزل البصرة بعد فتح العراق وأقام فيها^(٢١٦)، وروح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي النحوي^(٢١٧) الذي قرأ على إمام البصرة يعقوب بن إسحاق الحضرمي، وكان إماماً ثقة روى عنه البخاري^(٢١٨). ومن هؤلاء الهذليين البصريين أبو بكر الهذلي الذي كان من العلماء بأيام العرب وأنسابها، وكان يروي هذا العلم عن قتادة^(٢١٩).

وقد كان بالبصرة من القراء صائن الدين الهذلي^(٢٢٠)، وهو ليس - فيما أعلم - من مشاهير القراء المعروفين. وقد ألم بالبصرة أبو القاسم الهذلي صاحب كتاب الكامل في القراءات، فقرأ على بعض شيوخها^(٢٢١).

ومن نزل البصرة العلاء بن شريك الهذلي، وكان عبد الملك قد أقطعه أرضاً هناك، وكان في هذه الأرض نهر صغير سمي باسمه^(٢٢٢).

هذا، وقد كان للهذليين بالبصرة خطة لسكناهم وإقامتهم، وفيها درب كان يعرف بدرب الحبش (نسبة إلى حبش أسكنهم عمر بالبصرة)، وكان يلي هذا الدرب مسجد أبي بكر الهذلي^(٢٢٣).

بغداد:

إذا كان الهذليون أقل انبعاثاً، وأضعف نشاطاً وآثاراً في البصرة منهم في الكوفة، فإنهم كذلك في بغداد، وربما كان شأن معظمهم فيها أقل من شأنهم في البصرة.

(٢١٥) تاج العروس (حل).

(٢١٦) الإصابة ٢/٢.

(٢١٧) مناهل العرفان ص ٤٥٦. طبقات القراء ٢٨٣/١.

(٢١٨) طبقات القراء ١٨٣/١.

(٢١٩) المزهري ٢/٢١٠. إنباء الرواة ٣/٣٥.

(٢٢٠) طبقات القراء ٢/٢٥٥.

(٢٢١) المرجع السابق ١/٤٧٣.

(٢٢٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٥٤، معجم البلدان ٨/٣٤١.

(٢٢٣) معجم البلدان ٣/٢١٠.

وأغلب من نزل بغداد - في كل حال - أصلهم من البصريين أو الكوفيين الذين اجتذبهم مجتمع بغداد ، تلك المدينة الناشئة في ظل الخلافة العباسية .

ومن الهذليين النازلين بها أبو بكر الهذلي العالم الإخباري الذي قد سبق الحديث عنه في البصرة ، والذي نزل بغداد في خدمة البلاط العباسي على عهد السفاح (٢٢٤) ، والمنصور (٢٢٥) . ومنهم أبو معمر الهذلي من المحدثين (٢٢٦) . وقد حدث عنه بعض البغداديين (٢٢٧) . وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود الذي ذكر في الكوفيين ، ولكنه نزل بغداد ، وتوفي بها ، وكان - كما يقول ابن سعد ثقة كثير الحديث (٢٢٨) .

هذا ، وقد ألم ببغداد أبو القاسم الهذلي - في تطوافه بالأمصار الإسلامية طلباً للعلم - فقرأ على بعض شيوخ القراءات فيها (٢٢٩) .

ولعل من أهم الهذليين في بغداد المسعودي المؤرخ ، الرحالة ، الباحث الذي أقام في مصر مدة (٢٣٠) ، وهو من ولد عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وصاحب كتاب « مروج الذهب » المعروف بين كتب التاريخ .



الهذليون في المغرب :

لعل أول عهد للهذليين بالمغرب هو خروج عدد منهم في جيش عبد الله ابن سعد بن أبي السرح لغزو إفريقية (٢٣١) ، وكان من هؤلاء أبو ذؤيب الهذلي

(٢٢٤) الأبهسي . المسطوف ١٣٨/١

(٢٢٥) المرجع السابق ١٣٠/١ ، ١٩٨

(٢٢٦) الدهي : تذكره الحفاظ ٥٦/٢ . حولد تسيهر . العقيدة والشرعة ص ٣٣١ .

(٢٢٧) معجم البلدان ١٣٠/٧ .

(٢٢٨) ابن سعد : الطبقات . ٢٥٤/١ .

(٢٢٩) طبقات القراء ٦٣/١ ، ١٤٦

(٢٣٠) الرركلي : الأعلام ص ٦٦٦ .

(٢٣١) ابن حجر . الإصابة ٦٤/٧ .

الشاعر المخضرم المعروف ، وذلك بعد سنة ٢٦ هـ / ٦٤٦ م (٢٣٢) . وكان في هذه الغزوة عبد الله بن الزبير ، فأرسله القائد إلى عثمان بشيراً بفتح قرطاجنة ، وكان في صحبته أبو ذؤيب ، فأدرسته منبته في مصر (٢٣٣) ، أو في المغرب نفسه كما جاء في بعض المصادر (٢٣٤) .

هذا شأن الجيش الفاتح في الصدر الأول للإسلام ، ومن كان ينضوي تحت لوائه من هذليين وغيرهم . ولكننا بعد هذا نجد في المغرب كثيراً من الهذليين ، ومنهم من يرجع نسبه إلى أبي ذؤيب نفسه (٢٣٥) . ويذكر ابن خلدون أنه « كان منهم - في أيامه - قبيلة بنواحي باجة يعسكرون مع جند السلطاته ، ويؤدون المغرم » (٢٣٦) .

فلعل بعض هؤلاء الفاتحين قد بقي منهم من بقي ، ونزح إليهم من نزح ؛ ولهذا نجد بعض أبناء هؤلاء الهذليين وأحفادهم في مختلف نواحي المغرب .
وتحدثنا المراجع أنه كان من بين هؤلاء الهذليين الأحفاد علماء في النحو واللغة والقراءات وغيرها .

ومن هؤلاء العلماء عيذون الهذلي (٢٣٧) ، وحفيده علي بن عبد الجبار بن سلامة بن عيذون الهذلي التونسي ، ولد بتونس سنة ثمان وعشرين وأربعمائة (٢٣٨) ، وكان إماماً عظيماً في اللغة ، حتى قيل إنه لم يكن في زمانه أعلم منه بها (٢٣٩) . رحل إلى صقلية ، وأخذ عن ابن القطاع الصقلي ، ولقي

(٢٣٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ١/١٦٩ .
Encyclopedia of Islam Vol 1, P3

(٢٣٣) أسد الغابة ٥/١٨٩ .

(٢٣٤) الإصابة ٢/١٨٤ - الشعر والشعراء ص ١٥٤ . حسن المحاضرة ١/١٠١ .

(٢٣٥) معجم البلدان ٢/١٨٢ .

(٢٣٦) تاريخ ابن خلدون ٢/٣١٦ - معجم قبائل العرب ٨/٢١٣ .

(٢٣٧) تاج العروس (عوذ) .

(٢٣٨) معجم الأدباء ١٤/٨ وما بعدها .

(٢٣٩) القنطي : إنباه الرواة ٢/٢٩٢ - السيوطي : البعثة ص ٢٤٠ .

بها ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب العمدة ، ثم رحل بعدُ إلى الإسكندرية
وبها كانت وفاته (٢٤٠).

ومنهم يوسف بن علي بن جُبَّارة المغربي البشكري النحوي القاريء
الرحالة الذي طاف بكثير من البلاد في طلب القراءات (٢٤١) ، وهو صاحب
كتاب الكامل المشهور عند أهل هذا العلم . ونسبه في طبقات القراء
«البشكري» وهو تصنيف ، إذ هو منسوب إلى بسكرة التي يذكر ياقوت
أنها بلدة بالمغرب من نواحي الزاب .

ومن هذه المدينة أيضاً رُبَلَيْس بن هُدَيد الذي يرجع نسبه إلى أبي ذؤيب
الهذلي ، وكان من علماء النحو والقراءة ، رحل إلى الشرق ، وسمع من
علمائه (٢٤٢) .

ومنهم فضل بن أحمد الهذلي الفارسي الذي روى القراءة عن يعقوب
الحضرمي (٢٤٣) ، ويحيى بن عبد الله التطيلي الأصل ، الهذلي ، الغرناطي ،
الأديب الشاعر ، وقد ذكر السيوطي أنه كان عالماً بالنحو واللغة ،
والتاريخ ، والعروض (٢٤٤) .

وإذا تتبعنا هؤلاء الهذليين من العلماء والأدباء بحثاً واستقصاء ،
وجدنا منهم بالمغرب العدد الكثير .

★ ★ ★

(٢٤٠) إنهاء الرواة ٩٠/٣ .

(٢٤١) طبقات القراء ٦٣/١ ، ٣٧٥ ، ٤١٤ ، ٥٢٣ ، ٥٣٥ - ٧٩/٢ ، ١٣٢ .

ابن الحرري : عاية النهاية ٣/٢ - المراءات الشادة ص ١٧ .

(٢٤٢) معجم الأدباء ١٨٢/١ ، ٦١/٢٠ ، ٦٢ .

(٢٤٣) طبقات المراء ٨/٢ .

(٢٤٤) بعة الدعاة ص ٤٩٢ .

الهذليون في مصر:

قدم بعض الهذليين مصر جنداً في الجيش الفاتح بقيادة عمرو بن العاص في عهد عمر^(٢٤٥)، ويعد أن تم للمسلمين الفتح أمرهم عمرو بالبناء حول فسطاطه، ففعلوا، واتصلت العمارة بعضها ببعض، وسمي مجموع ذلك الفسطاط^(٢٤٦).

وقد كان بالفسطاط خطط وأحياء لمختلف القبائل العربية التي شاركت في الفتح^(٢٤٧).

والقبائل التي لم يكن لها عدد يمكن أن يقوم بنفسه في خطة باسمها، وكرهت أن تدعى باسم قبيلة غيرها جعل لهم عمرو بن العاص راية لم ينسبها إلى أحد، فسميت خطتهم مجتمعين بخطة أهل الراية، وهم جماعة من قریش، والأنصار، وخزاعة، وأسلم وغيرهم، ولم يكن من بينهم هذيل، وفي هذا ما يدل على أنها وإن فاقها غيرها من بعض القبائل العربية في عدد الفاتحين من أبنائها - لم يكن عدد الفاتحين منها قليلاً، فكان لها وحدها خطة باسمها، ولم تكن من بين أهل الراية هؤلاء^(٢٤٨). وكانت خطة هذيل مجاورة لخطة بني شابة من قبيلة فهم القيسية^(٢٤٩)، ويذكر المقرئ أن من خطط الفسطاط كانت خطط الحمراوات الثلاث، وهي خطط بلي، وفهم، وعدوان، وبعض الأزد، وهذيل وغيرهم.

ثم يذكر أن خطة هذيل كانت من مساكن خطة الحمراء الوسطى بين هذه الحمراوات الثلاث، ويجاورهم فيها خطة بعض الأزد، وخطة عدوان من قيس^(٢٥٠).

(٢٤٥) ديوان الهذليين، القسم الثاني ص ٢٥٦ - الإصانة ٨/١، ١٢ - ١٤٣/٧.

(٢٤٦) حس المحاضرة ١٠/١.

(٢٤٧) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٩٨.

(٢٤٨) المقرئ: الخطط ٢٩٦/١.

(٢٤٩) فتوح مصر ص ١٢٠.

(٢٥٠) المقرئ: الخطط ٢٩٨/١.

فكما قدّر لهديل أن تكون مساكنها في الجزيرة العربية مجاورة لبعض القبائل مثل فهم وعدوان وغيرهما ، فإنها هنا أيضاً تجاور بعض أولئك وهؤلاء في مساكنهم بالفسطاط ، فهل هذا محض اتفاق ، أو أن النفوس تهفو دائماً إلى من ألقت كما يقضي بذلك ناموس الحياة ؟

ويسوق ابن عبد الحكم في كتابه « فتوح مصر » أنه إذا جاء وقت الربيع واللبن كتب عمرو إلى كل قوم بربيعهم ولبنهم إلى حيث أحبوا ، فكأنت هديل تأخذ في بوصير ، وكانت عدوان تأخذ أيضاً في بوصير^(٢٥١) ، ونجد مثل هذا تماماً عند المقرئ في خطه ، وفي الخطط التوفيقية أيضاً نقلًا عن المقرئ^(٢٥٢) . وهذا يؤكد التجاور بين هذه القبائل المتقاربة في طابعها ، وأثرها في البيئة الجديدة .

هذا في إيجاز ما تشير إليه المراجع بشأن منازل الفاتحين من العرب ، ومحالّ إقامتهم ونزولهم في مصر .

ولكن يبدو أن العرب الذين شاركوا في الفتح من هذليين ، وغير هذليين لم تكن إقامتهم في مصر وقفاً عليهم ، وإنما توالى الهجرات إليها إلى قرون متأخرة ، فهل كان من هؤلاء العرب المهاجرين بعض الهذليين ؟ فقد نجد في أشعارهم ما يشير إلى ذلك كما في قول البريق ، (ويرويه الأصمعي لعامر بن سدوس)^(٢٥٣) ، وكلاهما هذلي :

فإن أمس شيخنا بالرجيع وولدة	ويصبح قومي دون دراهم مصر
أسائل عنهم كلما جاء راكب	مقيماً بأملح كما ربط اليغر
فما كنت أخشى أن أقيم خلافهم	بسة أبيات كما نبت العتر ^(٢٥٤)

(٢٥١) فتوح مصر ص ١٤١ .

(٢٥٢) الخطط التوفيقية ٩٣/١٠ .

(٢٥٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٨٢٨/٢ .

(٢٥٤) ديوان الهذليين القسم الثالث ص ٥٨ ، ٥٩ .

فهو يشكو لوعة الأسى لفراق أهله الذين هاجروا إلى مصر كما نرى في شعره ، وكما يقول البكري في معجمه^(٢٥٥) ، فهل يشير البكري إلى الهجرة اللاحقة للفتح ؟ أو يقصد أنهم خرجوا إليها في الفتح ، وأقاموا بها فهم إذن من المهاجرين إليها ؟

الحق أننا لم نجد في كتب التاريخ شيئاً صريحاً عن هجرات هؤلاء الهذليين إلى مصر بعد الفتح ، كما نجد عن هجرات قيس^(٢٥٦) ، وغيرها من قبائل العرب . ولكن لعل هجرات الهذليين لم تكن ذات بال يأبه له هؤلاء المؤرخون ؛ فلم يكتبوا عنها كما كتبوا عن غيرها .

وأياً ما كان الأمر ، فإن هؤلاء الهذليين - فاتحين أو مهاجرين - لم يكن عددهم في مصر وفي غيرها بالعدد القليل ؛ حتى ان بعض المؤرخين قد قرر في مبالغة وإسراف - كما أشرنا - أنهم قد تفرقوا في الإسلام على الممالك ، ولم يبق لهم في الجزيرة العربية حي يطرق^(٢٥٧) .

فإذا كان عدد هؤلاء المهاجرين من الهذليين إلى الأقاليم الإسلامية بعامة هو على درجة من الكثرة تدعو إلى مثل هذا القول ، فإنهم في مصر بخاصة كان عددهم - في أغلب الظن - أكثر منهم في غيرها . وقد رأينا في شعر البريق الهذلي ما يشير إلى ذلك^(٢٥٨) . كما نجد في التقديم لشعر بدر بن عامر ، وأبي العيال بديوان الهذليين ما يستدل به على خروج جماعة منهم إلى مصر في عهد عمر^(٢٥٩) .

وهذا أبو صخر الهذلي يذكر - في لوعة - آل مُحَرَّق من قومه وقد خلت

-
- (٢٥٥) معجم البلدان (أملح) ٢٥٥/١ (ط بيروت) . شرح أشعار الهذليين ٧٥١/٢ .
(٢٥٥) معجم ما استعجم ٢٨٢/١ . ٢٥٤/٢ .
(٢٥٦) فتوح مصر ص ١٤١ . المقرئزي . الخطط ٨٠/١ .
(٢٥٧) تاريخ ابن خلدون ٣١٩/٢ . معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ١٢١٣/٣ . واطر هذا الفصل ص ٧٧ .
(٢٥٨) انظر الصفحة السابقة .
(٢٥٩) ديوان الهذليين : القسم الثاني ص ٢٥٦ .

منهم منازلهم في تهامة ، واستبدلوا بها بابليون وغيره في مصر (٢٦٠) حيث يقول :

وماذا ترجسى بعد آل محرق عفا منهم وادي رهاط إلى رحب
خلوا من تهامي أرضنا وتبدلوا بمكة بابليون والرُّبَط بالعَصَب (٢٦١)
وما أحسب إلا أن مثل هذا الجوى هو الذي يحمله على أن ينفث نفثة
المصدر حين يقول :

لو أن ما حُمَّلت حُمَّله سعفات رضوى أو ذري بُرم
لكلَّن حتى يختشعن له والخلق من عُرب ومن عجم (٢٦٢)

ولم يكن الأمر في ذلك مقصوراً على أبي صخر ، فكثيراً ما نجد شعر
الهذليين يرثي من ماتوا لهم في مصر ، أو يعبر عن شوقهم إلى من نزحوا إليها
من أهلهم وذويهم (٢٦٣) ، وتلك ظاهرة قلما نجدها في غير مصر من الأقاليم
العربية والإسلامية .

وهناك ظاهرة أخرى نحسها في هذيل مصر ، تلك أنهم كانوا يشاركون
بعض المشاركة في الأحداث الكبرى في المجتمع الإسلامي ، وقد كان لهم دور
ظهروا فيه على مسرح السياسة مع غيرهم معارضين لسياسة عثمان بن عفان
رضي الله عنه ، وشاركوا في الفتنة التي كان من أهم نتائجها مقتل عثمان وما
تلاه من أحداث ، فكانوا من القبائل الضالعة في قتله من عرب مصر التي
ذهبت ثائرة إلى المدينة (٢٦٤) .

★ ★ ★

هذا شأن الهذليين في مصر في الصدر الأول للإسلام من حيث مشاركتهم

-
- (٢٦٠) معجم البلدان (بابليون) ٣١١/١ (ط بيروت) .
(٢٦١) نفس المرحع والصفحة .
(٢٦٢) المرحع نفسه (بُرم) ٤٠٣/١ (ط بيروت) .
(٢٦٣) النقية ص ٤٢ معجم البلدان ٣٣٧/١ (ط بيروت) .
(٢٦٤) معجم ما استعجم ٢٨٢/١ ، ٤٥٤/٢ .

في بعض ما كان يحيط بهم من أحداث ، ومن حيث مساكنهم ومحالهم التي كانوا ينزلونها بالفسطاط ، والمرايع التي كانوا يرتبعون فيها هم وغيرهم من القبائل العربية في بعض أيام السنة .

وهذه القبائل العربية في مجموعها لم تكن - في أول أمرها - لتُبعد في الريف المصري وقراه للإقامة الدائمة ، فقد كان ذلك أمراً محظوراً على هؤلاء المحاربين من العرب الفاتحين ؛ حتى لا يذوبوا في غيرهم ، ولا يركنوا إلى الدعة والهدوء ، فيفقدوا خصائص المحاربين الشجعان .

ولكن بمرور الأيام ، وتتابع الأجيال صار هؤلاء العرب من أهل مصر لحماً ودماً بعد أن نزلوا في الأقاليم المختلفة ، وأقاموا فيها ، وامتزجوا بأهلها . ويذكر المقرئزي أن الهذليين كانوا ينزلون في إخم ، وفي طوخ دلكة (٢٦٥) . ويقول صاحب معجم قبائل العرب إنهم « نزلوا بطوخ الجبل من إخم بالديار المصرية » (٢٦٦) .

ومع هذا نجد أن بعض الهذليين كانوا ينزلون بجهات قنا وقوص ، ومنهم بعض العلماء ، والناهين من الحكام من أمثال الحسين بن رضوان بن هبة الله ... الهذلي الذي كان يلقب بفخر الدين القنائي ، وكان حاكماً بقنا ، ومن العلماء الممتازين في القرن السابع الهجري (٢٦٧) .

ومنهم محمد بن إبراهيم المعروف بابن صالح الهذلي القنائي الذي كان يلقب بالصدر ، وكان من المحدثين الذين سمعوا من أبي الفتح القشيري وغيره ، وكان من أثرياء قنا المعروفين بالبذل والسخاء ، وتولى الحكم في بلده مدة ، ثم تركه ليفرغ لشؤونه الخاصة (٢٦٨) .

ومنهم أيضاً يونس بن عبد المجيد بن علي بن داود الهذلي القاضي سراج الدين الأرمني ، كان فقيهاً أديباً شاعراً محمود السيرة في القضاء ، وسمع من

(٢٦٥) المقرئزي : الخطط ٢٩٨/١ .

(٢٦٦) عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب المديمة والحديثة ١٢١٣/٣ .

(٢٦٧) الإدفعي : الطالع السعيد ص ١١٦ .

(٢٦٨) المرجع السابق ص ٢٦٤ .

كبار المحدثين في مصر (٢٦٩). وكان يحدث بقوص وغيرها .
لهذا نرى أن الهذليين كان نزولهم في مصر بالصعيد الأعلى : يقيمون
فيه ، وربما تنقلوا بين أرجائه ، ولعل في شعر أبي العبال الهذلي ما يستأنس
به في ذلك حين يقول عن قومه :
فاستقبلوا طرف الصعيد إقامة طوراً وطوراً رحلة وتنقل (٢٧٠)

★ ★ ★

(٢٦٩) الإيدفوي . الطالع السعيد ص ٤٢١
(٢٧٠) ديوان الهذليين القسم الثاني ص ٢٥٥

الفصل الثالث

حياة الهذليين

- (١) حياتهم في الجاهلية
- (٢) وضعهم في الاسلام

(١) حياتهم في الجاهلية

الحياة المادية :

كانت هذيل - في أغلب أمرها - تعيش عيشة البدو الرحل الذين ينتجعون الماء والكلأ ، وتنقل بطونها المختلفة بحثاً وراء هذين العصرين اللذين يمثلان أهم مقومات الحياة البدوية في صحراء قلما جادت على أصحابها بمظهر من مظاهر العيش الناعم التي كان يحياها أهل المدر في المدن والقرى المنبثة في كبد الصحراء مثل مكة والمدينة والطائف ، أو القابعة في الجنوب كما هو الشأن في بلاد اليمن ، أو في أقصى الشمال الشرقي كما في الحيرة ، أو الشمال الغربي كما كان عند الغساسنة في بلاد الشام .

الرعي :

لهذا كانت حياة هؤلاء الهذليين تقوم أكثر ما تقوم على رعي الإبل والشاء ، والانتفاع بلحومها وألبانها وجلودها ، وما يتسع ذلك من منافع أخرى .

وهذه الإبل والشاء كان يرعاها في العادة فقراؤهم ، ويقتنيها الأغنياء منهم ، وتبدو آثار ذلك واضحة في أشعارهم ، وفي أخبار غاراتهم وحروبهم ، وأحاديث الكرم عندهم (أي عند القادرين منهم) ومن ذلك قول شاعرهم المشهور أبي نؤيب :

لنا صِرْمٌ ينحرن في كل شتوة إذا ما ساء الناس قل قطارها^(١)
فهم ينحرون أعداداً من هذه النعم في كل شتاء عندما يقل الغيث ،
ويكثر الجذب، ويزداد عدد العفاة والمحتاجين من الناس .

وها هو ذا قيس بن العيزارة من بني صاهلة نراه حين يريد أن يفتردي
نفسه من الأسر يغري آسريه من قبيلة فهم بأنه سيعطيهم من الإبل والشاء
ما يشبعهم ، وذلك حين يفكون أسرهم ، ويطلقون سراحه .

فقلت لهم شاء رغيب وجامل فكلكم من ذلك المال شابع^(٢)

وهذا هو البريق الهذلي يلاً الجو من حوله فخراً واعتزازاً بأن قومه من
« خناعة » كانوا أهل غنى وثروة ، فهم يمتلكون الجمال والنوق ، ينزلون
بها من المنازل المخصصة ، والتلاع المعشبة ما لم يسبق الى رعيه قبلهم أحد :

نشق التلاع الحوّل تُرعَ قبلنا لنا الصارخ الحثووث والنعم الحمر^(٣)

هذا ، ونجد في دواوين شعر هذيل اشارات أخرى كثيرة تدلنا - في
وضوح - على أن من هؤلاء الهذليين من كانوا أصحاب ابل كأغلب هؤلاء
الذين مرّ ذكرهم ، وكذلك بعض بني شمع ومنهم المسعوديون (رھط عبدالله
ابن مسعود)^(٤) ، وغيرهم .

ومنهم من عُرف بأنه صاحب شاء وماعز ، كقرّد ، وكاهل^(٥) ، وبعض
بني قُريم^(٦) .

وليس هنالك ما يمنع من أن بعض الأفراد او البطون قد عُرف بالجمع
بين هذه الانعام في حوزته كما هو الشأن عند غير هذيل من العرب . وقد

(١) شرح أشعار الهذليين ٧٨٠/١ . ديوان الهذليين ٢٧/١ .

(٢) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٥٩٠/٢ . وانظر ديوان الهذليين ٧٧/٣ .

(٣) شرح أشعار الهذليين ٧٥٠/٢ . وانظر ديوان الهذليين ٦٠/٣ .

(٤) شرح أشعار الهذليين ٨٠/٢ .

(٥) ديوان الهذليين ٨٢/١ . شرح أشعار الهذليين ١٦٠/١ .

(٦) شرح أشعار الهذليين ٨٠١/٢ .

سبقت الإشارة الى أن بني صاهلة أو بعضهم كانوا يُحرزون من هذه الأنعام ما لا يقتصرون فيه على بعضها دون بعض .

ولعل من نافلة القول ان نقول ان هذه النعم كانت عند الهذليين - كما هو الشأن عند غيرهم من العرب - هدفاً من أهم الأهداف ، وباعثاً من أقوى البواعث التي تدفع القبائل العربية الى أن يغير بعضها على بعض ، لأنها كانت عصب حياة البدوي يعتمد عليها في غذائه وكسائه وخبائه :

وقائلة ما كان حذوة بعلها غداتئذ من شاء قرد وكاهل^(٧)
أي ماذا كان نصيب زوجها من هذه الشاء غنيمة في هذه الغزوة .

وهكذا نجد أن هذه النعم قد احتلت من حياتهم وشعرهم وغزواتهم - عادين مهاجرين أو منافحين مدافعين - مكاناً له قيمته وخطره حتى انه ل يبدو أن الإبل والشاء كان لهما عند الهذليين المكان الأول الذي لا يبارعها فيه حيوان أليف آخر ؛ فالخيل التي يعتمد عليها العربي كثيراً في الحاضرة والبادية لا نكاد نجد - فيما يبدو - أثراً واضحاً لها في حياة الهذليين ، حتى انه ليبالغ بعض الرواة فيدخلون في روعك أن الخيل كانت معدومة في هذه البيئة الهذلية ، وقد يعززون ذلك الى قدرة الهذليين على العدو السريع^(٨) .

فيقرر الأصمعي ان الهذليين لم يكونوا أصحاب خيل ، فهم عراجلة رَجَّالة^(٩) يخوضون الحرب راجلين ، ويفرون حين يفرون شدا على أقدامهم ؛ فلا يستطيع اللحاق بهم من يبتغبهم من عدوهم ، وعلى هذا الأساس يعللون ما نسبوه الى أبي ذؤيب من خطأ حين يقول في وصف الفرس :

قصر الصَّبُوح لها فُشْرَج لحمها بالنّيّ فهي تثوخ فيها الاصبع^(١٠)

(٧) ديوان الهذليين ٨٢/١ .

(٨) البيان والتسين ٣٠٠/١ . الأغاني (ساسي) ٣٨/٢١ .

(٩) شرح أشعار الهذليين (تحمق فراح) ٣٥/١ .

(١٠) شرح أشعار الهذليين ٣٣/١ . ديوان الهذليين ١٦/١ .

فهو يشير إلى حسن القيام على تغذية هذه الفرس لكرامتها على صاحبها ؛ حتى تكاثر عليها من الشحم ما لو غمزت فيه الاصبع لدخلت فيه .

ويروي صاحب الصناعتين في هذا قول الأصمعي : « إن هذه الفرس لا تساوي درهمين ؛ لأنه جعلها كثيرة الشحم رخوة ، تدخل فيها الاصبع ، وانما يوصف بهذا شأه يضحى بها ، وجعلها حروناً اذا حركت قامت » (١١) .

وكذلك يسوق السكري مثل هذا الفول عن الأصمعي نفسه حين يقول - بحق - : « ان هذه لو عدت ساعة لا نقطعت لكثرة شحمها . . . » ثم يُعقب هذا قوله : « وأبو ذؤيب ليس صاحب خيل » (١٢) .

ثم ينقدونه كذلك حين يقول في مثل هذا الوصف من قصيدته :
تأبى بدرتها اذا ما استكرهت الا الحميم فانه يتبضع (١٣) .
فالأصمعي يقول بان هذا مما لا توصف به الخيل وينسب الى أبي ذؤيب أنه أساء في ذلك ، وأنه لا يجيد وصف الخيل ، ثم يسوق لذلك علة هي أن هذيل « كانوا أصحاب جمال ، وكانوا يغيرون رجالة ، ولم تكن لهم خيل » (١٤) .

وهكذا نرى أن علة ذلك في نظر بعض اللغويين والنقاد أن الهذليين لبسوا بأصحاب خيل حتى يعرفوا محاسنها ، ويدركوا دقيق صفاتها ، فبينما أبو ذؤيب ذاك الهذلي يصفها بهذه النعوت المنتقدة يروون ان امرأ القيس مثلاً - وهو معروف بالفروسية شديد البصر بأوصاف الخيل - يصف فرسه بالضمور ، وبشدة قوائمه التي تشبه ساقى النعامة ، وقدرته على الجري في سرعة لا يسبقه معها سابق :

(١١) ابو هلال العسكري : الصناعتين ص ٨٤ .

(١٢) شرح أشعار الهذليين ٣٤/١ .

(١٣) نفس المرحع والصمحة .

(١٤) شرح أشعار الهذليين ٣٥/١ . واطر الحاشية رقم ٤ من ديوان الهذليين ١٧/١ .

له أَيْطَلَا ظِي وساقا نعامه وإرخاء سرحان وتقريب، تتفل (١٥)
فلعل مرد هذا - عند النقاد كما أشرنا - الى أن امرأ القيس له في
الفروسية والدراية بالخييل باع طويل .

وربما الفينا ساعدة بن جؤية قد ألم هو الآخر بشيء من هذا الخطأ
لذي . تورط فيه أبو ذؤيب ، فبينما نجد فرس امرئ القيس « له أَيْطَلَا
لبي » نجد ساعدة يصف الفرس بأنه ضخم الوسط ، ممتلئ اللحم ، عبل
لشوى ، وذلك في قوله :

عَاطَى البُضَيْعَ له زوافر عبله عَوْجٌ ومَتَنٌ كالجديلة سلهب (١٦)
فهو بهذا يمتدح امتلاء وسطه ، وضخامة هيكله ، ولكنه - مع هذا الخطأ
لم يُوجِّهْ اليه ما وُجِّهْ الى أبي ذؤيب من نقد في هذا المجال ، فلعلهم قد
باوزوا عن ذلك حين رأوه قد أتبع هذه النظرة المعيبة نظرة أخرى صائبة
نمثل في قوله :

حوافرٌ تقَعُ البراح كأنما أَلَفَ الزَّمَاعَ بها سِلَامٌ صُلْبٌ (١٧)
فهذا وصف يتجه فيه الى التعبير عن قوة هذا الفرس في جريه ، وشدة
قع حوافره على الصخور الصلدة ، والحجارة الصماء .

ولكننا نجد أن أبا ذؤيب هو الآخر قد أتبع فكرته المنتقدة فكرة
خرى لا غبار عليها حين يجعل الفرس خفيف القوائم ، سريع الجري ، كأنه
ظباء والوعول في خفة لحمها وسرعة جريها .

سدو به تَهَيْشُ المشاش كأنه صَدْعٌ سَلِيمٌ رَجْعُهُ لا يَطْلُعُ (١٨)
ثم إننا نجد أن امرأ القيس ، وهو من هو في الفروسية ، والاجادة في

(١٥) انظر البيت في معلقه .

(١٦) ديوان الهذليين ١٨٦/١ .

(١٧) المرحع السائق : نفس القسم والصمحة .

(١٨) ديوان الهذليين ١٨/١ . شرح أشعار الهذليين ٣٧/١ .

وصف الخيل - كما ألعنا - لم يسلم هو نفسه من هتات أخذت عليه بصدد وصفه للخيل في أكثر من موطن^(١٩).

وهكذا نرى أن الشعراء في هذا المجال - وفي غيره - قد خلطوا قولاً صالحاً وآخر سيئاً فلا يصح على أساس ما رأيناه من خطأ في وصف الخيل عند شعراء هذيل أن نعم القول بأن الهذليين كانوا لا يعرفون الخيل أصلاً؛ فهذا أمر تأباه طبائع الأشياء في بيئة عربية هي قطعة من البيئة العربية العامة المعروفة بالفروسية وركوب الخيل في كثير من مظاهر حياتها، في حرب أو سلم.

هذا، ونجد اشارات واضحة في كتب الأدب تفيد أن أبا كبير الهذلي كان صاحب خيل^(٢٠).

ويسوق صاحب الأغاني أن أبا خراش الهذلي دخل مكة ولوليد بن المغيرة المخزومي فرسان يريد أن يرسلهما إلى الحلب، فعدا بينهما أبو خراش، فسبقهما، فأعطاه الوليد هذين الفرسين هدية له^(٢١).

وهكذا لا تخلو المراجع من وجود اشارات تنبئ عن وجود الخيل - في قلة بالبيئة الهذلية.

فلعل ما قصده الرواة من أن الهذليين لم يكونوا أصحاب خيل إنما هو التغليب فحسب، فربما يعنون بذلك أن عامة الفقراء والصعاليك من البطون المختلفة في هذه القبيلة لا يحتملون مؤنة الخيل، وتكاليف عيشها، وغلاء أثمانها، وما تتطلبه من ماء قد يعزّ في كثير من بقاع الصحراء التي تتناثر فيها محالهم ومنازلهم.

أما خاصتهم، وبعض أغنيائهم فمن المعقول أن يكون لهم من ذلك

(١٩) المرزباني: الموشح ص ٣٠، ٤٢.

الآمدي: الموازنة ٣٦/١.

(٢٠) أبو زيد: النوادر ص ١٨٥.

(٢١) الأغاني (ط بيروت) تحقيق عبدالستار فراج ٢٣٣/٢١.

نصيب ، وان يكن أدنى نصيب .

وليس هذا مجرد حدس أو ظن ، بل هو كلام نجد شواهد في بعض أشعارهم وملابسات حياتهم ، وله أساس من اتجاه البيئة العربية باديها ، وحاضرها الى اقتناء الخيل - كما أشرنا - والاعتماد عليها في بعض جوانب حياتهم اعتماد يظهر واضحاً عند قبيلة ، ويكون دون ذلك في غيرها حتى يصل الى حد القلة القليلة عند بعض القبائل أحياناً كما في هذيل حين دفعت الى ذلك الدوافع التي أشاروا اليها .

ومهما يكن من أمر انعدام الخيل أو ندرتها ، أو قلتها عند هذيل ، فانه بما قد لا يُشك فيه أن أوضح مظاهر الحياة المادية عند الهذليين انما هو رعي الإبل والشاء ، وما كان يتصل بهذا من تنقل ، وانتجاع للكلاً والماء .

★ ★ ★

الصيد والطرْد :

وربما كان مناسباً أن نشير بعد أن تناولنا بالحديث رعي هذه النعم باعتبارها أول مصدر من مصادر الكسب ، وأبرز مظهر من مظاهر العمل في هذه البيئة الهذلية الصحراوية - أن نشير الى وجه آخر من وجوه كسب الرزق هو صيد الحيوان البرّي الذي تزخر به البادية كحُمُر الوحش والبقر والثيران البرية ، والزراف ، والغزلان وغيرها .

ولقد نجد ذلك واضحاً في أشعارهم التي يصفون فيها هذه الحيوانات وصيدها وصفاً دقيقاً ، ويتحدثون عنها حديث الخبير بها ، ويضمنون ذلك أشعارهم حتى ما جاء في ثنايا الغزل أو الرثاء . فهذا أبو ذؤيب في رثاء بنيهِ يتحدث من خلال هذا الرثاء عن الحمار الوحشي وأثنه في نشاطها ومرحها ، وتقلبها بين العشب والكلاً في الأماكن المريضة الخصيبة التي سقاها الغيث فاعشوشبت ، وظلت هذه في رعيها تأخذ في الجِد حَبناً ، وفي المرح واللعب حيناً آخر حتى فجأها الصائد ، وأمطرها بوابل من سهامه ، فأوردها حتوفها ، فهي بين هارب بذمائه ، أو بارك يتشحط في دمه وقد

صرعته السهام^(٢٢).

ويترك الشاعر هذه الحُمُر وصائدها وقد قَسَمَ فيها حتوفها ، لِيُتَمَّ بالثيران الوحشية ، فيعمد الى تصويرها وقد استولى الهلع على قلوبها عندما تصدى لها الصائد في بواكير النهار ، فأغرى بها كلاباً مدربة ضارية ، وأخذ يتابع رميها بنصاله وسهامه حتى نال منها غايته^(٢٣).

ثم نراه في غزله يتحدث عن الظباء وهي تعطو ثمر الأراك ، وتجتذب غصونه^(٢٤) ، ويشبّه حبيبته في حسن تلفتها بظبية بيضاء تبعها ولدها فهي ترنو اليه في حنان ووله ، أو هي تتبع ولدها حين عنّ لها في وادي النّخب من أودية السراة في بلاد هذيل^(٢٥).

وهذا الذي نجده عند أبي ذؤيب نجد نظيره عند ساعدة بن جوبة^(٢٦) ، وعند صخر الغي^(٢٧) في حديثهما عن الوعل ، وعند أبي كبير في حمار الوحش^(٢٨) ، ومثله عند أبي خراش^(٢٩) ، ونظيره في البقر عند قيس بن العيزارة^(٣٠).

هذا ، ونجد في الأغاني ، وفي شرح أشعار المهذليين ، وغيرهما اشارات تفيد خروج بعض المهذليين للصيد والطرْد ، فليس الأمر مقصوراً اذن على استنتاج ذلك من أشعارهم . ومن هذه الإشارات ما يسوقه الأصفهاني من خروج أبي خراش وأخيه عروة ، وصهيب القردي في بضعة عشر رجلاً من

(٢٢) ديوان المهذليين ٤/١ - ٩ . شرح أشعار المهذليين ١١/١ - ٢٥ .

(٢٣) ديوان المهذليين ١٠/١ - ١٤ . شرح أشعار المهذليين ٢٦/١ - ٣٢ .

(٢٤) انظر ديوان المهذليين ٢٢/١ .

(٢٥) المرجع السابق ٣٥/١ .

(٢٦) ديوان المهذليين ١٩٣ وما بعدها .

(٢٧) ديوان المهذليين ٥٢/٢ . شرح أشعار المهذليين ٢٤٧/١ .

(٢٨) ديوان المهذليين ١٠٦/٢ ، ١٠٧ .

(٢٩) المرجع نفسه ١١٧/٢ .

(٣٠) شرح أشعار المهذليين ٥٩٩/٢ ، ٦٠٠ . ديوان المهذليين ٧٤/٣ .

بني قرد يطلبون الصيد(٣١).

وما يروي الرواة من أن بني عدي بن الدّيل ألفوا غلامين من بني عمر
أبن الحارث - وهما هذليان يريدان الصيد ، فشدوا على أحدهما فقتلوه ،
وأعجزهما الآخر(٣٢).

وقد يصرح بعض الهذليين في شعره تصريحاً بخروجه للصيد ، كقول
الداخل بن حرام أحد بني سهم بن معاوية عن بقرة وحشية - تتقدم كل
البقر هادية له - قد دلف إليها بسهم فصادها .

وهادية توجس كل غيب	إذا سامت لها نفس نشيج
دلفت لها أوائلهم بسهم	حليف لم تخونه الشروج
فراغت فالتمت به حشاها	فخر كأنه خوط مريج
فظلت وظل أصحابي لديهم	غريض اللحم نيء أو نضيج(٣٣)

شيء من الزراعة :

وإذا كان هذا شأن هذيل في باديتها مع بعض الحيوانات الأليفة في
رعيها ، وانتجاع ما يصلحها من ماء وكلاً ، ثم شأنها مع بعض الحيوانات
البرية ، والاشتغال في بعض الأحيان بما يتصل بها من صيد وطرْد - فانه لا
يخلو الأمر مع هذا من وجود مظهر يسير من مظاهر الزراعة يعتمد على
بعض الأودية ، ومياه بعض العيون التي كانت تتناثر هنا وهناك في بادية
هذيل .

فقد كان « ذو الحجاز » من نواحي « نَعْمَان » في هذه البادية به ماء
يحمل اسمه(٣٤) كما كان يوجد في شمالية قريباً من مكة « داءة » وهو الجبل.

(٣١) الاغاني (طه اوروبا ٥٩/٢١) . (طه بيروت ٢٣٧/٢١) . وانظر حاشية ديوان الهذليين

١٣٢/٢ .

(٣٢) شرح أشعار الهذليين ٥٤٨/٢ .

(٣٣) المرجع السابق ٦١١/٢ .

(٣٤) بلوغ الأرب في أحوال العرب ١٩٨/١ .

الذي يحجر بين لُحْلة السامية ، ولُحْلة اليمانية . وقد كانت تنزل على مياهه « بنو مرة » من هُدَيْل ، وبعض بني لحيان منهم^(٣٥) . ويمتد الى الشمال منه « شمنصير » ، وهو جبل شامخ تكثر حوله العيون التي بقبض منها الماء^(٣٦) ، وبتصل بهذا الجبل قرية يقال لها « ضرعاء » تشترك فيها هذيل وعامر بن صعصعة^(٣٧) . ولا توجد القرى كما هو معلوم - الا حيث يحل شيء من الاسفرار محل التنقل والترحال ، ثم ان هذا المكان كثير الغيث كما يبدو في بعض أشعارهم^(٣٨) .

ونجبال السراة في عمومها تخترقها الأودية ، والشعاب ومسايل الماء . ومن هذه الاودية ما كان لهذيل مثل وادي « النخب » بناحية الطائف^(٣٩) ، ووادي « عُرنة » قرب عرفة^(٤٠) .

ومن أودية لحيان في الشمال قرباً من « عُسفان » وادي « رُهاط » الذي كان يسمى أيضاً وادي « غُران » ، وكان وادياً كبيراً خصيباً به كثير من العيون الجارية والخييل^(٤١) .

هذا وحبال السراة كانت تترك بينها وبين ساحل البحر سهلاً ساحلباً يعرف بالغور ، أو تهامة ، وكانت كنانة ، وهذيل . وبعض الأزْد تشترك في هذه الأماكن من تهامة الحجاز ووديانها^(٤٢) التي منها « أدام » وكان ينزل به جماعة من بني صاهلة من هذيل^(٤٣) .

-
- | | |
|------|---------------------------------------|
| (٣٥) | معجم ما استعجم ٢/٥٣٠ . |
| (٣٦) | المرجع السابق ٢/٨١٠ . |
| (٣٧) | معجم اللدان ٥/٤٢٨ . |
| (٣٨) | ديوان الهذيلين ٢/٢٠٩ . |
| (٣٩) | د هـ هـكل . في منزل الوحي ص ٣٥٦ . ٣٥٧ |
| (٤٠) | الهمداني . صفة حريره العرب ص ١٧٣ |
| (٤١) | الأزرقي . أخبار مكة ١/٧٨ . |
| (٤٢) | معجم ما استعجم ١/٨٨ . |
| (٤٣) | السند ص ٤٥ . |

وهكذا نرى أن بعض بطون هذيل كان يكتنفها ، أو يحف بها بعض
المياه التي كان منها ما هو صالح لأن يقوم عليه شيء قليل من الرراعة التي
كانت في أغلب الظن مفصورة على بعض الحبوب كالقمح والشعير ، وقد
وردت اشارات في شعر الهذليين بعضها يشير من بعد الى ذلك^(٤٤) ، وبعضها
الآخر ربما كان اكثر دلالة عليه كقول المتنخل الهذلي :

لا دَرَّ درِّيَ إِنْ أَطْعَمْتَ نازِلَكُم قِرْفَ الحَيِّ وعندي البرممكنوز^(٤٥)

هذا الى جانب ما كانت تحصل عليه هذيل من ثمار أهمها النمر ، وما
عساه أن يوجد أيضاً من ثمار أخرى كالجُمَيْرِ^(٤٦) ، والسَّدر^(٤٧) ، وان كان
كلاهما ضعيفاً في قيمته الاقتصادية .

وكان لديهم بعض الاشجار كالأثل ، والسَّمر ، والأراك ، والطلح ،
والطَّرْفاء ، والسَّلم^(٤٨)

★ ★ ★

اشتتار العسل :

وكان من وجوه التكسب عند هذيل ارباب اماكن النحل البري
واشتتار العسل ، وقد كان هذا العسل موجوداً - في أغلب الأمر - في أعالي
جبال السراة بين مكة والطائف ، حيث كان السحل يتحيرها لوجود بعض
موارد الماء ، وشيء من ألوان الزهر والشجر ، ولأنها - الى جانب هذا -
كانت بعيدة المنال ؛ لارتفاعها ووعورتها .

ففي وادي نعمان - الذي يقع بعد عرفه على طريق الداهب الى الطائف

(٤٤) انظر ديوان الهذليين ١/ ١٥٤ .

(٤٥) المرجع السابق ٢/ ١٥ .

(٤٦) معجم البلدان ٦/ ٨٠ . ٢١/ ٨ . تاج العروس (طهر) .

(٤٧) المرجع السابق .

(٤٨) انظر ديوان الهذليين ١/ ١٧٣ . ٢٣٩ .

١٢/ ٣ . ٨/ ٢

- كان ينزل بعض بطون هذيل كبني وائل بن مطحل من بني سهم ، وبني عمرو بن الحارث ، وبعض بني قريم بن صاهلة ، وكان من بلاد هذيل وجبالها بهذا الوادي «الاصدار» وهو صدور الوادي التي يجيء منها العسل الى مكة(٤٩).

وليس العسل - مع هذا - مقصوراً على هذه الأماكن ، بل هناك أماكن أخرى كجبال لحيان وغيرها .

فكان من عمل هذه البطون الهذلية قيام بعض أفرادها باشتيार هذا العسل ليتخذوا من بعضه طعاماً ، ويبيعوا أكثره فيعينهم على مجابهة هذه الحياة القاسية التي يحياها أمثالهم في البادية ؛ ولهذا كانوا لا يرون مفراً من القيام بهذه المهمة الشاقة ؛ التي كانت تحف بها المخاطر ، وكثيراً ما يصور الشعر الهذلي ذلك تصويراً واضحاً .

فها هوذا أبو ذؤيب الهذلي نجده بعد أن يتحدث عن النحل والعسل في ثنايا الغزل(٥٠) يحدثنا عن مغامرة من مغامرات اشتييار هذا العسل يقوم بها خبير من أولئك الذين يعلمون ان النحل يأتي الجبل فيعمل في ملقة (صخرة) وسط هذا الجبل ملساء لا تثبت عليها مغالب الغراب فيأتي ذلك الرجل الذي يريد أن يجني هذا العسل ، فيصعد من وراء الجبل حتى يصل الى قمته ، ثم يضرب وتداً هناك ، ويشد الحبل فيه ، ثم يتدلى عليه حتى يصل إلى الصخرة ، فاذا نجح في هذه المخاطرة عمل على اخراج النحل ، وطرده بتصويب الدخان الكثيف نحوه ، وبهذا يستطيع أن يجني العسل الذي يريد(٥١). وهو في حاله تلك يتأبط خريطة فيها سقاء العسل ، فيعود بها وقد ملئت بهذا الرضاب السائغ الشهى(٥٢)، ثم يعود فيخاطر بالصعود عن

(٤٩) معجم البلدان ٣٠٠/٨ ، تاج العروس (نم).

(٥٠) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٤٨/١ - ٥١ .

ديوان الهذليين . القسم الأول ص ٧٥ - ٧٧ .

(٥١) ديوان الهذليين . القسم الأول ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٥٢) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٥١/١ - ٥٣ ،

طريق هذا الحبل ، وقد جنى ثمرة هذا الكد ، وذلك العناء الذي قد تعودده ، كما درج أمثاله من أولئك المعروقين من أبناء الصحراء .

وهذا ساعدة بن جؤية بعد أن يصف هو الآخر النحل والعسل^(٥٣) يتحدث عن هذه المغامرة نفسها حديثاً لا يختلف كثيراً عن حديث صاحبه ، فيصف ذلك المشتار بأن معه سقاء يحافظ على حملة ، ولا يفرط في صحبته ، ومعه شيء كالعيبة فيه أدواته والاعواد التي يُخرج بها العسل ، فيصنع نفس صنيع سابقه ، فيُدلي الحبال التي ينزل بها الى هذه الصخرة التي لا تستقر بها مخالب العقاب لملاستها ، ثم يرقى أخيراً عن طريق هذه الأسباب بعد أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة^(٥٤) .

وقد لا نعدم أن نجد مثل هذه الصور عند غير هذين الشاعرين من شعراء هذيل ، ثم انهم يلمون بذكر النحل والعسل في مواضع أخرى من أشعارهم^(٥٥) .

الغارة والسطو:

ولعل من أهم وسائل الحصول على الرزق عند القبائل العربية في العصر الجاهلي ان يغزو بعضها بعضاً ، فكانت الغارات، هي وسيلتهم الهامة الى هذا الكسب . تغير القبيلة منهم على جيرانها من القبائل الأخرى طمعاً في مالها وظعائنها . وكانت هذه الغارات التي كانت تهدف غالباً الى طلب العيش تأخذ شكلاً جماعياً ينتظم بعض بطون القبيلة وعشائرها ، وقد تأخذ شكلاً فردياً ، أو يشبه ان يكون كذلك ، كما هو الشأن عند صعاليك العرب وذؤبانهم .

ولم تكن هذيل - بطبيعة الحال - الا احدى هذه القبائل التي اتخذت من

= ديوان الهذليين : القسم الأول ٨٨ - ٨٩ .

(٥٣) ديوان الهذليين : القسم الأول ١٨٠ ، ١٨١ .

(٥٤) ديوان الهذليين : القسم الأول ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٥٥) انظر شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراح) ٧٥٩/٢ ، ٩٢٦ ، ٩٥١ .

شن الغارات مصدراً مهماً من مصادر العيش في شكل جماعي أو في شكل فردي .

فيبدو أن الغزو في أية صورة من صوره كان أمراً عادياً لا فرق فيه بين أن تقوم جماعة منهم بهذا الغزو أو أن ينبعث اليه - في صورة سطو - فرد واحد ، أو أفراد قليلون ما دامت الغاية واحدة ، وهي كسب الرزق ، أو الأخذ بالثأر ، أو كلا الأمرين معاً .

: فلعل احساس هذه القبيلة على اختلاف بطونها وعشائرها بضيق العيش ، وقسوة الحياة جعل من هذه الغارات أمراً سائغاً عند الجماعات والأفراد على السواء فكل أولئك وهؤلاء لهم أن يغيروا وقتاً يشاءون على من يستطيعون الاغارة عليه . ولعل هذا ما حدا ببعضهم الى أن يصر على الغزو ، ولا يُقصر عنه ما دام ماله عرضة للهلاك والضياع ؛ فهو - لهذا - لا يكف عن الغزو ، ولو تعرض للقتل ما دامت هذه حاله ؛ فان من تقل عنده الابل والضأن من شاء وماعز لا يجد الا الماء القراح غبوقاً ، أما اللبن فضلاً عن غيره فلا سبيل اليه :

فلست بمقصر ما ساف مالي
وان عرضت للبقي الرماح
ومن تقلل حلوبته وينكل
عن الأعداء يغبُقه القراح^(٥٦)

وهكذا نجد أن الغزو كما كان - في الغالب - سداً للعوز والفاقة - يكون أحياناً طلباً للغنى والعيش المريح ، وهو - ولا سيما في حال الفقر والضعف - أمر يدفع اليه الطبع في ذلك العصر، بل تصرخ النحيظة إذ ذاك داعية اليه .

(٥٦) ديوان الهدليين ، القسم الثالث ، ص ٨١ ، ٨٢ .
شرح أشعار الهدليين (تحقيق فراج) ١/٢٣٨ .

وإذا كانت هذه الغارات الهذلية هدفها غالباً هو القبائل الأخرى ، يحصل الهذليون من ورائها على ما يستغنون اذا كانت الدّبرة لهم لا عليهم ، فاننا - مع هذا - قد نجد الرجل منهم يطمع في أخيه أو بني عمومته من الهذليين أنفسهم ، وذلك - في أغلب الظن - لا يكون الا عند الحاجة الملحة ، والضرورة الملجئة ، أو يدفع اليه طيش الشباب .

فمن ذلك ان الأسود بن مرة الهذلي (أخا أبي جندب) كان على ماء من «داءة» وهو يومئذ غلام شاب ، فوردت عليه ابل لرثاب بن ناصرة بن مؤمل القردي ، وهو الآخر هذلي ، فرمى الأسود بسهم في ضرع ناقة من ابل رثاب ، فضربه بالسيف فقتله ، فغضب إخوته بنو مرة ، ولا سيما أبو جندب ، وثارَت بسبب ذلك الإحـن بين الحيين^(٥٧) .

ومن ذلك ما ذكر من أن أبا خراش كان أخوه عروة يسطو على شائه ، فلا يهتم لذلك ، ولكنه استمر سادراً في هذا حتى أخذ احدى نوقه فذبحها ، ولطم عبده حين عارضه . ثم عاد الى ذلك حين اجتمع مع شرب من قومه ، فجاء الى المرعى فأخذ ناقة أخرى لينحرها ، فانتزعها منه ابو خراش ، وساقها ، فوثب اليه عروة ، ولطم وجهه ، وأخذ الناقة فعقرها^(٥٨) .

ومع هذا قلّ أن نجد عملاً عدائياً موجهاً من هذليّ الى أبناء عمومته قصّد السطو لذات السطو الا ان تكون حاجة ملحة ملحفة ، أو أن يكون من ورائه ثأر يطلبه كما فعل أبو جندب مع أبناء عمه من بني لحيان . وسرى ذلك في غضون حديثنا المنفصل عن حروبهم وغاراتهم ، فاننا اذا كنا قد ألمعنا الآن بهذا الغزو والسطو إلمامة سريعة باعتبارها أحد مصادر الرزق عند هذيل ، فان من حق البحث ان نفرّد لهذه الغزوات والأيام مبحثاً خاصاً بها من مباحث هذا الكتاب .

(٥٧) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/٣٤٦ .

(٥٨) الاصفهاني ، الأغاني (ط - بولاق) ٢١/٦٠ .

وانظر ديوان الهذليين ٢/١٣٦ ، ١٣٧ ، (الحاشية) .

وقائعهم وأيامهم :

لم ينقل إلينا تاريخ العرب في العصر الجاهلي ان هذيلًا شاركت في حروب كبرى بالجزيرة العربية تضاهي أو تقارب « حرب البسوس » التي شب أوارها بين بكر وتغلب ، واستمرت - فيما يقال - أربعين عاماً وجرت عليهم الويلات . أو حرب عبس وذبيان التي استشرى شرها ، وعركتهم عرك الرحي... فمثل هذه الحروب الكبرى قد دفعت إليها العصبية الهائلة في شبه الجزيرة ، ويبدو ان هذيلًا قد نأت عن الايغال في هذه العصبية ، ودفعتها ظروف العيش القاسية في باديتها الى أن تكون حروبها حروباً داخلي بين بطونها المترامية ، والكثير منها بينها وبين جيرانها الأدنى كفهم ، وعدوان وكنانة وسليم وخزاعة ، وسعد بن بكر ، وغيرها . وكانت حروبها مع هؤلاء جميعاً لا تعدو ان تكون غارات خاطفة تقوم بها عدواناً على غيرها ، أو دفاعاً عن النفس حين تبغتها أمثال هذه الغارات .

وقد سبق ان أشرنا الى أن هذه الغارات كانت في بعض الأحيان فردية ، يقوم بها فرد واحد أو فردان أو ثلاثة وكانت في أحيان أخرى جماعية ، ولكنها ليست في شكل تعبئة عامة في حال من الأحوال ، بل تحفظ بطابع الاغارة والسطو ، فقلما تجاوزت العشرات الا نادراً فهم يقومون بعدوة خاطفة مباغته يعتمدون فيها على كثرة الجبال والوهاد في بيئتهم ، وعلى درايتهم ومعرفتهم بالقتال فسي هذه الجبال والشعاب^(٥٩) .

وكانوا يغيرون مشاه ، وكان جل اعتادهم على سرعة الجري والشد على أقدامهم حين تحديقهم الأخطار ، فكأن هذا كان عندهم بديلاً للكر والفر الذي يقوم به الفرسان من أصحاب الخيل ، والروايات التي حدثتنا عن

(٥٩) انظر شرح أشعار الهدلبي (تحقيق مراح) ٢٠/٨٠٨ . ٨٥٤ .

أيامهم ووقائعهم قد وافننا بما يشير الى ذلك^(٦٠).
كما أشارواهم أنفسهم الى هذا في بعض أشعارهم ، ومن ذلك قول صخر
الغني :

معي صاحب داجن بالغزاة ولم يك في الموم وعلا صعبفا
ويعدو كعدو كُدرٌ ترى بفائله ونساء نسوفا^(٦١)

فهو يشبهه بحمار الوحش في عدوه :

ويعلق أبو سعيد السكري على هذا بقوله : انما قال يعدو ؛ لأن هذيل
ليسوا بأصحاب دواب ، انما هم رجالة^(٦٢) .

ومن ذلك أيضاً قول حبيب بن الأعم حين يذكر فرته التي كان قد فرّها
من بني عديّ بن الديل بن كنانة حين تعقبوه شدّا على أقدامهم :

فلا وأبيك لا ينجو نجائي غداة لقبتهم بعض الرجال^(٦٣)

وقوله :

كأن ملاءني على هزفٍ يعن مع العنينة للرئال^(٦٤)

فهو يشبه نفسه في سرعة عدوه ، بذلك الهزف ، وهو الظلم السريع .

وقوله :

بذلت لهم بذي شوطان شدي ولم أبذل غدائتي قنالي^(٦٥)

وكانت هذيل في غاراتها ودفاعها ترقب اعداءها ، وترصد حركاتهم في

(٦٠) انظر شرح أشعار الهدلين (محمّد فراج) ٣١١/١ . ٦٤٢/٢ . وانظر ديوان الهدلين .
٧٧/٢ (الحاشية)

(٦١) ديوان الهدلين ٧٦/٢ . وانظر شرح أشعار الهدلين ٣٠١/١ (مع خلاف في الرواية) .

(٦٢) ديوان الهدلين ٧٦/٢ .

(٦٣) المرجع السابق ٨٣/٢ . شرح أشعار الهدلين ٣١٨/١

(٦٤) ديوان الهدلين ٨٣/٢ . شرح أشعار الهدلين ٣١٩/١ .

(٦٥) ديوان الهدلين ٨٥/٢ . شرح أشعار الهدلين ٣٢١/١ (والرواية عند بني وسطان)

مراقب كثيرة منتشرة في قمم الجبال الوعرة ، وكان هؤلاء الرقباء من الهذليين يلقون كثيراً من المشقة والعنت في بقائهم بهذه المراقب وقتاً قد يطول ، لا يبالون بما يحيط بهم من المتاعب والاختار فيه سبيل نجاحهم فيما يقومون به من غارات ، ونجاتهم من مباغطة أعدائهم حين يقصدونهم بسوء . وأيام هذيل فيها بعض اشارات الى هذه المراقب (٦٦) . كما ورد في الشعر الهذلي ما يشير اليها . ومن ذلك ما وافانا به شعر أبي المثلم في رثاء صخر النغي :

ربّاء مرقبة مناع مغلبة ركباً سلهبة قطعاً أقران (٦٧)
فقد كان كثيراً ما يربأ لأصحابه في هذه المرقبة حفاظاً عليهم من أعدائهم .

ومن ذلك أيضاً قول عمرو ذي الكلب :

ومرقبة يحار الطرف فيها تُزِل الطير مشرفة القذال
أقمت بريدها يوماً طويلاً ولم أُشْرِف بها مثل الخيال (٦٨)
يقول ورب مرقبة يحار الطرف فيها لارتفاعها ، ووعورة الصعود اليها ، وتزل مخالب الطير عنها للاستها - وقد أقمت على حافتها كثيراً ، وأنا منكب في وضع لا يريح ؛ لأكون مستتراً ، ولم أقم مشرفاً حتى لا يراني الأعداء .

ومثله قول ابن تُرنا (تأبط شراً) يجيب عمرا هذا :

ومرقبة نَمِيت الى ذُراها تُزِل الطير مشرفة القذال
علوتُ بريدها طَفْلاً كَأني حِوَالِي اللَّطْفِ مكسور الشمال
بفتيان ذوي كرم وصدق وهم أهل المعصّب والشمال (٦٩)

(٦٦) شرح أشعار الهذليين ٣٤٢/١ .

(٦٧) المرجع السابق ٢٨٥/١ .

(٦٨) المرجع نفسه ٥٧١/٢ . ديوان الهذليين ١١٩/١٣ .

(٦٩) شرح أشعار الهذليين ٥٧٣/٢ .

أي رب مرقبة علوتها ، وصعدت الى ذروتها على الرغم من صعوبتها
وعلوها وملاستها ، وذلك حين تُطَمِّل الشمس وتدنو من الغروب ، وقد
تلطفت في التخفي انا ومن معي من الفتيان الشجعان ، حتى لا يرانا أحد .

والحديث عن هذه المراقب يطول ، فحسبنا ان نشير الى أنه ليس
مقصوراً على ما عرضناه ، بل نجده بارزاً في شعر أبي ذؤيب^(٧٠) . وفي قصيدة
لربيعة بن الكودن^(٧١) . وغيرهما من شعراء هذيل . واذا كانت هذه
المراقب قد اشتهرت بها هذيل ، فانها - مع هذا - ديدن اكثر المحاربين في
الجبال^(٧٢) .

ولعل من نافلة القول ان نقول ان الحروب أو الغارات المشار اليها
كانت سجالات بين هذيل وغيرها : يوم لها ، ويوم عليها .
ومنها ما كان ينتهي الى غير نصر أو هزيمة ، وبدون غُرم أو غنيمة ،
وذلك حين يهرب أعداؤهم ، ويولون مدبرين قبل أن ينزل بساحتهم مكر
هؤلاء الهذليين .

فمن ذلك ما يروي الرواة ان بني صاهلة خرجوا يريدون فهم ، فهربت
منهم فهم ، وهرب سيدهم أبو عامر بن ابي الأخنس ، فالتمسوهم في ديارهم ،
فوجدوهم قد هربوا ، فرجعوا دون ان يصيبوا في تلك الغزوة شيئاً ، فقال
في ذلك قيس بن خويلد (ابن العيزارة) شعراً يندد فيه بفهم وزعيمها^(٧٣)
وقد لا يكون الامر متصلاً بالهرب أو الفرار كهروب فهم هؤلاء بل
يتعلق بنزوح قوم من محالهم ، وحلول آخرين في منازلهم فتقع فيهم هزيلة
وهكذا قد يخرج الهذليون للقاء قوم فيخطئون ، ويقعون في آخرين . وفي هذا
يقول بعض الرواة^(٧٤) . « خرجت بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن

(٧٠) المرجع السابق ١/١٦٩ . ديوان الهذليين ١/٤٩ ، ٥٠٠ .

(٧١) شرح أشعار الهذليين ٢/٦٥٦ .

(٧٢) شرح أشعار الهذليين ١/٤٥٩ .

(٧٣) المرجع السابق ٢/٦٠٣ .

(٧٤) شرح أشعار الهذليين ٢/٤٥٩ .

هذيل مغبرين يريدون بني عبد بن عديّ بن الديل من كنانة ، وكانوا قد عهدوهم في منزل ، فظعنّت بنو عدي من ذلك المنزل ، ونزله بنو سعد بن ليث بن بكر ؛ فببّتهم القوم وهم يظنون أنهم بنو عبد بن عدي ؛ فأصابوا فيهم ، وقتلوا منهم ناساً ، وقتلوا غلاماً كان فيهم مسترضعاً ، وهو ابن ربيعة ابن الحارث بن عبدالمطلب ، وهو الذي وضع رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ، فمن خطبته عليه السلام في حجة الوداع : « ان ربا الجاهلية . موضوع ، وان أول ربا أبدأ به ، ربا عمي العباس بن عبدالمطلب ، وان دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب » (٧٥) .

★ ★ ★

وأيام هذيل هذه كانت من الكثرة بصورة لا يمكن معها أن نلم بها ، وليس ثمة كبير نفع يرجى من وراء حصرها .

فحسبنا اذن ان نشير الى أهم هذه الوقائع والأيام استكمالا لما قصدنا اليه من دراسة تاريخ تلك القبيلة ، واستيفاء كل جوانب هذه الدراسة بشكل لا اغفال معه ولا ايغال .

من غارات هذيل على غيرها :

غارات للكسب :

★ كان من حديث بني سهم بن معاوية ان معقل بن خويلد غزا بهم خزاعة فأصاب داراً لهم بمكان يدعى « لفت » وغنم منهم كثيراً من السبي والنعم . وخرج ومن معه بذلك يسوقونه حتى شارفوا « الرجيع » . وخرج بنو كعب من خزاعة في جمع كبير حتى أدركوهم ببطن الرجيع ، وقد اغتروا وأمنوا ووضعوا السلاح ، وأخذوا يفتسلون على ماء هناك ، فعدت عليهم بنو

(٧٥) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (العصر الاسلامي) . ص ١١٧ .

كعب ، وهم على حالهم تلك ، فقتلوا منهم من قتلوا ، ووثبوا على معقل فوائبهم وقتل منهم اخوة ثلاثة ، وارتجعت خزاعة سبيها بعد أن أصيب منهم من أصيب ، وهذا « يوم لفت » أو « يوم الرجيع » .

★ خرج عمرو بن خويلد بن وائلة بن مطحل السهمي في نفر من قومه يقصدون بني عضل بن ديش ، وهم في مكان يدعى بالمرخة القصوى اليمانية ، حتى قدموا على بعض بني عهم من بني قُريم بن صاهلة مجاورين لبني عضل بالمرخة الشامية فسألهم عمرو عن بني عضل ، فأخبروه بمكانهم ، ونهوه عن مهاجمتهم لقلّة عدده ، فأبى ، واتهمهم بمالأة بني عضل هؤلاء ؛ لما بينهم من الجوار والقسامة ، وكان عند القرنيين أحد بني عضل ، فخرج الى قومه وأخبرهم . وظل عمرو ومن معه يتأهبون لهم ، واختبأوا في مكان لم يلبث أن عرفه أعداؤهم ، فتغاوث عليهم أكثر من مائة رجل ، وأوسعوهم رمياً بالنبل ، وقتل عمرو بن خويلد وائلة القرمي كما قتل رجل من قريم سعد ابن أسعد سيد بني عضل . ويسمى هذا اليوم « يوم المرخة » .

★ خرج نفر من بني مازن بن تميم بن سعد بن هذيل يبتغون بني سليم ، فأصابوا أهل دار منهم ، فأقامت عليهم سليم الارصاد والرقباء في بعض شعاب الجبال على طريق الهذليين ، وأقبل هؤلاء المازنيون فبطنوا شعباً من حرة ذلك الجبل حتى تنكبوا ذلك الشعب . وقال لهم مالك بن خالد الحناعي : يا قوم لتجدنّ رقيب القوم بالشعب ، واني لأخشى عليكم الرقباء ، فلم يستجيبوا الى قوله ، وبعد محاورة بينهم . قال : انظروا نحو الشرق ، فنظروا فبصروا برأس رجل يرقبهم ، فنصح اليهم مالك بأن يخلّوا أزرهم ، ويرتدوا بها ، ثم يقف كل فرد منهم في النّبع يجتنسون منه حتى يظنّ السّلميون انهم مغترون ، ففعلوا واخذوا يجتلدون بثيابهم ، فلما رآهم رقيب السلميين على هذه الحال ذهب الى قومه يخبرهم بأن القوم مغترون يجتلدون بثيابهم ، فقعدوا برأس الشعب ينتظرون قدومهم عليهم مغترين ، فينقضون عليهم ، ولكن الهذليين - وقد فطنوا الى صنيع هؤلاء - اخذوا

وجهة أخرى ، ونجوا من مكر بني سليم . وهذا اليوم هو « يوم شعب بني سليم » .

★ خرج مالك بن خالد الخناعي في بضعة عشر رجلا من قومه ، يتفنون بني سليم ، فلقىهم الجموح الظفري من بني سليم ، فانهزم أصحاب مالك ، وأعجزوا عدوهم عدوا ووقف لهم مالك بالسيف ، واتقاهم بالمجابهة حتى صدوا عنه ، فلما عاد الجموح قال له قومه : أجبنت عن مالك : وهو واحد برأسه قد خلفه أصحابه ، ومعك أصحابك . فقال الجموح في ذلك شعرا يشيد فيه بمالك وقومه ، ومن ذلك قوله :

فان تزعموا أني جنت فانكم صدقتم فهلا جئتم حين ندعي
عجبت لمن يلحاك في جنب مالك وأصحابه حين المنية تلمع

★ كان من أمر هذيل وفهم أنهم كان بعضهم لبعض عدواً ، فأصبح بعض الفهميين - ومعهم سيد لهم يدعى حبيبا - يقيمون في دار لهم بمكان صورة من صدر يلهم ، فعرف خبرهم بنو قريم بن صاهلة ، فبيّتهم بنو قريم ، وقتلوا سيدهم ، وأباحوا دارهم .

★ خرج قوم من بني معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، يريدون فهماً بمكان يدعى « الليث » ، فلما بلغوا السراة لقيهم رجل منهم ، فسألهم عن وجهتهم ، فقالوا نريد فهماً ، فدلهم على بني خوف (بطن من فهم) في مكان يدعى « نيات » سمي هذا اليوم به ، فبيّتوا بني خوف ، ثم خرجوا ، وقد لصقت سيوفهم - من الدم - بأغمادها ، فمروا في طريق عودتهم على دار لبني عمومتهم من قريم ، ووجدوا فيها خباء إياس بن المقعد القرمي ، فقصدوا اليه ، فدعا لهم بطعام ، ثم نصح السهم بالخروج قبل ان يدركهم الطلب ، وخرج في توديعهم وارشادهم الى طريق النجاة ، ولقيه الفهميون في عودته ، فقالوا : هل رأيت القوم ؟ فأضلهم حتى نجت هذه الغازية من قومه .

★ خرجت بنو صاهلة وعلى رأسهم غافل بن صخر القرمي ، فأصابوا نفراً من بني ظفر ، وأسروا كبيرين منهم هما العائذان : عائد وعُوَيْد ،

فكان أحدهما في بني قريم ، ، والآخر في بني مخزوم (مخزوم هذيل). وقتلت بنو قريم أسيرهم ، ولم يقبلوا فيه الفداء . وكان العجلان بن خويلد قد أمرهم ألا يقتلوها ، وكان دليل القوم في هذه الغارة على الرغم من وجود قسامة بينه وبين هؤلاء الظفرين .

غارات للثأر:

★ خرج بنو سليم بن منصور يريدون بني عامر بن صعصعة ، ثم انصرفوا الى الطائف فاشتروا زاداً وخيراً ، وكانوا قرابة ستين رجلاً ، فعلم بأمرهم بنو قريم بن صاهلة ، وكانوا يطلبون فيهم وترا ، فخرج من بني قريم عصابة ، فتقدموا لرجل من ثقيف ، فجعلوا له على أن يخبرهم بالثنية التي يخرج فيها هؤلاء السلمييون ، فأخبرهم ، فخرجوا حتى كمنوا لهم بثنية اسفل العقيق ، وما ان بصروا بهم حتى كان ضرب ورمي ، فقتلتهم بنو قريم ، وعقروا خيولهم ، ولم ينج منهم - فيما تقول الرواية - الا ثلاثة نفر لاذوا بالفرار ، وسمي هذا اليوم « يوم ثنية العقيق » .

★ أغارت بنو خناعة بن سعد بن هذيل على ذؤيبية من بني سعد بن بكر في ثأر لقومهم عند ذؤيبية ، وفي هذه الغارة أسروا « ربيعا » سيد بني ذؤيبية ، فباعوه بمكة . فقال معقل بن خويلد في ذلك :

فدي لبني خناعة يوم لا قوا ذؤيبية ما أراح وما أساما
ثأرتم قومكم لما رأيتم عدواً واترين لهم خداما

ويستمر معقل ، فيقول في ربيع هذا :

جدت الله أن أمسى ربيع بدار الهون ملحيا ملاما
فعالج ما تعالج ثم حربا إذا فارقت غللك أو سلاما
فانك قد شريت فعدت عبدا بمكة حيث ترمّ العظاما^(٧٦)

★ أغارت بنو لحيان على خزاعة وبني بكر ، فأوقعت بهم لحيان في يوم

(٧٦) شرح أشعار الهدليين ١/ ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

يدعى بيوم|غزال أدركوا فيه ثأرهم عما أصابهم في يوم العرج وفيه يقول
عمرو بن هُميل اللحياني :

أبأنا بيوم العرج يوماً بمثله غداة غزال بالخليط المزيّل (٧٧)
وفيه أيضاً يقول مالك بن خالد الحناعي :

أبأنا بيوم العرج يوماً بمثله غداة عكاظ بالخليط المزيّق
فقتلى بقتلانا وسبي بسبيننا ومال بمال عاهن لم يفرّق (٧٨)

★ ويروى ان أبا ضبّ اللحياني جاءته امرأة من أبناء عمومته بني
سهم بن معاوية ، قتل أخ لها يلقبونه « عصمة الاضياف » قتلتها أسلم من
جهينة ، وطلبت اليه ان يثأر لقتيلها ، وكان أبو ضب هذا - فيال يقال - لا
يقتل من هذيل قتيل الا قتل قاتله ، فخرج هو وابن اخت له ، وبيّت
القوم ، وأصابا أهل الدار التي قصدا اليها ، وقتلا سيد القوم ، ثم قفلا
عائدين

★ ★ ★

هذه الغارات التي عرضناها منها ما يعد مورداً من موارد الكسب عند
هذه القبيلة - كما أشرنا - ومنها ما يقصد به الثأر من أعدائها ؛ لسبق
غاراتهم عليها . ولكن هذه الغارات التي كان يقصد بها الى الثأر ليست كلها
رداً على غارات وقعت عليها من أعدائها . بل ان منها ما يعد تغطية
لأخفاقها في غارة شنتها على بعض أعدائها ، فنال منها عدوها ، ودارت
الدائرة عليها . ومن ذلك ما حدثنا به أبو سعيد السكري - رواية شعر
هذيل وأخبارهم - من ان بني صاهلة غزا منهم سبعة نفر يريدون حيا من
الأزد « بجَلّية » يقال لهم « بنو ثابر » فأوقعت بهم ثابر ، ولم يفلت الا
أحدهم ، فعلم بذلك بنو صاهلة ، فغضب سلمي بن المقعد القرمي الصاهلي ،

(٧٧) المرجع السابق ٨١٥/٢ .

(٧٨) المرجع نفسه ٤٧١/١ .

وحلف الآيس رأسه غِسل ولا دهن حتى يثأر لقومه ، فغزا ثابراً ببني صاهلة ، فنكّل بهم ، وأباح هو وقومه ديارهم .

من غارات غيرها عليها :

★ من قصصهم في ذلك أن بني مُدَلِج من كنانة غزا منهم ثلاثون فارساً فساروا حتى « نَعْمَان » يريدون هذيل ، فألفوا دارا من بني قُرَيْم بن صاهلة ، فأغاروا عليهم ، فاستشرفتهم بنو قُرَيْم بالليل ، فقتلوهما الا رجلا واحدا - فيما يقال - أعجز على فرسه في مؤخر سرجه أكثر من عشرين سهماً في خلال مطاردته ، ورجع الى قومه ، فغضبت بنو مدلج ، وجمعوا لهم ، ولكن بني قُرَيْم غادروا مكانهم ، فخرجت بنو مدلج بخيلهم ورجلهم فلم يجدوهم .

★ خرج رجل من خزاعة في عدد من قومه واسمه عامر بن عبيد وكان يدعى « مجمعا » لأنه جمع خزاعة من افناء القبائل فغزاهم - ومعه ابن أخ له - حتى صَبَّحُوا داراً من بني سهم بن معاوية ، وأخرى من بني سعد بن بكر ، وفي هذه الغارة قتل عامر بن عبيد صاحب راية خزاعة .

بَيَّتَ حي من بني سليم قوماً من هذيل ، فقتلوهما قتلاً شديداً فسمع الهاتفة في آخر الليل من كانوا أسفل من الدار التي أصيبت فأتوهم وعلى رأسهم « أبو ماعز » وكان بطلاً شجاعاً ولكنهم وجدوا القوم قد قتلوا .

★ خرج عُمَيْرُ بن الجعد بمائة من كعب بن عمرو (من خزاعة) حتى صَبَّحُوا بني لحيان في مكان يدعى « الحُشاش » فاقتلوا ، فقتلتهم لحيان ، وأنزلت بهم هزيمة نكراء ، وسمي هذا اليوم « يوم حشاش » .

★ أغارت جعشمه - وهم حي من أزد شنوءة حلفاء في بني عدي ابن الدليل بن بكر - على بني قريم بن صاهلة ، فطوّقتهم بنو قريم ، وأوقعت بهم .

★ كانت بنو ظفر من سليم ، وبنو خناعة حربا ، فأغارت بنو ظفر على بني واثلة بن مطحل ، وهم في مكان يسمى القُدوم في وادي نَعْمَان ، فقتلوا بني واثلة وبعض الصبية .

★ كان من أمر معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل أن صارت بنو كاهل ابن عامر بن برد بظاهر البوابة ، ومعهم بسو جريب بن سعد بن هذيل ، نزلوا هنالك في اثر غيث كان في هذا المكان ، وعندما عرفت هوازن غرتهم وقلة عددهم جمعت لهم جموعها ، وأقبلوا في عدد كبير ، وعليهم مالك بن عوف النصري (الذي كان بعدُ صاحب جيش المشركين يوم حنين ، وقد هدم النبي الكريم حصنا له وهو في طريقه الى حصار الطائف) أوقع بهم مالك هذا ، واستولى على كل مال يملكونه ، وجاء الصريح الى بني قرد بن معاوية ، وبني مازن فخرجوا لنصرة قومهم والايقاع بعدوهم ، وأحكموا لذلك خطتهم ، فتقدمت بنو مازن واكتنفوا الاعداء من أمامهم ، وتأخرت قرد وأتتهم من ورائهم ، وهكذا أطبقوا عليهم ، فلم يفلت منهم أحد الا مالك بن عوف الذي نجا بنفسه ، وأفلت شدًا على قدميه .

★ وخرج مالك بن عرف في العام المقبل على رأس قومه هوازن فغزا هؤلاء الهذليين بالرجيع ، فهزم هو وقومه هزيمة نكراء ، وعُقر فرسه ، وقتل أخوه ، أما هو فقد أفلت اجرياً على قدميه ، ولم يكن بينهم بعد هذا قتال حتى جاء الاسلام ، وكان مطلع فجره غير بعيد .

أيام في اطار القبيلة :

★ كان الأسود بن مرة القردي أحو أي جندب ، وأي خراش على ماء من « داءة » ، فوردت عليه ابل لشيخ قردي ايضاً هو رثاب بن ناصرة ، وكان الأسود شاباً استخفه الشباب ، فأصاب ناقة من ابل الشيخ ، فاستفزه الغضب ، فضرب الاسود بسيفه فقتله ، فغضب اخوته بنو مرة ، ولا سيما أبو جندب ، فاجتمع اليه بعض القوم ، وكلموه في ان يأخذ دية أخيه ، ويستبقي ابن عمه ، ويؤثر مصلحة قومه ، فلم يزالوا به حتى قبل ذلك كارهاً ، فجمعوا الدية وأتوه بها ، فصمت طويلاً ، فأعادوا عليه مقاتلتهم ، ورجوه في أن يأخذ العقل منهم ، فأجابهم انه يريد ان يغتمر وان يحفظوه لديهم حتى يعود ، فان هلك فلا عليهم ، وان رجع فسرى في ذلك

رأيه ، وخرج موليا وجهه شطر الحرم ، وهو يقول :

فمن كان يرجو الصلح فيه فانه كأحر عاد أو كليب لوائل
يقول لا نصالح أبداً ، وستكون ويلات وويلات كشأ عاقر ناقة صالح ،
أو كليب وائل فيما جلبه كل منهما على قومه .

★ ويروى ان أبا جندب كان له جار من خزاعة يدعى « حاطم بن
هاجر بن عبد مناف » فقتله بنو لحيان - قبل أن يُبل أبو جندب من مرضه
وقتلوا زوجته واخذوا مالا له كان قد كلم أبو جندب قومه فجمعوه له ،
فلما تماثل أبو جندب للشفاء قدم مكة ، واستلم الركن ، وطاف بالكعبة في
حال عرف الناس منها أنه قد أتى بشر ، ثم صاح ، فأخذ يقول :

اني امرؤ أبكي على جاريه أبكي على الكمي والكبية
ولو هلكت بكياء عليه كانا مكان الثوب من حقويه (٧٩) .

فلما فرغ من طوافه ، وقضى نسكه جمع الخلاء من بكر وخزاعة ،
فخرجوا معه حتى صبح بهم بني لحيان ، فقتل منهم ، وسبى من نسائهم
وذرياتهم .

★ ويبدو أن العداوة بين أبي جندب وبني عمومته من لحيان كانت
شديدة ، فقد سبق عدوانهم عليه وعلى جيرانه ، وقومه من بني قرد ، وهذا
شعره ينسبهم أنهم قد أغاروا على ابل له ولقومه ، فأوقع بهم في العرج بعد أن
قصد منهم ناساً في جهة وادي غران ، ففروا في بلاد الحجاز هرباً منه .

لقد أمسى بنو لحيان مني بحمد الله في خزي مبين
جزيتهم بما أخذوا اتلادي بني لحيان كلا فاحربوني
تخذت غران اثرهم دليلاً وفروا في الحجاز ليعجروني
وقد عصبت أهل العرج منهم بأهل صوائق إذ عصّبوني

(٧٩) شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٤٩ .

★ هذا ، ويروي الأصمعي انه قد « تحاربت بنو لحيان بن هذيل ، وبنو خناعة بن سعد بن هذيل ، فكانوا لا يزالون متحاربين ، فاذا أصابت بنو خناعة من بني لحيان أحداً قتلوه ، وإذا أصابت بنو لحيان من بني خناعة أحداً باعوه ، فأخذت بنو خناعة عمراً ومؤملاً (رجلين من خناعة) ، فأسروهما ، وأرادوا قتلهما ؛ فخرج معقل بن خويلد بن وائلة بن مطحل السهمي في نفر من أشراف قومه يبغي الصلح بينهما وكان سبداً مطاعاً في قومه - فكلم بني خناعة في اطلاق أسيريهما ، فأطلقوهما . وذهب الى بني لحيان سعيّاً فيما بدأ السير فيه من أجل الصلح ، ولكنه بلغه أنهم يريدون العدر به على الرغم من أنه لم يكن يبغي من وراء ذلك الا الخير وحقن الدماء .

وهكذا نجد ان حياة هذيل كانت مليئة بالغارات والقتل والثأر والغدر ، وقد جعل هذا حياتها مصبوعة بالدم ؛ ولهذا كثر شعر الرثاء بين شعرائها كثرة غير مألوفة في غيرها من القبائل ، وان كانت الحروب والغارات أمراً مشتركاً في حياة العرب في الجاهلية . ولكن يبدو أن هذيلاً كانت أشد مراساً من كُتُيبين من العرب حتى انه ليغال (ان هذيلاً أكراد العرب) بسبب طباعهم وصبرهم على تحمل القنال^(٨٠).

الحياة الاجتماعية :

الفقراء :

كوّنت هذيل في عمومها مجتمعاً فقيراً يجيا حياة خشنة في هذه الصحراء الساسعة التي كانت تتمثل فيها حياة البدو في قسوتها وشدتها . وكانت بطونها المتعددة في مواطنها المترامية تتخذ لها علاقات خاصة مع القبائل المجاورة ما بين عدااء أو ولاء ، ولكنها - بطبيعة الظروف - كانت أقرب الى العدااء في كثير من الأحوال - كما رأينا - بل اننا نجد في بعض الاحيان تمرداً من

(٨٠) رسائل الجاحظ ١٠/١ ، ٧١ (مقاب الترك) .

الجماعة الفقيرة على بعض الأغنياء فيها من كانوا يمثلون قلة قليلة منشة في بطون هذه القبيلة ، وافخاذها ، وعشائرها .

فأغلب أفراد هذه القبيلة كانوا من الدهماء الذين يعيشون عيش الكفاف قانعين به أحياناً ، ساخطين عليه أحياناً أخرى . وبعضهم - أو كثير منهم - كان يعدّ من الصعاليك والنّوبان كالأعلم ، وصحر الغيّ ، وأبي جندب وغيرهم . ولكن يبدو - مع هذا - أن الخلعاء في هديل كانوا أقل منهم في غيرها ، فهم لم يتعرضوا للسخط الكثير من مجتمعهم الذي ربما سخط على الحياة من حولهم أكثر من سخطه على هذا الشغب والعدوان الذي يقوم به أفرادهم . فقد كان ذلك لا يختلف كثيراً - في نظرهم - عما تقوم به جماعاتهم من غارات في سبيل الحصول على العيش ، والحفاظ على الحياة .

وقد ساعدهم على هذا - كما أشرنا - تلك الطبيعة الجبلية للأماكن التي كانت مسرحاً لحياتهم في الحجاز ، فقد كانت عوناً لهم على الانقضاص ، والاختفاء ، ومراقبة الأعداء ، كما جعلت منهم أبطالاً محاربين فبهم جرأة وشدة ، ولهم على الجري قدرة نادرة ، فحين تحديق بهم الأخطار يطلقون سيقانهم للريح ، فلا يلحقهم لاحق ، ولا يسبقهم سابق^(٨١) ، وقد سنو ان رأينا صوراً لذلك .

الأغنياء :

واذا كان هذا الفقر ، وتلك الفاقة هما شأن الكثيرين من أبناء هذه القبيلة ، فليس معنى هذا أن الأغنياء لا وجود لهم أصلاً بين هذا المجتمع الهذلي ، فقد نلمح اشارات كثيرة في أشعارهم ، وفيما رواه الرواة من أخبارهم تفيد وجود شيء من اليسار يتفاوت قلة أو كثرة عند بعض أولئك الهذليين على اختلاف بطونهم وعشائريهم .

فها هو ذا المتنخل الهذلي من بني طابخة نراه بخزن الكثير من البرّ لسدّ

(٨١) أنظر شرح أشعار الهذليين ٧٧٢/٢ .

حاجته ، وحاجة من ينزل بساحته من الأضياف ، ومن حوله من المعوزين والفقراء ، وحسبنا اشارة الى ذلك قوله :

لا درّ درّی ان اطعمت نازلکم قرف الحقیّ وعندی البر مکنوز^(٨٢)

وها هو ذا قيس بن العيزارة من بني صاهلة يمتلك قطعان الابل والشاء ، ويغري من وقع في أسرهم من قبيلة فهم الفقيرة هي الأخرى بأنه سيعطيهم - اذا فكوا أسرهم - من هذه الابل والشاء ما يسد حاجتهم ، ويشبع جائعهم :

فقلت لهم شاء رغب وجامل وكلکم من ذلك المال شابع^(٨٣)

ولذلك نجد البريق الهذلي الخناعي يعتزّ بأن قومه من خناعة كانوا ذوي غنى ويسار ، وينزلون بإبلهم وشائهم في المنازل المخصبة ، والمراعي التي لم يسبقهم اليها أحد :

نشقّ التلّاع الحوّ لم ترغّ قبلنا
لنا الصارخ الحثووث والنعم الكدر^(٨٤)

وكذلك نجد اشارات اخرى كثيرة تنبئنا ان من بين هؤلاء الهذليين من كانوا أصحاب ابل غير من ذكرنا كالمسعوديين قوم عبدالله بن مسعود ، وغيرهم من بني شمع^(٨٥) . ومنهم من اشتهر بأنه صاحب شاء وماعز كقرد

(٨٢) ديوان الهذليين ١٥/٢ .

(٨٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق مراج) ٥٩٠/٢ .

وانظر ديوان الهذليين ٧٧/٣ .

(٨٤) شرح أشعار الهذليين ٧٥٠/٢ . وانظر ديوان الهذليين ٦٠/٣ .

(٨٥) شرح أشعار الهذليين ٨٠٠/٢ .

وكاهل^(٨٦) وبعض بني قريم^(٨٧) ، وبعض بني عمرو بن الحارث^(٨٨) وغيرهم .
وربما كثر الغنى عند بعض هؤلاء حتى يبلغ حدّاً غير مألوف لدى قومه ،
كهذا الهذلي الذي كانوا يسمونه « النويم » لوافر نعمته ، وكثرة النعم
لديه^(٨٩) .

وكان مثل هذا اليسار عند هؤلاء الاغنياء يوفر لهم - على تفاوت بينهم
- قدراً من الراحة والدعة لا يتوافر لغيرهم ممن لم يؤتوا حظاً من هذا
الغنى الذي حازوه^(٩٠) . ولعل هذا - كما سبق ان أشرنا - مما دعا بعضهم
كمالك بن الحارث التميمي الهذلي لا يكتفي من الغارة على أعدائه بما يسدّ
الحاجة ، ويذهب الفاقة بل يعمل جاهداً للحصول على المال الوفير يعوّض به
ما يهلك له من مال ، ويعرّض نفسه في هذا السبيل للكثير من الأخطار .

انظر اليه في قوله :

فلست بمقصر ما ساف مالي	ولو عرضت للبتي الرماح
فلوموا ما بدا لكم فاني	سأعتبكم اذا انفسح المراح
ومن تقلل حلوبته وينكل	عن الأعداء يغبقسه القراح
رأيت معاشراً يثني عليهم	اذا شبعوا وأوجههم قبـاح
يظلل المصريون لهم سجوداً	ولو لم يسق عندهم ضيـاح ^(٩١)

(٨٦) المرجع السابق ١/١٦٠٠ ، ٣٢٦ . ديوان الهذليين ١/٨٢ .

(٨٧) شرح أشعار الهذليين ٢/٨٠١ .

(٨٨) المرجع السابق ٢/٨٥٨ ، ٨٥٩ .

(٨٩) البقية ص ٤٩ .

(٩٠) انظر شعر الاعلم : شرح أشعار الهذليين ١/٣٢٦ .

(٩١) شرح أشعار الهذليين ١/٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وانظر ديوان الهذليين (مع خلاف طنف في الرواية) ٣/٨١ ، ٨٢ .

والشعر والشعراء (مع خلاف طنف أيضاً في الرواية) ٢/٥٥٧ .

فالفني زين يخفي عيوب الناس ، ويستر سوءاتهم ، ويجعل المقلين ياثونهم حتى وان كانوا باخلين أشحاء لا ينال منهم أحد شيئاً ، ولو كان شربة من لبن .

ولهذا قد نجد منهم من يوالي بعض القبائل الأخرى حفاظاً على ماله من النعم ، ومن ذلك ما رووا من أن أحد بني سهم كانت له ابل أوارك ، وكان يقيم بها في خزاعة ، فلما شب أوار الحرب بين خزاعة وبين قومه من هذيل قيل له ارجع الى قومك . قال : وكيف أصنع بابلي ، فأشاروا عليه ببيعها ، فقال : لا والله لا أفعل ، ولكني اواليهم عليها^(٩٢) .

هكذا كان شأن فقراء هذيل في كثرتهم ، وأغنيائهم في قلة عددهم . فاذا ساغ لنا ان نجعل من أولئك وهؤلاء طبقتين متمايزتين في مجتمعات هذيل كانت الطبقة الفقيرة هي السواد الأعظم منهم ، أما الطبقة الغنية فانها تمثل القلة من هذه البطون والعشائر الهذلية .

السادة :

وهناك طبقة ثالثة تتمثل في القلة القليلة من رجالات هذيل ، وسادتها الذين يتحملون الكثير من اعبائها كدفع المغارم والديات ، والسعي في اصلاح ذات البين ، وغير ذلك من تكاليف السيادة .

وقد مرّ بنا بعض هؤلاء مروراً عابراً سريعاً عند الحديث عن بطون هذيل وأفخاذها وعشائرها .

ومن هؤلاء السادة أبو قلابة الهذلي ، وهو من رجالات طابخة بن لحيان ابن هذيل ، وكان سيد قومه بني لحيان ، بل وصفه الرواة وأصحاب الانساب بأنه كان سيد بني هذيل ، وأول من نبغ في الشعر منهم ، وان ابنته كانت احدى الجدات البعيدات للرسول الكريم من قبل أمه^(٩٣) .

(٩٢) شرح أشعار الهذليين ٣٩٩/١ .

(٩٣) طبقات ابن سعد ٣٣/١ . اسد الغابة ٣٦١/٤ . جهرة أنساب العرب ص ١٨٥ . المؤتلف الخلف ص ٢٤٥ .

ومن هؤلاء السادة خويلد بن وائلة بن مطحل السهمي ، وقد وصف بأنه سيد هذيل في زمانه^(٩٤) . كان هو وعمرو بن نُفَّاثَة سيد كنانة رفيقين لعبدالمطلب بن هاشم في مفاوضة أبرهة عام الفيل^(٩٥) .

وقد ورث السيادة عنه ابنه معقل بن خويلد^(٩٦) وهو من مشاهير شعراء هذيل ، وكان من ذوي البأس والنجدة ، حامياً للذمار ، وقد أشرنا الى أنه عندما هَمَّت سليم بالاغارة على بني لحيان ، هب في قومه من بني سهم مدافعاً عن بني عمومته هؤلاء على ما كان بينه وبين سليم من موادة ، فرجعت سليم عن عزمها بعدما رأت ألا قبل لها بمعادة معقل وقومه من بني سهم^(٩٧) .

وكثيراً ما خرج معقل هذا في عدد من أشراف قومه للصلح بين المتحاربين من أبناء عمومته في هذيل^(٩٨) .

وعندما أسر بنو سهم كثيراً من كندة وحير والحبش الذين كانوا في جيش أصحاب الفيل ، ثم فروا - كما تحدثنا الروايات - في جبال هذيل كان معقل بن خويلد بماله من سيادة هو الذي خرج هؤلاء الأسرى الى الحبشة ، أو كان أحد اثنين كلاهما من هذيل ، وفدا هؤلاء الأسرى على النجاشي لافتداء أسرى بني كنانة ومن كان قد سُي من أهل نجد حين أقدم أصحاب الفيل يريدون الحرم^(٩٩) .

ومن هؤلاء السادة غافل بن صخر^(١٠٠) ، وكان سيداً في بني قُريم بن صاهلة ، وهو ثاني اثنين من هذيل وفدا على النجاشي بالأسرى اذ كان

(٩٤) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ص ١٥٧ .

(٩٥) تاريخ ابن خلدون ٦٢/٢ . بلوغ الادب ٢٧٢/١ .

(٩٦) الشعر والشعراء ص ١٥٧ .

(٩٧) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣٧٥/١ .

(٩٨) ديوان الهذليين ٧٠/٣ . شرح أشعار الهذليين ٣٧٣/١ .

(٩٩) شرح أشعار الهذليين ٣٩٠/١ .

(١٠٠) تاج العروس (غمل) .

رفيقاً لمقل بن خويلد السهمي في هذه الرحلة كما أشرنا .
ومن سادتهم أيضاً صُبح بن كاهل^(١٠١) .

وبنو صبح هذا منهم بنو زليفة بن صبح ، ويذكر ابن حزم أن ديارهم كانت حول مكة ، ولهم بها عدد وعدة ومنعة^(١٠٢) ، ويذكر المسعودي أن الرياسة في هذيل كانت فيهم^(١٠٣) .

الموالة والجوار :

كانت الموالة والجوار شيئاً بارزاً في حياة العرب ، وكأنا كان رد فعل يخفف بعض التخفيف من شرور العدوان ، ويبعث شيئاً من الطمأنينة في هذه النفوس القلقة ، وإن كان الغدر يلاحق أصحابها في كثير من الأحيان .

وقد كان ثمة شيء من هذه المودعة بين بعض هذيل ، ومن حولهم من العرب . فها قد رأينا ذلك السهمي الذي والى خزاعة على ابله ، وأقام بين ظهرانيتها أملاً في أن تسلم له نفسه وماله .

وهذا أبو جندب ظل حيناً من الدهر جاراً لبني نفاثة بن عدي بن الدليل بن بكر حتى أحس بالغدر منهم فنجا بنفسه وماله^(١٠٤) .

وأبو جندب نفسه كان له جار من خزاعة ، ف وقعت به بنو لحيان فقتلوه ، وقتلوا امرأته ، واستاقوا أمواله ، وكان أبو جندب مريضاً ، فلما أبل من مرضه خرج في الخلعاء من بكر وخزاعة ، وأغار بهم على بني لحيان أخذاً بثأر هذا الجار الخزاعي الذي عدا عليه أبناء عمومته هؤلاء ، ولم يراعوا حرمة هذا الجوار^(١٠٥) .

(١٠١) نهاية الادب ص ٣١٢ . معجم قبائل العرب ٢/ ٦٣٠ - الجمهرة ص ١٨٧ .

(١٠٢) المرجع الاخير (الصفحة نفسها) .

(١٠٣) مروج الذهب ٢/ ١٥٥ .

(١٠٤) شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٦٢ .

(١٠٥) المرجع السابق ١/ ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٢/ ٨١٠ .

هذا ، وقد كان لبني لحيان هؤلاء جار ، فعدا عليه رجل من خزيمية بن صاهلة فباعه ، فغضبت لذلك بنو لحيان وطارت الحرب بينهما .

وكان لمعقل بن خويلد السهمي جار حدث فغدر به عاسل بن قميئة من بني حريث بن سعد بن هذيل ، فقتله .

وقد كان هنالك حلف وجوار بين مسعود بن غافل الشمخي الصاهلي - والد عبدالله بن مسعود - وبين الحارث بن زهرة القرشي . هذا الى ما كان بينهما من مصاهرة كانت - هي وأمثالها - من الصلات التي قربت ما بين هذيل وقريش .

ولم تكن هذه الأحلاف وقفاً على كونها وُصلة بين الأفراد فحسب ، بل تتعداهم الى الجماعات من بطون وأفخاذ وعشائر ، فقد كان بين قوم من بني قُريم بن صاهلة بالمرخة الشامية وبين بني عضل بن ديش بالمرخة اليمانية جوار وقسامة ، لا يعدو بعضهم على بعض على الرغم مما كان بين قوم كل منهما من حروب ومصاولات (١٠٦) .

وكذلك كان بين بني سليم وبين بني سهم بن معاوية من هذيل موادة ، ولكن هذه الموادة لم تمنع بني سهم هؤلاء من نجدة قومهم والانتصار لهم ، فقد همت سليم بغزو بني لحيان ، فلما بلغ ذلك معقل بن خويلد السهمي - زعيم القوم يومئذ - جمع لبني لحيان من يشدون أزهرهم من بني سهم ، فقالت سليم لمعقل : أتريد ان تنتصر لبني لحيان وبيننا وبينكم ما قد علمتم ؟ فقال لهم معقل : وهل يُسلم القوم بني عمهم ؟ ان تقصروا عنهم فنحن على ما كنا عليه ، وان تحاربوهم لا نخذلهم ، فعدلت سليم عن حربهم ، وفي هذا يقول معقل قصيدة مطلعها :

تقول سليم سالمونا وحاربوا	هذيلا ولم تطمع بذلك مطعمنا
فاما بنو لحيان فاعلم بأنهم	بنو عمنا من يرمهم يرمنا معا (١٠٧)

(١٠٦) شرح أشعار الهدليين ٢/٦٣١ .

(١٠٧) شرح أشعار الهدليين ٢/٣٧٥ .

وكذلك كان بين بني لحيان وبني المصطلق موالاة وقسامة (١٠٨).

هذا ، وقد سبقت الإشارة قبل ان ننهي حديثنا في بطون هذيل ان من الروايات ما يطالعنا بأن بعض العشائر ، والاحياء العربية كان يعيش في جوار هذيل ، ومن هؤلاء بنو الدَّرعاء ، وهم حيّ من عدوان من قيس عيلان ، فتحدثنا هذه الروايات بأنهم كانوا حلفاء في بني سهم بن معاوية الهذليين (١٠٩).

ونجد كذلك من هذه الاشارات ما ينبئنا ان بعض بطون هذيل ورجالها حالفوا غيرهم أو عاشوا في جواره ، بل ان من هذه الروايات ما يذهب الى ما هو أبعد من ذلك ، فيشير الى أن بعض العشائر الهذلية قد دخلت في قبائل أخرى ، وانتسبت اليها ، فلم تعد تذكر في عداد هذيل ، ومن هؤلاء « حوَيَّة » الذين ينتمون في أصلهم الى سعد بن هذيل ، ولكنهم دخلوا في بني عبس ، ويقال ان منهم الخطيئة الشاعر الهجاء المعروف (١١٠).

ولعل من هؤلاء أيضاً عامر بن سدوس الخناعي الذي دخل هو الآخر في خزاعة ، فقد جاء في ديوان الهذليين أن عامر بن سدوس الخناعي كان يُعزى هو ورهطه الى خزاعة ، وان المعطل الهذلي يوجه اليهم اللوم في بعض قصائده (١١١).



تلك اشارة الى صلات هذيل بمن جاورها من قبائل العرب . ويجدر بنا ان نشير الآن الى بعض صفات الهذليين وسلوكهم في داخل مجتمعاتهم .

صفات وعاداتها :

لا ريب في أنهم كانوا يتصفون - بوجه عام - بما يتصف به العربي من

(١٠٨) المرجع السابق ١/٤٦٨ .

(١٠٩) تاج العروس (درج)

(١١٠) الحمرة ص ١٨٦ .

(١١١) ديوان الهذليين ٣/٥١ . شرح أشعار الهذليين ٢/٨٣٨ .

صفات ، وافتننا بها أشعار العرب ، وأحاديث الرواة ، ومن هذه الخلال ما أقره الاسلام ، ومنها ما أبطله .

ولكن هذه الدراسة تملي علينا ان نجمع شتات ما كتب عن هذيل في هذا الصدد من شذرات منثورة هنا وهناك ، وان نستوحي شعر الهذليين حتى نخرج من وراء ذلك بما نؤكد به اتصاف هذه القبيلة بهذه الصفات أو تلك ، ونخلص من هذا التعميم الذي يسمون به القبائل العربية في مجموعها الى تخصيص هذه القبيلة بما عساه ان يكون واضحاً فيها ، بارزاً في سلوك أبنائها .

الشجاعة والنجدة :

تتسم هذيل بالشجاعة والنجدة ، ولهم في ذلك مواقف مشهودة - مع الأعداء والأولياء - مرّ بنا شيء منها في غضون البحث .

ومن مواقفهم مع أعدائهم ان قبيلة فهم - العدو الألدّ للهذليين - أجذبت بلادهم ، وتمجّفت أموالهم ، حتى خشوا الهلكة على أنفسهم وأهليهم ، فلما دخل رجب الأصم ، وكانت له حرمة بين الأشهر الحرم ، خرج جم غفير من أشراف فهم الى بني صاهلة من هذيل ، وشكوا اليهم ما حل بهم من جذب وقحط ، فكان ان قبلت هذيل رجاءهم وجوارهم وأرعوهم من أرضهم ما شاءوا . وهذا أمر قد يكون نادراً بين الخصوم والأعداء في جاهلية العرب .

ومن مواقف نجدتهم لأبناء عموماتهم ما رأيناه من معقل بن خويلد وقومه من بني سهم في انتصارهم لبني لحيان ، وما كان له من أثر في دفع غائلة المعتدين من سليم .

ومثل هذا ما مرّ بنا في غارات هذيل ووقائعها من نصره بني مازن وبني قرد لأبناء عموماتهم ضد هوازن وعلى رأسهم مالك بن عوف النصري الذي اضطّر - بعد انتصاره أول الأمر - ان ينجو بنفسه شداً على قدميه .

وهذا أبو ضب الهذلي الذي كانت تختلط الحمية والنجدة عنده

بالامعان في طلب الثأر حتى انه ليذكر الرواة أنه لم يقتل من هذيل قتيل الا قتل قاتلة(١١٢).

ولهذا كان يلجأ اليه كثير من المظلومين لنصرتهم ، ومن أخباره في ذلك ما سبق من انه جاءته امرأة من بني سهم ، قتل أخ لها يقال له عصمة الأضياف ، قتله بعض بني جهينة ، فخرج منتصراً لها ، حتى أصاب أهل هذه الدار الباغية ، وقتل زعيمها ، ثم قفل راجعاً الى ديار قومه(١١٣).

وأبو ضب هذا الحياتي ، ولحيان اشتهرت بالبأس والنجدة والثأر ، وان كان فيها أيضاً غدر وبغي ، حتى قال فيهم بعض الاخباريين والرواة : « كان من شأن بني لحيان انها كانت شوكة من هذيل ، ومنعة وبغيا »(١١٤).

الكرم :

وحديثنا عن شجاعة الهذليين وبأسهم ونجدتهم يذكرنا بالجانب الآخر الذي يعتز به العربي بعامه ، وهو الكرم والجود فلبس الكرم بأقل أثراً ، وأدنى منزلة من الشجاعة ، فكلاهما له منزلته العظيمة ، وأثره العميق في حياة العرب ، وانا لنجد من مظاهر الجود والسخاء عند هذه القبيلة ما تحدثنا به أشعارهم على درجة تلي في الكثرة والاهتمام حديثهم عن الشجاعة والبأس ذلك الحديث الذي ملأ عليهم أشعارهم . وليس حديث الكرم والجود بغريب على مثل هذه البيئات التي تتصف بشطف العيش وخنونة الحياة ، لذلك لا ننتظر ممن أوتوا حظاً من لين العيش الا أن يكونوا على درجة من الساحة والسخاء يستطيعون معها التخفيف عن ينزلون بهم أو يجتدون نوالهم وعطاءهم . ولهذا تراهم حين يفخرون أو يتغزلون يتمدحون بالكرم ، ويعطونه من عنايتهم ما ينبىء عن عظيم قيمته عندهم . انظر الى قول المتنخل :

(١١٢) البقية ص ١١ . شرح أشعار الهذليين ٧٠٣/٢ .

(١١٣) المرجع السابق (الصفحة نفسها) .

(١١٤) البقية ص ١٣ .

لا درّ درّی ان اطعمت نازلکم قرف الحقیّ وعندي البرمکنوز^(١١٥)
وانظر الى أبي ذؤيب في قوله :

فانك لو ساءلت عنا فتخبري اذا البزل راحت لا تُدرّ عشارها
لأنبت أنا نجتدي الحمد انما تكلفه من النفوس خيارها
لنا صيرم ينحرن في كل شتوة اذا ما ساء الناس قل قطارها^(١١٦)

ونرى مثل ذلك في رثاء موتاهم ، وما اكثر الرثاء في أشعارهم ، فكما
يصفون هؤلاء بالشجاعة ، يصفونهم بالكرم ومن ذلك قول معقل بن خويلد
يرثي أخاه عمرو بن خويلد :

لعمري لقد أعلنت خرقاً مبرأ من التغّب جواب المهالك أروعا
جواداً اذا ما الناس قل جوادهم وسيفاً اذا ما صارخ القوم أفزعا^(١١٧)
وقول عمرة أخت عمرو ذي الكلب ترثيه :

وقد علم الضيف والمجتدون اذا اغبرّ أفق وهبت شمالا
وخلّت عن أولادها المرضعات ولم تر عـين لمزن بلالا
بأنك كنت الربيع المغيث لمن يعتريك وكنت الثملا^(١١٨)
والأمثلة على هذا كثيرة في شعرهم .

هذا ، ولا ننسى أننا - الى جانب دوافع الكرم التي أشرنا اليها - نجده
عند القوم مظهراً من مظاهر السيادة ، ويصور لنا ذلك قول الأعم :

فان السيّد المعلوم فينا يجود بما يرضن به البخيل
وان سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطلعها طويل^(١١٩)

★ ★ ★

(١١٥) ديوان الهذليين ١٥/٢ .

(١١٦) ديوان الهذليين ٢٦/١ ، ٢٧ . شرح أشعار الهذليين ٧٨/١ .

(١١٧) المرجع الاخير (الصفحة نفسها)

(١١٨) المرجع نفسه ٥٨٥/٢ . ويروى 'لجئون' اخته في ديوان الهذليين ١٢٢/٣ .

(١١٩) هو نفسه ٣٢٣/١ . ديوان الهذليين ٨٧/٢ .

وأد البنات :

من عادات هذيل المذمومة التي نسبت إليها ، وإلى كثيرين غيرها من قبائل العرب « وأد البنات » يدفعها إلى ذلك دافع الفقر ، وخشية العار ، فيذكر الأخباريون أنه كان في قبيلة كندة ، وقيس ، وهذيل ، وأسد ، وبكر ابن وائل ، وخزاعة ومضر^(١٢٠) . وقيل إنه كان في تميم ، وقيس ، وأسد ، وهذيل ، وبكر وائل ، وهم من مضر ، فهي عادة في قبائل مضر دون غيرهم ، وقيل إنها كانت في مضر وغيرها من العرب الذين يتسمون بالبداءة . وهذا الرأي عندي له وجاهته ؛ لأن البداءة - بما يكتنفها من ظروف خاصة - هي أشبه ما تكون بهذه العادة الجافية التي توصم بالغلظة والقسوة .

أما القبائل التي كانت تعيش في القرى فربما كانت تستروح شيئاً من نعمة العيش ينأى بها قليلاً أو كثيراً عن التورط في مثل هذه الجريمة الشنعاء . ومع هذا فلا يخلو الأمر من وقوع مثل ذلك فيها ، فقد وافتنا الروايات بأن عمر بن الخطاب وأد بنتاً له في الجاهلية .



الفاحشة :

وإذا كانت القبائل العربية لا يخلو شعر بعض شعرائها من غزل وتشبيب قد يكون بعضه مادياً مكشوفاً يتناول العورات ، وينبئ عما وراءه من فجور أحياناً كما عند امرئ القيس في شعره ، وفيما وافانا الرواة به من سيرته - فإننا مع هذا لا نكاد نجد شعراً يتناول المرأة بالصورة التي نراها في شعر هذيل ، . ذلك الشعر الذي يتضافر مع أقوال الرواة في إقناعنا بأن المجتمع الهذلي كان كثير من أفرادهِ - ولا سيما من يجد منهم في حياته شيئاً من الدعة - تشيع فيهم الفاحشة ، وتنتهك بينهم الحرمات ،

(١٢٠) القرطبي ، الجامع ١١٦/١ . المرد ، الكامل ٢٨٨/١ .

وتكثر المخاللة بين الرجال والنساء ، بل قد نحد المسافسة بين رجل ورجل
على امرأة واحدة . وإليك بعض ما يرويه الرواة من ذلك :

كان أبو ذؤيب يهوى امرأة من قومه ، وكان رسوله إليها هو ابن أخته
خالد بن زهير ، فخانه فيها ، فقال أبو ذؤيب (١٢١) :

تريدين كيا تجمعيني وخالدا وهل يُجمع السيفان ويحك في غمدا ؟
أخالد ما راعيت مني قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي
وكان أبو ذؤيب قد خان فيها ابن عم له يقال له مالك بن عويمر ، فقال
خالد يرد على أبي ذؤيب (١٢٢) :

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها وأول راضٍ سنة من يسيرها
وكنت إماماً للعشيرة تنتهي إليك إذا ضاقت بأمر صدورها
ألم تنقذها من ابن عويمر وأنت صفى النفس منه وخيرها ؟

وأدهى من ذلك أن الرجل منهم قد يجمع بين المرأة وابنتها فبتصل بهما
جميعاً ، وهذا منتهى الإسفاف في مثل هذه الصلات الآثمة بين قوم مهما يكن
أمرهم من جاهلية أو غيرها .

· يروي الرواة أن خالد بن زهير خالاً امرأة وابنتها في الجاهلية ، فبلغ
ذلك معقل بن خويلد ، وهو سيد قومه ، فقال معقل (١٢٣) :

أتاني ولم أشعر به أن خالداً يعطّف أبكاراً على أمهاتها
يعطّف طولها سناماً وحاركاً ومثلك أغنت طليها عن بناتها

(١٢١) ديوان الهذليين ١/١٥٩ .

(١٢٢) المرجع السابق ١/١٥٧ .

وانظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٢/٥٤٨ .

(١٢٣) شرح أشعار الهذليين ١/٣٩٧ . ديوان الهذليين ١/١٦١ .

فأجابه خالد بن زهير (١٢٤) :

إذا ما رأيت نساء عند سوءة فإن نساء معقل أخواتها
فكن معقلاً في قومك ابن خويلد ومسك بأسباب أوضاع رعاتها

وهذا رد إن يكن ظاهره فيه إقذاع ، فإنه لا يعدو الحق ، ولا يتجافى
عن الواقع . فإن لهؤلاء النسوة مواقف غير محمودة ، فقد كان معقل هذا -
وهو سيد من سادات هذيل كما أسلفنا - له امرأتان أطبقتا على حب رجل
جيل من أشجع قيس يقال له عُش بن جابر ، وكانتا تؤمانه بين الفينة
والفينة إلى أن علم معقل فقتل إحداهما ، وضرب الأخرى بالسيف فقطع
يدها وأنشأ يقول قصيدة في اللوم مطلعها (١٢٥) :

ألم تحشي خليلك أو تُجلي أباك هُضيبَ عن بعض الخطاب؟

وكثيراً ما توافينا الروايات بأمثال هذه المخاللة الفاضحة بين الرجال
والنساء ، وقد يقوم بدور القوادين فيها رجال أو نساء ، وقد سبق أن أشرنا
إلى ما كان بين أبي ذؤيب وخليته ، وما كان من أمرهما مع مالك بن
عويمر ، وخالد بن زهير . وإليك رواية أخرى أشد نكراً من هذه :

يروى أبو سعيد السكري راوية شعر هذيل وأخبارها أن رجلاً هذلياً
يدعى عامر بن العجلان كان صديقاً لجارة لأبي المثلّم الهذلي ، فكان الرجل
إذا أراد صديقه عمدت امرأة أبي المثلّم إلى جارتها ، فجمعت بينها وبينه
ثم انصرفت عنهما ، ثم إن عامراً هذا أقبل ذات يوم زائراً لصديقه ،
وأقبلت امرأة أبي المثلّم بجارتها ، وما لبثت أن نهشت عامر بن العجلان
حية ، فعمدت صديقه ، وامرأة أبي المثلّم ، فجعلتا له من الشجر خيمة
تكنه من الشمس ، وأخذتا تأتيانه وتحتلفان إليه بطعام وشراب حتى
برأ (١٢٦) .

(١٢٤) المرجع السابق ١٦٢/١ شرح أشعار الهذليين ٣٩٨/١ .

(١٢٥) شرح أشعار الهذليين ٣٨٧/١ .

(١٢٦) المرجع السابق ٣٠٣/١ .

ولم يقف الأمر عند هذا بل إن الروايات لتنطق في صراحة بمقارفة هذا الفحش ، فخليلة أبي نؤيب بعد أن كبر تراود رسوله خالداً عن نفسه فيستجيب لذلك (١٢٧) .

ومن قبل هؤلاء جميعاً نُسبت هذه السوءة إلى قرد بن معاوية ، ويقال إنه أسرف في ذلك إسرافاً جعله مضرب المثل ف قيل : « أزنى من قرد » (١٢٨) .

وكذلك سار المثل « أقود من ظلمة » معبراً أصدق التعبير عن « ظلمة الهذلية » ، فقد كانت فاجرة كأشد ما يكون الفجور ، فلما أُسنت ظلت تعيش في هذه الذكرى ، وعز عليها نسيانها ، فاشتريت تيساً ؛ لأنها كانت ترتاح لنبيبه (١٢٩) .

هذا ، وقد بلغ الأمر ببعض هذيل أن يسألوا الرسول الكريم في أن يبيح لهم الزنى . ونجد صدى ذلك في شعر حسان بن ثابت شاعر النبي حين يهجو هذيلاً لغدرها بالمسلمين في غزوة الرجيع :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تُصِيب
سألوأرسولهم ما ليس معطيهم حتى الممات وكانوا سبة العرب (١٣٠)

ويقال إن النبي سأل الرسول ذلك هو أبو كبير الهذلي ، « فقد روي أنه أدرك الإسلام ، ثم أتى النبي فقال له : أحل لي الزنا ، فقال : أتحب أن يؤتى إليك مثل ذلك ؟ قال : لا ، قال : فارض لأخيك ما ترضى لنفسك . قال : فادع الله أن يذهب عني (١٣١) .

(١٢٧) شرح أشعار الهذليين ٢٠٧/١ .

(١٢٨) الميداني : مجمع الأمثال ٢٨٧/١ .

(١٢٩) القاموس وتاج العروس (ظلم) .

(١٣٠) الخيص ٢١٨/١٢ .

(١٣١) الاصابة ١٦٥/٤ . وانظر الدكتور جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام

٤٩٣/٩ .

ويستبعد الدكتور جواد على نسبة هذه القصة إلى أبي كبير؛ لأن الأصح عنده أنه جاهلي لم يدرك الإسلام، وإن كان لم يشر إلى السند الذي بنى عليه قوله.

ومع ذلك، فإن هذا السؤال قد صدر - في أغلب الظن - عن قوم من هذيل لم يكونوا قد دخلوا في الإسلام بعد، وإلا ما كان لحسان أن يعرض برجل مسلم قد تاب وأتاب، وصار في عداد صحابة الرسول؛ فهذا أمر مستبعد.

تلك أهم الصفات والعادات التي ألفيناها بارزة عند هذيل.

★ ★ ★

الخمرة:

ولكن هنالك بعض عادات أخرى لا تستحق الوقوف عندها طويلاً كشرب الخمر الذي يعد أمراً مشتركاً بين العرب في الجاهلية، ولعلّه في هذيل أقل منه في غيرها، فربما كان الكدح في سبيل العيش عند عامة أبناء هذه القبيلة وصعاليكها أمراً لا يترك لهم فرصة لحياة الشرب واللهو التي قد نجدوها عند القلة القليلة من هذيل. وقد نجد في أشعارهم إشارات عابرة إلى الخمر في ثنايا الغزل كقول أبي ذؤيب (١٣٢):

كأن على فيها عقاراً مُدّامة سلافة راح عتّقها تجارها
ولكن أمثال هذه الإشارات ليست دليلاً على إثبات أو نفي، فالخمر - في كل حال - معروفة عند العرب، فلا يغيب ذكرها عن شعراء هذيل شربوا أو لم يشربوا.

ومع هذا فهناك إشارات في هذا الشعر - لا تبلغ حد التواتر - تثبت معاقرة بعض الهذليين للخمر، كقول أبي ذؤيب نفسه:

(١٣٢) ديوان الهذليين ١/٢٤.

رأتني صريع الخمر يوماً فسؤتها بقرآن إن الخمر شئت صحابها (١٣٣)
وقوله :

رويت ولم يغرم ندمي وحاولت بني عمها أسماء أن يفعلوا فعلي (١٣٤)
هكذا نجد أن قوماً من هذيل كانوا يعاقرون الخمر . وأغلب الظن أنهم -
كما أشرنا - من الميسورين الذين يجدون وقتاً للهو والشرب في حين أنك تجد
غيرهم من الكادحين يحترقون .

ولكننا - مع هذا قد نجد في بعض الأحبار - من هؤلاء الكادحين
المعوزين من يشرب الخمر ، ويروي ندماءه مبالغاً في ذلك أشد المبالغة ، فهو
يسقيهم مهما بلغ بهم السكر مبلغه مع أن ثوبه بال وملبسه خلق (وهذه
صورة من صور الكرم إلى جانب الخمر) :

يُروي النديم إذا تناسى صحبه أم الصبي وثوبه مخلوق (١٣٥)
وليس شأن الهذليين مع الخمر مقصوراً على ما ورد من ذلك في أشعارهم
بل إن روايات الرواة تساند شعر الشعراء في هذا الصدد .
فمن ذلك ما رووا من أن عروة بن مرة كان يجتمع مع شرب من قومه
وينحر لهم من إبل أبي خراش (١٣٦) .

وقد لا ينسى بعضهم حظه منها حتى في حال خروجهم للغارة على
أعدائهم ، وهكذا لا يكون أمرها مقصوراً على وقت الراحة والدعة (١٣٧) .

(١٣٣) المرجع السابق ٨١/٢ .

(١٣٤) المرجع نفسه ٣٩/١ .

(١٣٥) شرح أشعار الهذليين ٤٦٤/١ .

(١٣٦) الاصبهاني ، الاغاني (ط بولاق) ٦٠/٢١ .

(١٣٧) شرح أشعار الهذليين ٨٥١/٢ .

عاداتها في التشاؤم :

كانت هنالك عادات أخرى - ليست بذات بال - نشير إليها إشارة عابرة .

كانت هذيل تتفاءل وتتشاءم كغيرها من قبائل العرب : والعرب كان أكثرهم يتفاءلون بالسائح ، وهو الطائر والوحش يمر من بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ، وتتشاءم بالبارح ، وهو ما مر من يمينك إلى يسارك .

وثمة خلاف غير قليل في موقف العرب - على اختلاف قبائلهم - من السائح والبارح^(١٣٨) ، ولكن يهمننا من ذلك أن هذيلاً كانت تتشاءم بالسنيح (أي السائح) على عكس كثيرين من غيرها . وقد وافقنا بذلك أخبارها^(١٣٩) وأشعارها^(١٤٠)

اللطم بالنعل :

من هذه العادات أن النساء عندهم كنَّ إذا مات الرجل منهم يضررن صدورهن (بالسَّبْت) أي النعل ، وهي طريقة من طرق اللطم بدلا من لطم الحدود . ومن ذلك قول أبي ذؤيب^(١٤١) :

وقام بناقي بالنعال حواسرا فألصقن وقع السَّبْت تحت القلائد

وقول عبد مناف بن ربيع :

إذا تجرد نوحٌ قامتما معه ضربا أليماً سببت يلعب الجلدا^(١٤٢)

وقول ساعدة بن جوبة :

(١٣٨) انظر حواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٩٧٠/٦ .

(١٣٩) المرجع السابق الصفحة نفسها

(١٤٠) أشعار الهدليين ٤٢/١ . ديوان الهدليين ٧٩٠/٦ .

(١٤١) شرح أشعار الهدليين ١٩١/١

(١٤٢) ديوان الهدليين ، ٣٩/٢ .

فقامت بسبب يلعب الجلد مارن وعزَّ عليها هلكه وغبورها (١٤٣)

وقول ساعدة بن جوبة :

فقامت بسبب يلعب الجلد وقعه يقبّض أحشاء الفؤاد ألسم (١٤٤)

ولا أدري هل هذه عادة في نساء هذيل وحدها ، أو هي عادة عربية جاهلية ، فقد نجد في شرح أشعار الهذليين ما يفيد التعميم ، وينبئ عن أن هذا من صنيع المصابات في الجاهلية (١٤٥) .

ومع هذا فإني لم أقع على مثل ذلك في غير شعر هذيل .

★ ★ ★

الحياة الروحية :

كانت الوثنية هي الديانة الغالبة على شبه الجزيرة العربية ، وإن كان من بينها بعض القبائل التي كانت تدين باليهودية أو النصرانية ، وبعض الحنفاء الذين وصلوا بعقولهم إلى التوحيد . وآمنوا بالله على فترة من الرسل .

وهذيل إحدى هذه القبائل الوثنية التي أخلصت لوثنيتها ، وتعصبت لها أشد التعصب ، ويدلنا على ذلك موقف العداء الشديد الذي وقفته من الإسلام إبان ظهوره ، ولعلّ بني لحيان كان تعصبهم أشد من غيرهم من سائر هذيل ، وكثيراً ما سجل التاريخ عليهم غدرهم بالمسلمين ، وكيدهم للإسلام (١٤٦) .

(١٤٣) ديوان الهذليين ٢/٢١٨ .

(١٤٤) المرجع السابق ، ١/٢٣٣ .

(١٤٥) شرح أشعار الهذليين ١/١٩١ .

(١٤٦) ابن سعد ، الطبقات ٣/٣٥ . ابن هشام ، السيرة ٣/٨٣ الدميري ، حاسة الحيوان

٢/٢٣٤

أصنامها :

وكان سواع - فيما يبدو - أهم معبودات هذيل ، وكان سدنته في أشهر الأقوال من بني لحيان^(١٤٧) وإن كان هناك من يقول بأنهم من بني صاهلة^(١٤٨) ، وكلاهما من هذيل . وأول من ابتدع عبادة هذا الصنم للهذيليين - فيما يقال - هو الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل متأثراً في ذلك بعمر بن لُحيّ الذي قيل إنه أول من نصب الأصنام للعرب^(١٤٩) .

وعلى الرغم من شهرة هذيل بعبادة هذا الصنم ، فإنه لم يرد له ذكر فيما بين أيدينا من أشعارها ، ولكن وردت إشارة في شعر بعض شعراء اليمن في قوله :

تراهم حول قَيْلَهُمْ عَكُوفٌ ————— كما عكفت هذيل على سواع^(١٥٠)
وينقل إلينا الدكتور حواد علي كثيراً من الروايات حول مكان هذا الصنم ، ومن شارك هذيلاً في عبادته من العرب .

ومن هذه الروايات ما يذكره ابن حبيب من أن هذا الصنم كان بنَعْمَان ، وأن عدته هم بنو كنانة ، وهذيل ، ومزينة ، وعمر بن قيس عيلان .

وثمة رواية أخرى ترجع إلى ابن الكلبي تجعل مكانه «رُهاط» من أرض نخلة يعبده من يليه من مضر^(١٥١) .

والروايات في هذا كثيرة ، ولكنها تكاد تتضافر على أن سواعاً كان لهذيل ، وإذا شاركها فيه غيرها ، فهذا أمر طبيعي عند قبائل العرب التي كان لا يعنيتها غالباً أن تقصر نفسها على صنم بعينه ، فقد تشتهر القبيلة

(١٤٧) بلوغ الأرب في أحوال العرب ٢/٢١٧ . الأصنام ص ٩ .

(١٤٨) اس حبيب ، المحبر ٣١٥ .

(١٤٩) السويدي ، سائق الذهب ص ١٠٤ . د جواد علي ، الفصل ٦/٢١٤ .

(١٥٠) الأصنام ص ١٠ .

(١٥١) انظر الدكتور جواد علي ، الفصل ٦/٢٥٧ وما بعدها .

بأحد هذه الأصنام أو بعضها . ولكنها تشترك مع غيرها من جيرانها أو المحيطين بها في تعظيم أصنامهم .

فإذا كانت « مناة » يعظمها أهل يثرب ، ومن إليهم من عرب المدينة والأزد وغسان - فإن القبائل الأخرى كانت تعظمها أيضاً ، ومن بينها قريش (١٥٢) ، وهذيل، وكنانة (١٥٣) .

وكانت هذيل كذلك إحدى القبائل التي تعبد « ود » ويشاركها فيه - كما تقول الرواية - بعض تميم ، وطيء والخزرج ولخم (١٥٤) .

طقوسها :

ومن طقوسهم الدينية أنهم كانوا يقولون في استسقايتهم واستمطارهم : « اللهم هذا عشية قسم من عندك ، فقد تلوّحت الأرض ، فهي مثل حجر الثوب تعوي وتنبح » (١٥٥) .

وكانت تلبيتهم في الحج : « لبيك عن هذيل . قد أذلجوا بليل » (١٥٦) .

وينسب لهذيل وغيرها من عبدة سواع تلبية خاصة فحواها : لبيك اللهم لبيك ، أبنا إليك ، إن سواع طلبنا إليك » (١٥٧) .

وإذا كان بين العرب من يتشدّدون في دينهم وحجهم ويسمون بالحُمس ، ومنهم قريش وكنانة وفهم وعدوان ، وعامر بن صعصعة ، وخزاعة ، ومن تابعهم في الجاهلية فإننا لا نجد هذيلًا في عداد هؤلاء ، بل هي من الحلقة الذين كانوا لا يتشدّدون هذا التشدد الذي كان يتسم به هؤلاء الخمس حين

(١٥٢) الاصنام ص ١٣ ، ١٥ .

(١٥٣) البلدان ١٦٩/٨ .

(١٥٤) د . جواد علي ، الفصل ٢٥٦/٦ .

(١٥٥) الرمحشري ، أساس البلاغة ص ٣٦٦ . تاج العروس (قسم)

(١٥٦) تاريخ العقوبي ص ٣٩٩ .

(١٥٧) ابن حبيب ، المحيرص ، ٣١٢ .

يخصون أنفسهم باتجاه غير اتجاه سائر العرب ، فلا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات ؛ لأنها من الحل ، وإنما يقفون بالمزدلفة ، ويقولون نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم . وهذا أمر أبطله الإسلام .

وإذا وجدنا أن كثيراً من الجاهليين كانوا يستحلون المظالم ، ويعتدون في الأشهر الحرم ، وإذا شهدوا الأسواق أباحوا لأنفسهم الاعتداء فيها على أموال الناس فسموا (المحلون) لأنهم يبيحون لأنفسهم انتهاك هذه الحرمات . فإننا نجد من العرب من ينكرون ذلك ، وينصبون أنفسهم لنصرة المظلوم ، والمنع من سفك الدماء ، وارتكاب المنكر ، فيسمون اللادة (المحرمين) ومن هؤلاء قوم من هذيل (١٥٨) .

وليس من ريب في أن هذه عاطفة دينية ، وليست مجرد نخوة عربية ، ولا سيما فيما يتصل بتقديس الأشهر الحرم . فإذا كانت العاطفة الدينية إذن من أهم الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك ، فإن هذه العاطفة ذاتها هي التي دفعتهم إلى مشاركة قريش وكنانة في مفاوضة أبرهة ، وقبل هذا في محاولة حربته (١٥٩) ، فليس من دافع إلى ذلك إلا حماية الحرم ، والحفاظ على الكعبة من عدوان هؤلاء المعتدين .

★ ★ ★

(٣) وضعهم في الإسلام

عرفنا أن هذيلاً بعامه ، وبني لحيان منهم بخاصة كانوا معادين للدعوة الإسلامية ، وأنه كان منهم بغي وعدوان على المسلمين ، وغدر بهم . وقد قضى الرسول على فتنة خالد بن سفيان بن نسيح قبل أن يستفحل أمره ، ثم غزا لحيان عقاباً لهم على ما بيتوا من غدر في موقعة الرجيع ؛ فهربوا ،

(١٥٨) د . حواد علي ، المفضل ٢٢٣/٦ .

(١٥٩) د . حس إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ٥٠/١ .

واعتصموا برءوس الجبال ، وكثيراً ما هجاهم شعراء الرسول كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ردّاً على بغيهم ، وتنديداً بفرارهم . . فلا ننتظر بعد هذا أن تكون هذيل سابقة إلى الإسلام ، فقد كانت تحطب في جبل قريش ، ومن والاها من قبائل العرب .

ويمكن أن نستثني من هذيل بيتاً كان له السبق إلى الإسلام هو بيت المسعوديين أبناء مسعود بن غافل بن حبيب بن شمش من صاهلة ، فلم يكن من هؤلاء المسعوديين إيذاء للدعوة ، ولا معارضة لها ، بل كان لهم سبق إلى الإسلام ، وكانوا ثلاثة من الإخوة : عبد الله ، وعتبة ، وعميس .

وكان أسبقهم إلى الإسلام عبد الله ، وله قدم صدق في دعوة الإسلام ، وقد أسلم قبل دخول الرسول (ﷺ) دار الأرقم ، ويقول هو عن نفسه : « لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا » .

وأهمهم (أم عبد) كانت ممن بايع الرسول وروى عنه .

وعتبة يعرف عنه التاريخ أكثر مما يعرف عن عميس ، ولكن حسبهم جميعاً أنهم كانوا من أصحاب الرسول الكريم .

ويبدو أن كثيراً من الهذليين حين بدأوا يدخلون في الإسلام منذ عصر الرسول ظلوا في البادية دون أن يكون لهم - على الراجح - فضل صحبة أو هجرة ، ولكنهم عدّوا من المخضرمين ، ومن هؤلاء أبو ذؤيب الهذلي الذي لم يقدم إلى المدينة إلا غداة وفاة الرسول .

ولكن يحدثنا التاريخ عن هذليين آخرين - غير المسعوديين - كان لهم فضل الصحبة ، ومنهم أصيل بن عبد الله الذي قدم من مكة - أو من موطنه حول مكة - فسأله الرسول عنها ، فذكر كلاماً أثار أشجانه ، وهاج في نفسه كامن الشوق إليها^(١٦٠) .

ولا ريب في أن هناك غيره قد أسلم ولقي الرسول وثبتت له

(١٦٠) أسد الغابة ١/٤ : ١٠١ .

الصحبة (١٦١).

وهؤلاء الهذليون من المسلمين كانت لهم مشاركة ذات بال في الدولة الإسلامية من حيث الجهاد ، وسياسة الدولة ، وخدمة العلم والدين .

المشاركة في الجهاد :

لعل عنوان الهذليين المسلمين في مجاهدة المشركين هو عبد الله بن مسعود ، فقد كان يَجِبُه قريشاً بما يكرهون ، ويعلم بين ظهرائهم لإسلامه ، وشعائر دينه ، وكان أول من جهر بالقرآن من المسلمين ، لا يخشى في ذلك بطش أحد من صناديد قريش على الرغم من أنه ليس له عشيرة تمنعه . هذا إلى مشاركته في الغزوات ، وحرصه على أن يبذل قصارى جهده في الجهاد ، وقد أخزى الله به أبا جهل حين وضع رجله على مدمره ، وأجهز عليه بعد أن أثبتته ابنا عفراء في غزوة بدر (١٦٢) .

وقد أبلى في الجهاد مع الرسول من الهذليين بعض من كان قد أسلم منهم غير المسعوديين ، ومنهم سلمة بن صخر الذي شهد حيناً مع جيش المسلمين ، (وسنراه أيضاً يشهد فتح المدائن مع سعد بن أبي وقاص) (١٦٣) .

وكثير من الهذليين كان يخرج للجهاد في جيش المسلمين على عهد عمر ، وها قد أشرنا إلى سلمة بن صخر الذي شهد فتح المدائن ، ولا شك أنه قد كان معه كثيرون غيره من هذيل كخراش بن أبي خراش الذي أمعن في الغزو ، فشكا أبوه إلى عمر أمير المؤمنين شوقه إليه ، وحاجته في شيخوخته إلى مساعدته بعد انقراض أهله وذويه ، فردّه إليه (١٦٤) .

هذا ، وقد كان كثير من الهذليين جنداً في فتح مصر إلى جانب أبناء

(١٦١) المرجع السابق ١٥٧/٤ . الاصابة ٢٧/٥ . صحيح مسلم ١١/٥ .

(١٦٢) ابن الاثير ، الكامل (ط) بيروت ٧٣/٢ .

(١٦٣) اسد الغابة ٢٥٣/٩ .

(١٦٤) الاعاني ٤٧/٢١ .

القبائل الأخرى بقيادة عمرو بن العاص .

وقد جعل عمرو بالفسطاط خططاً وأحباءً لمختلف القبائل المشاركة في الفتح ، والقبائل ذوات العدد القليل أشركها في خطة واحدة . وكانت لهذيل خطة منفردة بين غيرها من خطط القبائل ذوات العدد (١٦٥) .

وفي عهد عثمان رضي الله عنه كان أبو ذؤيب الهذلي وغيره بين الجبش الذي أعد لفتح إفريقية ، وكان في هذه الغزوة عبدالله بن الزبير ، فأرسله القائد (عبدالله بن سعد بن أبي السرح) إلى عثمان بشيراً بفتح قرطاجنة ، وكان في صحبته أبو ذؤيب فأدرسته منبته في مصر (١٦٦) أو في المغرب نفسه كما في بعض المصادر (١٦٧) .

اتصل أمر الفتح وانخرط كثير من المسلمين في الجند الفاتحين ، وكان بينهم من الهذليين كثيرون في عهد معاوية ومن بينهم أبو العيال الهذلي الذي حُصر في بلاد الروم زمناً وأرسل قصيدة شعرية إلى معاوية في شكل كتاب يعلن فيه حاله ، وحال من معه (١٦٨) .

ومن قوادهم الفاتحين سنان بن المحبّق الهذلي الذي يذكر الزبيدي أنه « ولد يوم الفتح ، فسماه الرسول (ﷺ) سانا ، وكان شجاعاً ، وقد ولي غزو الهند سنة خمسين هجرية » (١٦٩) ، ويسوق البلاذري أن زياد بن أبي سفيان ولّى « أيام معاوية سنان بن المحبّق الهذلي ، وكان فاضلاً مألهاً ... أتى الشمر ، ففتح مكران عنوة ، ومصرّها ، وأقام بها ، وضبط البلاد » (١٧٠) .

وإذا تسعنا وجود هؤلاء الهذليين المحاربين في البلاد المفتوحة وجدنا أثارة منهم حتى في عهود متأخرة . ومن أمثلة ذلك ما يذكره ابن خلدون من

(١٦٥) المقرئزي ، الخطط ، ٢٩٨/١ .

(١٦٦) اسد الغابة ١٨٩/٥ .

(١٦٧) الاصابة ١٨٤/٢ . الشعر والشعراء ص ١٥٤ .

(١٦٨) ديوان الهذليين ٢٥٢/٢ .

(١٦٩) تاج العروس (سن) .

(١٧٠) فتوح البلدان ص ٤٣٨ .

أنه كان منهم - في أيامه - قبيلة بسواحي باجة يعسكرون مع جند السلطان ،
ويؤدون المغرم (١٧١).

وهذيل المحاربة هذه التي اشتهرت بصلابة عودها منذ العصر الجاهلي ،
والتي أكسبتها عقيدة الإيمان قوة على قوة - نراها لا تقف مظاهر الجهاد
فيها عند خروج أبنائها مجاهدين في بلاد الفرس والروم والمغرب ومصر . بل
إن البقية الباقية منهم في البادية لا تنسى نصيبها من الجهاد في صورة من
صوره ، وعنوان ذلك أنه عندما صعد الجنابي . زعيم القرامطة إلى سطح
الكعبة ليقلع الميزاب « رماه بنو هذيل الأعراب من جبل أبي قبيس بالسهم
فأزالوهم عنه » (١٧٢) .

المشاركة في الجانب السياسي :

شارك عدد غير قليل من الهذليين في جوانب من سياسة الدولة ، وتولوا
بعض الأعمال فيها ، وذلك في حدود ما سمحت به ظروفهم في هذه
الجوانب ، ولكنها ذات شأن في مجموعها ؛ فهي قطعة من التاريخ لا يسوغ
إهمالها .

فمن هؤلاء حمل بن مالك ، وهو صحابيّ اسنعمله الرسول على صدقات
هذيل (١٧٣) .

وعبدالله بن مسعود ، وقد ولاه عمر بيت مال الكوفة (١٧٤) ، أو ولّاه -
كما يقول البلاذري ، قضاءها وبيت مالها .

وسنان بن المحبق الهذلي الذي « مصرّ مكران ، وأقام بها ، وضبط
البلاد » (١٧٥) .

(١٧١) تاريخ ابن خلدون ، ٣١٦/٢ .

(١٧٢) صلة تاريخ الطبري ص ١٧٣ .

(١٧٣) الاصابة ٣٨/٢ .

(١٧٤) انظر الديوري ، الأخبار الطوال ص ٢٩ . وفتوح البلدان ٢٦٩ .

(١٧٥) فتوح البلدان ص ٤٣٨ .

وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وقد ولّاه عمر على السوق حقبة من خلافته (١٧٦) ، ثم كان قاضياً لمصعب بن الزبير على الكوفة (١٧٧) .

وأبو المُلَيْح الهذلي ، وهو صحابي نزح إلى البصرة بعد الفتح ، وكان عاملاً على الأُبلّة (قرب البصرة) (١٧٨) .

وعمر بن عُميس بن مسعود ، وكان والياً على القططانة (قرب الكوفة) في خلافة علي ، فقتله هناك الضحّاك بن قيس الفهري عامل معاوية (١٧٩) .

والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الذي وُلّي القضاء بالكوفة عصر الرشيد ، ويقال إنه لم يأخذ للقضاء رزقاً مدة ولايته (١٨٠) .

وإذا تابعنا البحث إلى عصور متأخرة وجدنا من نسل هؤلاء الهذليين وأحفادهم رجالاً كانوا حكاماً إقليميين أو قضاة في بعض البلاد الإسلامية ومنهم على سبيل المثال في بلد كمصر:

الحسين بن رضوان بن هبة الله الهذلي الذي كان يلقب بمخر الدين القنائي ، ويصفه الأدقوي بأنه من الحكام النابهين . كان حاكماً بقنا في القرن السابع الهجري (١٨١) .

ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن صالح الهذلي القنائي ، وكان يلقب بالصدر . تولى الحكم في بلده قنا مدة ، وكان من أثرياء قنا المعروفين بالبذل والسخاء ، فترك الحكم ليفرغ لشؤونه الخاصة (١٨٢) .

(١٧٦) الاصابة ٤/١٠٠ .

(١٧٧) ابن سعد ، الطبقات ١٠/٨٢ . اسد الغابة ٢/٣١٦ .

(١٧٨) الطبقات ١١/١٥٩ .

(١٧٩) ابن حزم ، المحهرة ص ١٨٦ .

(١٨٠) شذرات الذهب ١/٢٨٦ .

(١٨١) الطالع السعيد ص ١١٦ .

(١٨٢) المرجع السابق ص ٢٦٤ .

ويونس بن عبد المجيد أبي علي بن داود الهذلي القاضي سراج الدين
الأرمني ، وكان محمود السيرة في القضاء (١٨٣) .

★ ★ ★

هذا ما يتصل بإسهامهم في الجانب السنائي عن طريق الولاية والحكم
والقضاء .

أما الرأي ، والمبل العاطفي ، والاتجاه السياسي فنجد لهم فيه شيئاً
تراءى في شكل ظاهرة أحسنها في هذيل مصر ، فإنهم أسهموا في بعض
الأحداث الكبرى في المجتمع الإسلامي ، وكان لهم دور ظهوروا فيه على
مسرح السياسة - مع غيرهم - معارضين لسياسة عثمان رضي الله عنه ،
وشاركوا في الفتنة التي كان من أهم نتائجها مقتل عثمان ، وما تلاه من
أحداث ، فكانوا من القبائل الضالعة في قتله مع عرب مصر الآخرين الذين
ذهبوا إلى المدينة ثائرين (١٨٤) .

ولعل دور هذيل في هذا كان واضحاً ، فإن نائلة بنت الفرافصة زوج
عثمان حين أرسلت إلى معاوية تشكو علياً ذكرت أن هذيلاً كانت بين
الثائرين (١٨٥) .

وقد يبدو الاتجاه السياسي عند الهذليين في شكل فردي يقوم به فرد
منهم ، ومن ذلك ما عرف به أبو صخر الهذلي من ميل شديد لبني أمية ، لا
سيما عبد الملك بن مروان وآله ، وبعض عماله مثل عبد العزيز بن عبد الله بن
خالد بن أسيد والي مكة حينذاك (١٨٦) . هذا في حين أن أبا صخر كان
يقلب ظهر المحس لعبد الله بن الزبير بصورة أدت إلى سجنه ، وقد حفظ له
عبد الملك صنيعه ، وأحسن مكافأته . وليس من ريب في أن أبا صخر يعد

(١٨٣) المرجع نفسه ص ٤٢١ .

(١٨٤) معجم ما استمع ٢٨٢/١ ، ٤٥٤/٢ .

(١٨٥) الاعالي ٦٨/١٥ .

(١٨٦) أبو صخر الهذلي (للمؤلف) ط ١٩٨٠ ص ٥ وما بعدها .

بهذا من شعراء الحزب الأموي (١٨٧).

المشاركة في العلوم الدينية واللسانية:

كان كثير من علماء المسلمين في الصدر الأول من أصل هنلي ، وكان في طليعتهم عبدالله بن مسعود ، وهو من علماء الصحابة الأفاضل في الفقه والحديث والتفسير وعلوم القرآن وقراءاته .

ومنهم حل بن مالك ، وأبو عزة ، وأسامة بن عمير ، وابنه أبو المليح ، وسلمة بن المحبّق ، وأخوه سنان وأبوهما المحبّق الهنلي ، وغيرهم . وهؤلاء جميعاً من رواة الحديث .

ومن التابعين ، ومن يلونهم علماء كثيرون .

منهم في علم الحديث وروايته:

محمد بن أبي المليح ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود المكي المحدث ، والقاسم بن معن بن عبد الرحمن ، وابنه عبد الرحمن بن القاسم . وعبدالله ابن عتبة ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن عتبة ، وأبو معمر ، وغيرهم .

ومن العلماء في القراءات:

أبو عبيدة بن معن بن عبد الرحمن الذي روى القراءة عن الأعمش ، ومحمد بن أبي عبيدة هذا ، وقد روى القراءة عن حزة ، وروح بن عبد المؤمن الذي قرأ على إمام البصرة يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، وفضل بن أحمد الهنلي الذي روى القراءة أيضاً عن يعقوب . وأبو القاسم الهنلي صاحب كتاب الكامل وهو من أشهر قرائهم .

ومن العلماء في الفقه:

القاسم بن معن بن عبد الرحمن ، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة أحد

(١٨٧) المرجع السابق ص ٧٢ ، ٧٣ .

فقهاء المدينة السبعة المشهورين ، وهو من أجلّ شيوخ الزهري ، وكان أثيراً لدى عمر بن عبد العزيز يقدر له فضله وعلمه (١٨٨).

ومن علماء اللغة والنحو:

القاسم بن معن بن عبد الرحمن الذي كان من علماء الكوفة في العربية (١٨٩)، وهو شيخ ابن الأعرابي من الكوفيين المعروفين (١٩٠).

واللحياني العالم اللغوي (علي بن المبارك). أخذ عن الكسائي ، وأبي زيد ، والأصمعي ، وأبي عبيده ، وأبي عمرو الشيباني ، وأخذ عنه القاسم بن سلام (١٩١).

ومحمد بن الحسن بن يونس المدود في نخاة الكوفة (١٩٢).

وروح بن محمد المؤمن أبو الحسن الهذلي النحوي (١٩٣).

وعلي بن عبد الجبار بن سلامة بن عيزون الهذلي التونسي ، الذي ولد بتونس سنة ثمان وعشرين وأربعمائة (١٩٤) ، وكان من الأئمة المرموقين في اللغة ، حتى قيل إنه لم يكن في أيامه أعلم بها منه (١٩٥). رحل إلى صقلية ، وأخذ عن ابن القطاع الصقلي ، ولقي بها ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب العمدة (١٩٦).

ومن علماء الأنساب والأخبار:

. القاسم بن معن ، وعبد الله بن عتبة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ،

(١٨٨) العقد المريد ٢٠٦/١ .

(١٨٩) السعة ص ٣٨١ .

(١٩٠) معجم الادباء ١٨/١٨٩ .

(١٩١) السفة ص ٣٤٦ .

(١٩٢) المرجع السابق ص ٣٦ .

(١٩٣) مآهل العرفان ص ٤٥٦ .

(١٩٤) معجم الأدباء ٨/١٤ وما بعدها .

(١٩٥) البصة ص ٢٤٠ القفطي ، انباه الرواة ٢/٢٩٢ .

(١٩٦) المرجع الاخير ٩٠/٣ .

وعون بن عبدالله بن عتبة .

ومن أهمهم قتادة بن دعامة بن سدوس الذي كان عالماً ثقة في أنساب العرب وأيامها ، ويقول عنه السيوطي في المزهري : « لم يأتنا عن أحد من علم العرب شيء أصح مما أتانا عن قتادة » (١٩٧) .

وكذلك أبو بكر الهذلي الذي كان من مشاهير العلماء ، بأيام العرب وأنسابها ، وكان يروي هذا العلم عن قتادة (١٩٨) . وكان في خدمة البلاط العباسي على عهد السفاح والمنصور (١٩٩) .

ومن علمائهم في التاريخ :

أهم هؤلاء « المسعوي » المؤرخ ، الرحالة ، البحاثة ، وهو من ولد عبيد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، وصاحب كتاب « مروج الذهب » المعروف بين كتب التاريخ .

★ ★ ★

هذا ، والناظر في حياة من ذكرنا من هؤلاء العلماء يرى أن كثيرين منهم يجمعون أكثر من موهبة علمية واحدة .

★ ★ ★

(١٩٧) المرهر ٢/٢١٠ .

(١٩٨) المرجع السابق (الصفحة نفسها) . انباه الرواة ٣/٣٥ .

(١٩٩) الاشبيهي ، المستطرف ١/١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٩٨ .

الفصل الرابع

- (١) أدب الهذليين
- (٢) حول اللهجة الهذلية

(١) أدب الهذليين

ليس المقصود بالحديث عن أدب الهذليين أن ندرس الجانب الفني في هذا الأدب ، لأن الإمعان فيه ليس مطلباً من مطالب هذا البحث في تاريخ هذيل ، وحياتها ، وأوجه النشاط المختلفة فيها ، فحسبنا أن نتحدث عن هذا الأدب في لمحات يتسنى عن طريقها التعريف به باعتباره جانباً حياً من جوانب الحياة لا يسوغ إهماله أو نسيانه مهما تكن طبيعة البحث ، وطابع الدراسة التي تتناوله ، فحسبنا إذن أن نكون وسطاً بين الإفراط والتفريط في هذا التناول :

أدب هذيل أكثره من الشعر الذي لفتت كثرته الأنظار فاتجهت إليه ، وأقله من النثر الذي دفعت قلته إلى عدم الانتباه إليه ؛ ولذلك لا يكاد يجد الباحث فيه ضالته بسبب قلته أو ندرته بالقياس إلى الشعر كما أشرنا . ومع هذا لا يصح أن نهمله إهمالاً كما فعل غيرنا من الباحثين والدارسين الذين وضعوه دبر آذانهم ، فلم يسيروا إليه ، فمن واجبنا إذن ، ومن حق هذه الدراسة علينا أن نشير إلى هذا النثر في شيء من الإيجاز .

النثر

لم يكن للهذليين في العصر الجاهلي نثر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، فقد كان النثر في هذا العصر ، حين نستثني بعض المسافرات والحكم والأمثال ، نجده مقصوراً على الخطابة التي كانت في كثير من الأمر وفقاً على أفراد من كهان العرب في شكل مسجوع ، وقلما وجدنا بين الهذليين من

عرفوا بها في العصر الجاهلي ، فالنثر عندهم لا تكاد تجده إلا في بعض ما أثر عنهم من جمل قصيرة ، وعبارات موجزة ، ومن ذلك تلبيتهم في الحج : « لبيك عن هذيل . قد أدلجوا بليل ... »^(١) واستمطارهم : « اللهم اجعلها عشية قَسَم من عندك ، فقد تلوحت الأرض ، فهي مثل مَجَرِّ الثوب تعوي وتنبح » . وهو مثل لغبرة الأرض ووحشتها . والقَسَم الغيث^(٢) .

من سجع الكهان :

ولعلمهم لم يؤثر عنهم كذلك في الإسلام نثر يؤبه له من حيث الكم . اللهم إلا بعض نقول ، ومرويات قليلة ، ومن أمثلة ذلك ما نسب الى بعض الهذليين في أول عهدهم بالإسلام من قول قاله تعقيباً على حكم الرسول في جنين أسقطه عدوان امرأة هذلية على امرأة أخرى : أنغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ، فمثل هذا دمه يُطلّ « فلم يستحسن النبي منه هذا التنطع في الكلام ، واعتبره - صلوات الله عليه - من سجع الكهان في الجاهلية »^(٣) .

أَصِيل :

وقد نسب إلى أصيل بن عبد الله الهذلي الصحابي وصف موجز لمكة ، ذكرّ الرسول بموطنه الأثير لديه ، وهاج في نفسه كامن الشوق إليه ، وذلك حين قدم من مكة - أو من موطنه قرب مكة - على الرسول ﷺ ، فقال له : « يا أصيل ، كيف عهدت مكة ؟ » قال : « عهديها والله قد أخصب جناها ، وابيضت بطحائها ، وأعذق إذخرها ، وأسلم ثمامها ، وأمشر سلمها » . فقال الرسول الكريم : « حسبك يا أصيل . لا تحزننا ! »^(٤) .

(١) تاريخ البعموي ص ٣٩٦ .

(٢) الزعشرى : أساس السلاعة ص ٣٦٦ . تاج العروس (قسم) .

(٣) أسد الغابة ١٥٧/٤ . الإصابة ٢٧/٥ . صحيح مسلم ١١٠/٥ .

(٤) أسد الغابة ١٠١/٤ .

فهذا الوصف الموجز لأم القرى كان له - كما نرى - تأثيره البالغ في نفس الرسول ؛ لأن النفس الكريمة تواقة دائماً إلى موطنها ، كثيرة النزوع إليه ، ذلك النزوع الذي يثير فيها أمثال هذه الذكريات .

ثم إن من ينظر في هذا النص القصير يجده مع ما يتسم به من البساطة والإيجاز - مشرق العبارة ، ناصع الأسلوب ، له من البلاغة ، والقدرة على التأثير حظ كبير .

قصر الجمل :

ومن هذا القبيل من العبارات الموجزة التي لها في النفس وقعها وتأثيرها ما يرويه أبو سعيد السكري من أنه أقبل رجل من هذيل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليشكو أباه في قسوته وقطيعة ، فبعث عمر رضي الله عنه إلى أبيه فدعاه ، فقال : ما يقول ابنك ؟ زعم أنك نفيت . فقال : « يا أمير المؤمنين ، غدوته صغيراً ، وعقني كبيراً . أنكحته الحرائر ، وكفيتها الجرائر ، فأخذ بلمتي ، وأظهر مشمتي »^(٥) .

فهذا الكلام الموجز كأشد ما يكون الإيجاز كان له أثره في نفس أمير المؤمنين ، فعزز ذلك الابن العاق^(٦) تعزيزاً شديداً .

أبو ذؤيب :

هذا ، وقد نقل عن أبي ذؤيب حديث طويل بشأن علمه - وهو في البادية - برض الرسول ﷺ ، هذا نصه^(٧) :

« بلغنا أن رسول الله ﷺ مريض ، فاستشعرت حزناً ، وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظللت أقاسي طولها حتى إذا كان قريب السحر أغفيت فهتف بي هاتف يقول :

(٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٨٩٣/٢ . السقية ص ٦٨ .

(٦) المرجعان السابقان .

(٧) أسد الغابة ٢٣٧/٥ .

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومقعد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا تذري الدموع عليه بالتسجام
قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي فزعاً، فنظرت إلى السماء فلما أُرِ إلا
سعداً الذابح^(٨)، فتفاءلت ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي ﷺ قد
قبض، أو هو ميت من علته، فركبت ناقتي وسرت، فلما أصبحت طلبت
شيئاً أزجر به، فعنّ لي شيهم^(٩)، وقد قبض على صيل^(١٠)، فهي تلتوي
عليه، والشيهم يعضها حتى أكلها، فزجرت ذلك، فقلت الشيهم: شيء
مهم، والتواء الصل: التواء الناس عن الحق، عن القائم بعد رسول الله
ﷺ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعده على الأمر، فحثت ناقتي
حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرني بوفاته، ونعب غراب سانح،
فنطق بمثل ذلك، فتعوذت بالله من شر ما عنّ لي في طريقي، وقدمت
المدينة، ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج إذا أهلوا بالإحرام، فقلت
مه؟ فقالوا: قبض رسول الله ﷺ، فجنّت المسجد، فوجدته خالياً، وأتيت
بيت رسول الله ﷺ فأصبت بابه مرتجاً، وقيل هو مسجى، وقد خلا به
أهله، فقلت أين الناس؟ فقالوا في سقيفة بني ساعدة صاروا إلى الأنصار،
فجنّت إلى السقيفة، فوجدت أبا بكر، وعمر، وأبا عبيدة بن الجراح،
وسالمًا، وجماعة من قریش، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة، وفيهم
شعراؤهم: كعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وملأ منهم. فأويت إلى
قریش. وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب، وأكثروا الصواب. وتكلم أبو
بكر فلم يدره من رجل لا يطيل الكلام، ويعلم مواضع فصل الخصام، والله
لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له، ومال إليه، ثم تكلم بعده عمر
بدون كلامه، ثم مد يده فبايعه وبايعوه، ورجع أبو بكر فرجعت معه،
فشهدت الصلاة على محمد ﷺ وشهدت دفنه.

(٨) سعد الذابح. أحد منازل القمر.

(٩) الشهم. المفض.

(١٠) الصل. الحبة.

فأبو ذؤيب يحدثنا في هذا الحديث الطويل عن رحلته العاجلة إلى المدينة ، ويصور شعوره نحو نبيه الذي أسلم ولم يره كما جاء في بعض الأخبار^(١١) ، ففد وصل إلى المدينة غداة وفاة النبي ، واتجه من فوره إلى المسجد وإلى بيت الرسول الكريم ، ثم حضر سقيفة بني ساعدة ، وشهد مساجلات المهاجرين والأنصار بشأن الخلافة حيث آل الأمر أخيراً إلى أبي بكر ، ثم شهد الصلاة على الرسول ﷺ ، وحضر دفنه .

ويتبين من مساق هذا الحديث أنه كان لأبي ذؤيب ما كان لكثيرين من العرب من معرفة بالعيافة وزجر الطير . كما يتضح من سياقه أيضاً أن هذا الشاعر شاعر مخضرم أسلم ، ولكن لم يتح له شرف الصحبة إذ كان من أولئك الذين أسلموا وهم في البادية يقيمون شعائر الدين التي عرفوها على يد بعض الدعاة الذين كان يبعث بهم الرسول الكريم ليعلموا أمثال هؤلاء من البدو شعائر الدين الحنيف .

★ ★ ★

ابن مسعود :

وقد تواردت على لسان ابن مسعود مرويات كثيرة من الآثار ، والأحاديث الموقوفة التي أثرت عنه في كثير من المواقف الدينية والخلقية ، والوصايا التي أثرت عنه ، وتتسم جميعها بالصدق الكامل ، والتأثير البالغ في النفوس ، كقوله لرجل طلب إليه أن يعظه : « ليسعك بيتك ، واكفف لسانك ، وابك على ذكر خطيئتك »^(١٢) . وقوله : « والله الذي لا إله إلا هو ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان »^(١٣) . وقوله : « من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبخ نفسه »^(١٤) . وقد بلغ من تأثير هذه

(١١) أسد العابة ٢٣٧/٥ .

(١٢) أبو نعيم : حلية الأولياء ١٢٥/١ .

(١٣) المرجع السابق ١٣٤/١ .

(١٤) أبو طالب المكي : قوت القلوب ١٠/٢ .

الكلمة - وأمثالها - أن قال زبيد اليامي : « اسكتتني كلمة ابن مسعود هذه عشرين سنة » .

ومن قوله في حامل كتاب الله الكريم : « ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس يفطرون ، وبجزئه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون . . . وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً ، حكيماً حليماً ، عليماً سكيناً » (١٥) .

ومن هذا المجال ما يرويه الرواة أيضاً لابن مسعود في بعض المناسبات من كلمات موجزة أوفت على الغاية في الدقة والتسديد ، واتسمت بالصدق الكامل في التعبير عما سيقت له كقوله في عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إذا ذكر الصالحون فحيهلاً بعمر » (١٦) وقوله : « كان إسلام عمر فتحاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة » .

فكلمة ابن مسعود هذه هي على إيجازها - كما يقول الدكتور طه حسين - أدق وصف يختصر حياة عمر منذ أسلم إلى أن توفي (١٧) .

هذا ، وقد رويت لابن مسعود خطب دينية نسوق منها هذه الخطبة التي أوردها الباقلاني في كتابه « إعجاز القرآن » (١٨) كما وردت في « البيان والتبيين » مع تغيير طفيف : وعند ابن عبد ربه في كتابه « العقد الفريد » : « أصدق الحديث كتاب الله ، وأصدق العرى كلمة التقوى ، خير الملل ملة إبراهيم ، وأحسن السنن سنة النبي ﷺ . خير الأمور أوسطها ، وشر الأمور محدثاتها . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . خير الفنى غنى النفس ، وخير ما ألقى في القلب اليقين . الخمر جِماع الإثم . النساء حباله

(١٥) حلة الأولاء ١٢٥/١ .

(١٦) الصان على الأشموني ١٣١/٣ .

(١٧) الشبهان ص ١١٩ .

(١٨) إعمار القرآن (على هامش الإتيان) ١٩٤/١ العقد الفريد ١٩٠/٢ ، ١٩١ ، وانظر

السان والتبيين ٤٢/٢ .

الشیطان . الشبَاب شعبة من الجنون ، حب الكفاية مفتاح العجزة من الناس ، من لا یأتی الجماعة إلا دَبْرًا ، ولا يذكر الله إلا هُجْرًا ، أعظم الخطايا اللسان الكذوب . سباب المؤمن فسق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية . من يتأل على الله يكذّبه . من یَغفر یُغفر له . مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عُنْفِي عنه . الشقيّ من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره ، الأمور بعواقبها . مِلّاك العمل خواتيمه . أشرف الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه ، ومن لا يعرف البلاء ينكره . » .

فهذه الخطبة - كما رأينا - من الخطابة الدينية ، وهي تتفق والسمت الديني الذي عرف به ذلكم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود . وقد تناولت الكثير من المعاني ، والاتجاهات الدينية ، والاجتماعية ، والخلقية ، ففيها دعوة إلى التمسك بكتاب الله ، وهدى رسول الله ، وأخذ النفس بالزهد واليقين ، والتخلق بالأخلاق الفاضلة من حلم ، وصدق ، وعفو ، وعلو همة ، وبعد عن معاقرة الخمر ، وتجنّب الوقوع في حبال الشيطان الذي يتخذ من بعض النساء فخاً لاصطياد الرجال ، وفيها حث على الصبر ، وحض على الجهاد ..

وهذا كله أشبه شيء بابن مسعود أو ابن أم عبد - كما كان يسميه الرسول الكريم - فقد أبلى في الإسلام ، وفي صحبة رسول الله ﷺ أحسن البلاء .

ومما تجدر بنا ملاحظته أن أسلوب الخطبة كلها هو أسلوب خبري لفظاً إنشائي معنى ، فكل ما حوته من أمر ونهي جاء في ثوب الخبر الذي قد يكون له من الوقع والتأثير ما يفوق الأمر المباشر ، والنهي الصريح .

والخطبة - إلى هذا - يقوم هيكلها وبنائها على جل متتابعة متساوقة تتضمن العديد من الحكم والآثار ، وفيها كثير مما سماه البلاغيون بعدد بالمطابقة ، وما وسموه بالازدواج .

ولعل من نافلة القول أن نشير - ونحن بصدد الصدر الأول للإسلام - إلى

سلامة هذا الكلام من التكلف ، والزخرف ، وهذا يكسبه من الرصانة والتأثير الشيء الكثير .

★ ★ ★

أبو صخر :

هذا وقد روي لأبي صخر الهذلي - الشاعر الإسلامي الذي أظله العصر الأموي - هجاء نثري ، فقد كان هذا الشاعر من شعراء الدولة ، وكان عظيم الولاء للملوك بني مروان ، شديد التعصب لهم ، وله في عبد الملك بن مروان ، وأخيه عبد العزيز مدائح كثيرة تضمنتها كتب الأدب ، كما ورد في شرح أشعار الهذليين كثير من شعره الذي يمدح فيه بعض أمراء الدولة الأموية ورجالها^(١٩) ، فهو شاعر خلصت لهذه الدولة نفسه ، وعظم إخلاصه لها ، وتفانيه في خدمتها .

ولما ظهر عبد الله بن الزبير في الحجاز ، وغلب عليه بعد موت يزيد بن معاوية ، وتشاغل بنو أمية في الحرب بينهم في مرج راهط وغيره - دخل أبو صخر هذا في عدد من بني قومه ، ليقبضوا عطاءهم ، وكان ابن الزبير عارفاً بأن هواه مع بني أمية ؛ فمنعه عطاءه فقال :

« أتمنعي حقاً لي ، وأنا امرؤ مسلم ، ما أحدثت في الإسلام حدثاً ، ولا أخرجت من طاعة يداً ؟ » فقال ابن الزبير :

« عليك ببني أمية فاطلب منهم عطاءك » . فقال : « إذن أجدهم سبطة أكفهم ، سمحة نفوسهم ، بذلاً لأموالهم ، وهابين لمجتديهم ، كريمة أعراقهم ، شريفة أصولهم ، زاكية فروعهم ، قريباً من رسول الله ﷺ نسبهم وسببهم ، لهم السؤدد في الجاهلية ، والملك في الإسلام ، لا كمن لا يُعَدُّ في غيرها ولا نفيها ، ولا حكم آباؤه في نقيها وقطميرها ، ليس من أحلافها المطيبين ، ولا من ساداتها المطعمين ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المسودين ،

(١٩) شرح أشعار الهذليين تحقيق (فراح وشاكر) ، ٩٥٤/٢ وما بعدها البعثة ص ٦٨ .

وكيف تقاس الأروس بالأذنان ، وأين النصل من الجفن ؟ وأين اللسان من الزُّج ؟ والذنان من القدامى ؟ وكيف يفضل الشحيح على الجواد ؟ والسوقة على الملوك ؟ والجائع بخلاً على المطعم فضلاً ؟ « (٢٠) .

فهذا الهجاء النثري هو أشبه ما يكون بخطبة موجزة ، بليغة كأعظم ما تكون البلاغة ، قوية كأشد ما تكون القوة .

ولعل سر هذه القوة يرجع في كثير من الأمر إلى اعتمادها على حقائق التاريخ ، وواقع الحياة ، وإلى الصراحة التي لا تحذر منها موارد ولا مداجاة ، فصاحبها جريء القلب ، ثابت الجأش ، ذرب اللسان . يعقد الموازنات السريعة الخاطفة بين ما نُسب إلى عبد الله من بخل ، وما اشتهرت به أمية من عطاء . ثم بين أمجاد سادات قريش ورجالاتها من هاشم وعبد شمس وغيرهما ، وحال ابن الزبير الذي ليس من أولئك ولا هؤلاء ، بل يؤول أعظم مجده ومجد ذويه من الزبيريين إلى النساء ، فهو يشير إلى أن حسب هؤلاء كان في أمهاتهم أكثر منه في آبائهم ؛ فالزبير كانت أمة عمه الرسول الكريم ، وابنة عبد الله الذي يجبهه أبو صخر بهذا الهجاء هو ابن أسماء ذات النطاقين .

أما فيما وراء ذلك ، فليس لابن الزبير كبير نسب في قريش ، وليس من حقه - في رأي أبي صخر - أن يجاري أو يباري ساداتها في الجاهلية والإسلام .

ثم إن هناك من السمات الأخرى التي تقرب هذا الهجاء من الخطابة القوية : قصر الجمل ، وشدة وقعها وتأثيرها ؛ ولكن هذا التأثير ليس تأثير إقناع ، بل هو تأثير إقذاع ؛ فعباراتها متتابعة متلاحقة على أشد ما يكون في التلاحق من عنف ، فكأنها وقع المطارق ، أو لهيب السياط .

ولهذا كله كان أثرها على ابن الزبير شديداً ؛ فحبس أبا صخر عاماً كاملاً حتى استوهبته هذيل ، وبعض قريش .

(٢٠) الخزائن (المطبعة السليمة بمصر) ٢٣٧/٣ وما بعدها .

ولما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة ، وخرج إلى الحج لقيه أبو صخر ،
فقرّبه وأدناه ، وقال له :

« إنه لم يخف عليّ خيرك مع هذا الملحد ، ولا ضاع لديّ هواك ، ولا
موالاتك » .

فقال أبو صخر :

« إنني إذ شفى الله منه نفسي ، ورأيت قتيلا سيفك ، وصرير أوليائك ،
مضلوباً ، مهتوك الستر مفرق الجماعة ، فما أبالي ما فاتني من الدنيا » .
ثم استأذنه في أن يدحه ، فأجزل عبد الملك عطاءه .

وهكذا نرى أن أبا صخر لم يكن أدبه النثري بأقل منزلة من شعره .
وإن كان من حيث الكم مقلّاً في النثر أكثراً في الشعر الذي نجد الكثير منه
- كما أشرنا - في مدح الأمويين ، ولا يخلو من هجاء الزبيريين .

هذه لمحة موجزة عن النثر عند الهذليين تليها لمحة أخرى عن شعرهم
وبشعرائهم .

★ ★ ★

الشعر

كثرة شعر الهذليين وشعرائهم :

كان حظ الهذليين - فيما يبدو - من الشعر والشعراء أكثر من حظ غيرهم
من العرب ، فلم يتح لقبيلة عربية ما أتيج لهم من ذلك .

وهذا العدد الكبير من شعراء الهذليين - وما كان لهم من شعر كثير -
لفت أنظار القدامى من الشعراء أنفسهم ، أو من النقاد واللغويين والرواة
وغيرهم ، فقد جعلهم حسان بن ثابت أشعر أحياء العرب (٢١) ، وقال يونس

(٢١) - العمدة ٥٥/١ . معجم الأدباء ٨٦/١١ . المزهر ٣٠٠/٢ . أسد الغابة ١٨٩/٥ وما بعدها

ابن حبيب: «ليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو» (٢٢). ويقول الأصمعي: «إذا فاتك الهذلي أن يكون شاعراً أو ساعياً، أو رامياً، فلا خير فيه» (٢٣). ويصف اليعقوبي هذيلاً بأنهم أصحاب فصاحة وشعر (٢٤).

وقد بلغ من تصوير القدامى للهذليين بأنهم قبيلة شاعرة ما ذكروا من أنه ربما كان للواحد منهم عشرة أبناء كلهم من الشعراء مثل بني مرة، وهم أبو خراش الشاعر المخضرم المعروف وإخوته (٢٥).

ويريد أبو سعيد السكري - وهو من أهم رواة أشعار الهذليين وشراحها - أن يصور كثرة شعر هذيل فيقول: «هذيل فيهم نيف وثلاثون شاعراً، أو نحو ذلك، وبنو سنان مثلهم مرتين وليس فيهم شاعر واحد» (٢٦)، فهو يبني من وراء هذه الموازنة أن يظهر ما لهذيل من تبرز في هذا المضمار.

وقد عد ابن حزم مشاهير شعراء هذيل نيفاً وسبعين شاعراً (٢٧). وأكثر من هذا ما يقوله بعض الأدباء والرواة من أنه «كان للهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مُفلق» (٢٨).

ومع أن في هذا القول إسرافاً في وصف شعراء هذيل جميعهم بالتفوق والإجادة، فإنه - في أغلب الظن - أقرب إلى الواقع في التعبير عن كثرة شعر الهذليين، وشعرائهم، فلقد نجد من هؤلاء الشعراء أصحاب الشواهد في لسان العرب وحده ما يناهز هذا العدد. حقاً إنه قد يذكر بعض الشعراء مرة باسمه، ومرة أخرى بكنيته أو لقبه، وقد يكون هنالك أيضاً خطأ أو تزيد في نسبة بعض الشعراء إلى هذيل، ولكننا - مع ذلك - نجد كثرة من

- ابن سلام: طبقات الشعراء ص ١١٠.

(٢٢) البيان والنبين ٣٠٠/١.

(٢٣) الأغاني (س) ٣٨/٢١.

(٢٤) تاريخ اليعقوبي ص ٣١٣.

(٢٥) ديوان الهذليين: القسم الثاني ص ١٧٢.

(٢٦) المرجع السابق. القسم الثاني ص ٣٨.

(٢٧) جهرة أساب العرب ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢٨) معجم الأدباء ١٤١/١٦. حاشية الأمير علي المغني ٤٦/٢.

الشعراء تلفت النظر بحق؛ ولهذا فصاحب اللسان على حق حين يصف هذيلًا بأنها قبيلة أعرقت في الشعر. وما يقوله ابن منظور وغيره لا يكاد يخالفه أحد من القدامى أو المحدثين الذين من شأنهم عادة تمحيص ما يقوله القدماء، وعدم التسليم به إلا بعد روية وطول نظر. وأننى لهم، أن يُماروا في ذلك، وشعر الهذليين مائل أمامهم يدفع كل خلاف أو مرأى.

أهمية هذا الشعر واعتداد العلماء به واعتمادهم عليه:

ترجع أهمية الشعر الهذلي إلى أنه مجموعة كبيرة انتهت إلينا من شعر قبيلة بأسرها، وإلى أن هذه المجموعة هي المجموعة الوحيدة التي انحدرت إلينا من دواوين القبائل، ففيها إذن فرصة سانحة تمكن الباحثين من دراسة حياة هذه القبيلة دراسة أدبية، اجتماعية، تاريخية، لغوية قد لا تيسر لهم إزاء قبيلة أخرى لم يصلنا من تراثها الأدبي ما وصلنا من تراث هذيل.

ولقد كان لشعر هذيل أهمية كبيرة عند اللغويين والنحاة والمفسرين وغيرهم من علماء الدراسات اللغوية والإسلامية، فليست أهمية هذا الشعر مقصورة على أنها مصدر أصيل لدراسة اللهجة الهذلية، أو لدراسة هذه القبيلة من الجوانب التي سبقت الإشارة إليها، وإنما نجد هذا الشعر - منذ تدوين اللغة - موثلاً يرجع إليه حفاظها ورواتها، ويستشهد به اللغويون، وأصحاب المعاجم على صحة مفرداتها وألفاظها، ويعتمد عليه علماء التفسير في إيضاح ما التبس من آيات الكتاب الكريم.

ونصيبه في ذلك كله هو النصيب الأوفى، وحظه هو الحظ الأوفر. ومن يتصفح كتب النحو والصرف، ومعاجم اللغة، وكتب التفسير، وغريب القرآن وغيرها يجد مصداق هذا واضحاً لا يحتاج إلى بيان.

ومن مظاهر الاهتمام بالشعر الهذلي ما روي من أن الشافعي لزم بادية هذيل - في أول عهده بالشباب - ردحاً من الزمن يتعلم كلامها، ويحفظ أشعارها، فلما رجع إلى مكة جعل ينشد الأشعار، ويذكر الآداب

والأخبار^(٢٩) ، وكان لذلك أثره في فصاحته ولغته^(٣٠) . وقد روي أن الأصمعي - على ما كان له من منزلة في اللغة والرواية ودراسة الشعر - قرأ على الشافعي أشعار الهذليين^(٣١) ، ويبدو أن الشافعي كان لا يزال في شبابه المبكر حينذاك ولم تكن له بعد شهرته العلمية والفقهية المعروفة ، فإننا نجد الأصمعي يقول - فيما يرويهِ ياقوت في معجمه - « صححت أشعار هذيل على فتي من قریش » يقال له محمد بن إدريس الشافعي «^(٣٢)» ، ويروي ياقوت أيضاً عن عبدالرحمن بن أخي الأصمعي قوله : « قلت لعمي : يا عماء ، على من قرأت شعر هذيل ؟ فقال : قرأته على رجل من آل المطلب يقال له محمد ابن إدريس »^(٣٣) .

وإذا عرفنا دور الأصمعي في جمع الشعر الهذلي ، وحفظه ، وروايته ، وشرحه أدركنا فضل الشافعي ، وعرفنا أنه حلقة هامة في هذه السلسلة التي وصلتنا بشعر هذيل في منبعه الأصل في البادية ، وإذا كان هذا هو صنيع الأصمعي وغيره ، فإن أبا سعيد السكري (٢١٢ - ٢٩٠ هـ)^(٣٤) قد أخذ هذه الأشعار ، وصنفها ، وزاد عليها ، وشرحها .

ويقول بروكلمان إنه كانت توجد قبل السكري نسخة من ديوان هذيل مكتوبة سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م ، وكانت لا تزال باقية لدى البغدادي صاحب الخزانة ، ولكن السكري نقح الديوان من جديد بعد سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م^(٣٥) ، ورواه تلميذه وقريبه أحد بن محمد الحلواني الذي روى كتبه ، وأخذ عنه ، ثم رواه عن هذا الأخير أبو الحسن علي بن عيسى

(٢٩) معجم الأدباء ١٧ / ٢٨٤ .

(٣٠) المرجع السابق ١٧ / ٢٩٩ .

(٣١) اس خلكان : ومات الأعيان ٣ / ٣٠٥ .

(٣٢) معجم الأدباء ١٧ / ٢٩٩ .

(٣٣) المرجع السابق ١٧ / ٣١١ .

(٣٤) البقعة ص ٢١٩ .

(٣٥) بروكلمان تاريخ الأدب العربي ١ / ٨٢ .

النحوي المعروف بالرماني سنة ٣٨٤ هـ ، والحق أن هناك خطأ في التاريخ جعل بروكلمان يخطئ فيما قرره من أن النسخة التي كانت عند صاحب الخزانة كانت سابقة على السكري ونسخته ، فقد نسب صاحب الخزانة هذه النسخة لأبي بكر القاري ، وهو الحلواني (أحمد بن عاصم القاري) راوي شرح أشعار الهذليين عن السكري ، وأغلب الظن أن هذه نسخة من شرح السكري نسبت إلى القاري ، تجوزاً ، لأنه راويها^(٣٦) ، إلى جانب أنه قد نسخها بخطه فيما يبدو^(٣٧) .

ولم يكن ديوان هذيل هو المجموعة الوحيدة التي جُمعت من بين دواوين القبائل العربية ، فإنه يروى أن أبا عمرو الشيباني جمع أشعار القبائل^(٣٨) ، وأنه جمع من ذلك أكثر من ثمانين ديواناً^(٣٩) ، ولكنها أهملت نظراً لاتجاه العناية بعد هذا إلى جمع المختار من شعر القبائل ، ودواوين الفحول فيها ، فأدى ذلك إلى إهمال دواوين القبائل ونسيانها ، ولم يبق من هذه الدواوين ، أو تلك المجموعات إلا مجموعة شعر هذيل ، فقد حاطها رواة الشعر بالعناية ، وخصها أساطين اللغة والأدب بالرعاية .

ولنا لنجد من مظاهر هذه العناية ما ألف من كتب في شرح أشعارهم كشرح السكري ، وشرح ابن جني^(٤٠) ، وسنعود إليهما في شيء من التفصيل عند الحديث عن مجموعات ديوان هذيل ، ومن هذه الكتب أيضاً شرح المرزوقي المتوفى سنة ٤٣١ هـ^(٤١) . وهذا غير ما جاء في كتب اللغة من شرح اللغويين لشعر هذيل .

ومن كتبوا في شرح أشعار الهذليين أحمد بن علي المأموني النحوي

(٣٦) انظر مقدمة شرح أشعار الهذليين (تحقيق عبد الستار فراج) ص ١٤ .

(٣٧) الخزانة (بولاقي) ١٥١/٣٠ .

(٣٨) معجم الأدباء ٧٧/٦ .

(٣٩) حولد تسهر : دواوين القبائل (ترجمة حسين نصار) .

(٤٠) الإصانة ٣٥/٥ - ١٠٣/٧ .

(٤١) معجم الأدباء ١٧٥/٤ .

اللغوي ، وله كتاب (أشعار الهذليين) في ثلاثة مجلدات كما يقول ياقوت^(٤٢) ، وقد كانت هذه الأشعار موضع دراسة وتعليق كثير من العلماء والأدباء كابن فارس ، وابن العميد^(٤٣) ، وأبي علي القالي ، وأبي عبيد البكري^(٤٤) .

كما كان يهتم بحفظ هذه الأشعار كثير من الرواة واللغويين والنحاة حتى بعض المتأخرين منهم ، ومن هؤلاء الخضر بن ثروان النحوي البغدادي^(٤٥) وغيره .

وقد كان هذا الشعر محور دراسات أخرى غير الدراسات النحوية واللغوية والأدبية ، فكثير ممن كتبوا في البلدان والأماكن العربية ، ومن كتبوا في الأخبار ، ولا سيما من كتب في أخبار الهذليين وجدوا في هذا الشعر معيناً لا ينضب .

وما هؤلاء القدامى من جهد مشكور يتمثل في هذه المخطوطات الكثيرة لديوان هذيل وشروحه ، وهي منبثة في مكتبات العالم الآن . وسنشير إلى هذه المخطوطات بين مجموعات الشعر الهذلي .

مجموعات هذا الشعر :

أشرنا في هذا الفصل إلى ما كان للشعر الهذلي من حظوة كبيرة لدى علماء العربية وأدبائها ، وأنهم كانوا يعتدون به ، ويعتمدون عليه ، ويتدارسونه بينهم ، ويتولونه بالشرح والتعليق .

كما ذكرنا أن دواوين هذا الشعر تمثل مجموعة ضخمة انتهت إلينا من شعر هذه القبيلة ، كما كانت المجموعة الفريدة التي انحدرت إلينا من دواوين القبائل العربية ؛ ولهذا ينبغي لنا أن نتناول مجموعات هذا الشعر بالعرض السريع مخطوطة كانت أو مطبوعة ، فالتعريف بهذا الشعر ومادته

(٤٢) الخزانة (المطبعة السليمة) ٢٥١/١ .

(٤٣) القالي (الأمال) ٢٦٧/١ .

(٤٤) معجم ما استمع ٤٤٣/١ .

(٤٥) معجم الأدباء ٥٩/١١ . البقية ص ٢٤١ .

الأصيلة من الأهمية مكان .
والخطوط الآتية هي أهم المصادر المخطوطة للشعر الهذلي :

(١) مخطوط الشنقيطي :

وهذه النسخة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦ أدب ش) ،
وهي قسم من مجموعة تشتمل على دواوين لشعراء آخرين غير شعراء هذيل ،
وهذه المجموعة مصدرة بديوان حسان بن ثابت ، وينلونها كتاب ديوان
الهذليين ، (وعدد صفحاته ٦٤ صفحة من القطع المتوسط) ، ثم ديوان لبيد ،
وديوان الشماخ ، وبعض الشعراء الآخرين ، وتضم هذه المجموعة شعراً لواحد
وثلاثين من شعراء هذيل ، وبهامشها تعليقات كثيرة على الشعر الهذلي (٤٦) .

والنسخة كلها بما عليها من تعليقات هي بخط الشنقيطي نفسه ، وهي
منقولة عن نسخة أخرى موجودة بالمدينة المنورة ، ولهذا يقول بروكلمان
« إنها مكتوبة في المدينة سنة ١٢٨٤ هـ عن أصل مكتوب سنة ٨٨٢ هـ .

(٢) مخطوط ليدن :

وقد كتبه محمد بن علي العتّاي عام ٥٢٩ أو ٥٣٩ هـ ، وهي نسخة منقولة
عن عدة نسخ قوبل بعضها ببعض ، فهي تعد مرجعاً هاماً صحيحاً لبعض ما
طبع من شعر هذيل ، وتحتوي شعراً لعدد كبير من شعراء الهذليين إلى جانب
ما ذكر فيها من أخبار القبيلة وأيامها . وبها ثلاث وسبعون ومائة قصيدة
بين طويلة ومتوسطة ، وقصيرة ، وللسكري فيها مقدمات لكثير من القصائد
وعليها تنبيهات لعوية ونحوية له .

وهذه النسخة هي الجزء الثاني من أشعار هذيل أما الجزء الأول فهو
مفقود (٤٧) .

وهناك نسخة أخرى مخطوطة مضبوطة في ليدن كتبها محمد بن

(٤٦) تاريخ الأدب العربي ٨٣/١

(٤٧) مقدمة (شرح أشعار الهذليين) بالإنجليزية طبع سنة ١٨٥٤ م .

إبراهيم بن زبرج المتوفى سنة ٥٥٦ هـ ، وهي التي اعتمد عليها يوسف هل
في إخراج مجموعته^(٤٨) .

(٣) مخطوط باريس :

وهو تكملة لنسخة ليدن ، ويكاد خطه يشبه خطها ، ويبدأ بشعر
العجلان بن خُليد الهذلي ، وقد قوبلت نسخته وصححت ، فتعد هي الأخرى
مرجعاً هاماً مكملاً لسابقتها .

(٤) شرح ديوان هذيل لابن جني :

وهو كتاب « التمام » في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد
السكري .

وهذا الكتاب هو الذي أشار إليه المؤلف أحياناً بقوله : « كتابنا في شعر
هذيل »^(٤٩) ، وأحياناً أخرى بقوله : « كتابي في ديوان هذيل »^(٥٠) ، وقد
جاء ذكره بعنوان « التمام » ، في الخزانة^(٥١) ، وفي الخصائص أيضاً^(٥٢) كما
ذكره ابن جني في الإجازة التي رواها ياقوت^(٥٣) .

وهذا الكتاب عده بروكلمان - خطأ - من كتب ابن جني المفقودة ، وقد
اعتمد على هذا ناشر كتاب الخصائص ، فذكر عند الحديث عن كتب ابن
جني أنه لا يعلم لهذا الكتاب وجوداً في مكتبات العالم^(٥٤) ، وبعد هذا عثر
عليه الدكتور محمد أسعد طلس في مكتبة الأوقاف ببغداد ، وهو نسخة بخط
أسعد بن المعالي بن إبراهيم بن عبد الله الكاتب ، وقد أتم نسخها في شهر

(٤٨) مقدمة كتاب التمام ص ٤

(٤٩) الخصائص ١/١٢٤ .

(٥٠) المرجع السابق ١/١٥١ .

(٥١) الخزانة (بولاقي) ٣/١٥٣ .

(٥٢) الخصائص ١/١٥٣ .

(٥٣) معجم الأدباء ١٢/١٠٩ .

(٥٤) مقدمة كتاب الخصائص ١/٦١ .

سنة ثمان وخمسة للهجرة ، وقد صور المجمع العلمي ببغداد هذه النسخة ، وحفظها في مكتبته (٥٥) ..

(٥) ديوان أبي ذؤيب وشرحه :

وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٩ أدب ش) ، وقد كتب هذا المخطوط في أول ذي الحجة سنة ١٣٠٥ هـ ، وعدد أوراقه ١٤٤ ورقة من القطع المتوسط .

:وهذه النسخة مصدرة بما يفيد ملكيتها ووقفها بخط الشنقيطي ، ولكنها مكتوبة بخط مغاير لخط الشنقيطي ، وهو خط النسخ المعتاد ، وفي أثنائها بياض عن الأصل المنقولة عنه ، وعلى هامشها تعليقات طفيفة .

وهناك نسخة أخرى محفوظة بدار الكتب أيضاً برقم (٢٦٤ شعر تيمور) فهي إحدى نسخ الخزانة التيمورية بهذه الدار . وهي منقولة عن نسخة الشنقيطي السابقة ، ومصدرة بخط مغربي يبدو أنه خط الشنقيطي نفسه ، ومكتوبة من الداخل بخط قريب من خط النسخ ، وعدد صفحاتها ٣١٠ ، وتاريخ نسخها سنة ١٣١٤ هـ .

هذا أهم ما عرف من مخطوطات الشعر الهذلي إلى الآن . ويذكر بروكلمان أن هناك نسخاً أخرى حديثة بعضها في الفاتيكان (٥٦) .

وقد كانت هنالك مخطوطات لديوان هذيل لا وجود لها الآن - فيما نعلم - ومن بين هذه المخطوطات النسخة القديمة التي سبقت الإشارة إليها عند صاحب الخزانة (٥٧) ، ويروي صاحب الخزانة أيضاً أنه رأى نسخة من شرح أشعار هذيل للسكري ، وهي النسخة التي قرأها ابن فارس على ابن العميد ، وعليها خطهما ، كما رأى أيضاً مخطوط « شرح أشعار الهذليين »

(٥٥) مقدمة كتاب التام ص ٤ .

(٥٦) تاريخ الأدب العربي ٨٣/١ .

(٥٧) الخزانة (نولاق) ٣٩٧/٢ . تاريخ الأدب العربي ٨٢/١

للإمام المرزوقي (٥٨).

★ ★ ★

المطبوعات :

واعتماداً على هذه المخطوطات أخرج لنا الباحثون المحدثون من ديوان هذيل عدة مطبوعات جديدة بالتقدير نعرضها في إيجاز لما لذلك من أهمية في الإمام بمادة الشعر الهذلي ومصادره .

المجموعة الأولى :

شرح ديوان الهذليين ، وقد نشره المستشرق الإنجليزي Godfrey Kosgarten سنة ١٨٥٤ م ، ومهد له بمقدمة قصيرة بالإنجليزية .

وهذه المطبوعة تمثل القسم الأول من مخطوط ليدن الذي أراد جودفري إخراجها للناس في أقسام ثلاثة ، فأخرج القسم الأول وحده .

المجموعة الثانية :

هي (شرح أشعار الهذليين ما بقي منها في النسخة اللغدونية «أي الليدنية» غير مطبوع) أي ما تركه جودفري من نسخة ليدن دون طبع بعد أن أخرج كتابه السابق ؛ ولهذا تسمى بقية أشعار الهذليين ، أو «البقية» اختصاراً للتسمية ، ويسمى بروكلمان «القسم الأخير من شرح أشعار الهذليين» (٥٩) . وهذه التسمية هي الترجمة العربية لعنوان هذه النسخة بالألمانية Lietzter Teil Der Lieder Der Hudhaibiten .

وقد تم طبعها في برلين على يد المستشرق الألماني فلهاوزن سنة ١٨٨٤ كما يقرر بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» (٦٠) .

(٥٨) الخزانة (السلفية) ٢٥١/١ .

(٥٩) تاريخ الأدب العربي ٨٣/١ .

(٦٠) المرجع السابق ٨٤/١ .

ويوجد من هذه المجموعة نسختان محفوظتان بدار الكتب المصرية :
إحدهما برقم (١٧٨١ أدب) ، والأخرى برقم (١٣٩ أدب) .

المجموعة الثالثة :

- مجموعة دواوين من أشعار الهذليين ، وهي جزءان :
- (١) الجزء الأول منها « ديوان أبي ذؤيب » . نشره المستشرق الألماني يوسف هل ، وطبعه في هانوفر سنة ١٩٢٦ م .
- (٢) الجزء الثاني هو دواوين ساعدة بن جؤية ، وأبي خراش ، والمتنخل ، وأسامة بن الحارث مع شرح لشعرهم ، وقد نشره يوسف هل أيضاً ، وطبع بمدينة ليبزج سنة ١٩٣٣ م .

وقد طبعت هذه المجموعة بجزأيا - عن نسخة خطية قديمة مضبوطة - في ليدن ، كتبها ابن زبرج المتوفى سنة ٥٥٦ هـ ، وقد سبقت الإشارة إليها ، وهي غير النسخة التي اعتمد عليها كل من جودفري وفلهاوزن في إخراج مجموعته .

المجموعة الرابعة :

ديوان الهذليين (طبع دار الكتب) ، وقد أخذت هذه النسخة عن النسخة الشنقبطية مع الاستعانة بشرح ديوان أبي ذؤيب ، وبعض المراجع الأخرى .

وقد أخرج هذا الديوان في أقسام ثلاثة ، ويشتمل على شعر لثلاثة وثلاثين شاعراً من شعراء هذيل . ويحتوي كذلك بعض أشعار لغير الهذليين ممن كانت لهم صلة بشعراء هذيل . وقد ظهرت هذه المجموعة من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٥٠ .

المجموعة الخامسة :

« التمام » في تفسير أشعار هذيل - مما أغفله أبو سعيد السكري - لأبي

الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ .

وقد أخرج هذا الكتاب بعض الباحثين العراقيين في بغداد سنة ١٩٦١ م .

واعتمدوا في إخراجهم على النسخة الوحيدة الموجودة بمكتبة الأوقاف ببغداد ، والتي اكتشفت أخيراً على النحو الذي أشرنا إليه (٦١) .
ولكن يبدو أن هذا الكتاب (والخطوط الذي اعتمد عليه في إخراجهم) لا يمثل إلا جزءاً من كتاب التمام كما ألفه ابن جني (٦٢) .

المجموعة السادسة :

« شرح أشعار الهذليين للسكري » ، وهي آخر ما ظهر من شعر الهذليين مطبوعاً ، وتقع في أجزاء ثلاثة ، وقد قام بتحقيقها الأستاذ عبد الستار أحمد فراج .

ويوحي عنوان هذه المجموعة أنها جميعها من شرح السكري ، وليكنها - في واقع الأمر - تشتمل على قصائد لبعض الشعراء المشهورين في هذيل . وهم : أبو كبير ، وساعدة بن جؤية ، وأبو خراش ، والمتنخل ، وأسامة بن الحارث .
وهؤلاء لم يعثر محقق المجموعة على شرح السكري لأشعارهم ، فاضطر إلى أن يسوق أشعارهم مصحوبة بشرح آخر لعالم مشهور من علماء اللغة ، وراوية من أهم روايتها ، وهو الأصمعي الذي كان أيضاً من زوادة الشعر الهذلي ، والمهتمين به ، وهذه الأشعار (أي أشعار أولئك الشعراء الخمسة) هي نفسها من رواية الأصمعي ، وكان قد تم نشرها سنة ١٩٣٣ على يد المستشرق يوسف هل كما سبق أن أشرنا .

ويشير الأستاذ المحقق في المقدمة إلى أنه آخر قصائد هؤلاء الشعراء الخمسة إلى آخر الكتاب ، ليكون ما عمله السكري متصلاً . وقد ذكر في

(٦١) سبقَت هذه الإشارة ص ١٦٩ من هذا المصل ، وانظر مقدمة كتاب التمام ص ٤

(٦٢) راجع نقد د . حسين نصار للكتاب (معال مشور « بالمجلة » عدد مارس ١٩٧٣ ، ص ٩٦)

شرح أشعارهم ما عثر عليه من ذلك منسوباً للسكري في كتب اللغة وغيرها .
ويذكر في هذه المقدمة أيضاً أن كثيراً من الباحثين الذين لم يقابلوا بين
ما أخرجته دار الكتب ، وبين مجموعات الشعر الهذلي التي سبق ظهورها
يحسبون أن ديوان الهذليين الصادر عن الدار كله من شرح السكري ، وأنه
يشتمل على جميع أشعار الهذليين كما يوحي بذلك ما جاء في مقدمة الجزء
الثالث من طبعة هذه الدار مما يوهم أن ما صدر عنها أوفى وأتم من جميع
ما سبق ظهوره . ثم يعقد موازنة بين ما أخرجته دار الكتب وبين شرح
أشعار الهذليين الذي قام بتحقيقه موضحاً ما وقع من خطأ أو نقص في
ديوان الهذليين الصادر عن الدار ، ويسوق في هذا الصدد الحقائق التالية :

- (١) جميع ما في الديوان طبعة الدار ليس بشرح السكري ، وأصله ثمانية
أقسام ، خمسة منها بشرح الأصمعي ، وثلاثة ملفقة .
- (٢) عدد القصائد والمقطوعات فيها : ١٧٠
وعدها فيما حققه ٣٨٠
- (٣) عدد من رويت لهم أشعار فيها : ٣٣
: وعددهم فيما حققه أكثر من : ١٢٠
- (٤) عدد الأبيات والمشطورات فيها : نحو ٢٣٠٠
وعدها فيما يحققه : نحو ٤٦٠٠
- وذلك عدا ما يذكر في أثناء شرح السكري من شواهد كثيرة .
- (٥) بعض الشعراء المذكورين في طبعة الدار لم تذكر لهم قصائد بأكملها ، أو
تذكر بعض القصائد ناقصة .

★ ★ ★

هذه أهم مجموعات الشعر الهذلي مخطوطة ومطبوعة ، وهي تعطينا
متعانة مجموعة ضخمة من الشعر الهذلي يمكن الاستفادة منها ، والاعتماد عليها
في كثير من الدراسات الأدبية واللغوية .

★ ★ ★

من شعرائهم :

تلك إشارة إلى أشعارهم ، وأهميتها ، ومصادرها . أما شعراؤهم فمنهم في الجاهلية : أبو قلابة ، وابن أخيه المتنخل ، وأبو ضب ، والأسود بن مرة ، وعروة بن مرة ، وخويلد بن وائلة بن مطحل ، ومعل بن خويلد ، وعمرو ذو الكلب ، وأخته جنوب ، وغيرهم .

ومن المخضرمين : أبو ذؤيب ، وأبو خراش وأبو كبير ، وساعدة بن جؤية ...

ومن الإسلاميين : البرقي ، وأبو صخر ، وأمّية بن أبي عائد ، وأبو العيال ، وبدر بن عامر ، وعبد الله بن أبي ثعلب ، ومسلم بن جندب ، وعبد الله بن مسلم بن جندب ، والقاسم بن معن بن عبد الرحمن ، وعون بن عبد الله بن عتبة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وغيرهم .

والخصائص الفنية لشعر هؤلاء الشعراء ليس موطنها هذا البحث ؛ ولهذا سأتمدها بالكتابة في غيره من الأبحاث .

★ ★ ★

(٢) حول اللهجة الهذلية

لا نعني بالحديث عن اللهجة الهذلية أن نتناول بالدراسة ما كانت تتسم به هذه اللهجة من خصائص وسمات كالظواهر الصوتية ، أو ظواهر النية والدلالة ، أو غيرها من الخصائص اللغوية واللهجية ؛ فهذه الدراسة ليس لها مكان في مثل هذا البحث ، وقد أفردنا لها بحثاً آخر أسميناه « لغة هذيل » .

فنحن حين نقصد الكلام حول هذه اللهجة في هذا المقام إنما نريد أن نتناولها تناولاً سريعاً يلم بها كالسياج من حولها ، فيكون أقرب إلى سمت هذا البحث الذي هو أقرب إلى التاربخ منه إلى اللغة .

اللهجة الهذلية أو - كما يسميها القدماء - لغة هذيل هي إحدى اللهجات التي كان لها منزلتها بين أخواتها من لهجات العرب ، فهي من أقرب اللهجات إلى قریش جواراً ونسباً ، وهي لهجة خالصة من الأوشاب ، بعيدة عن التأثير بلغات الأمم المجاورة في الشمال والجنوب ، في حين أننا نجد الأمر على غير هذا عند بعض القبائل الأخرى كلخم ، وجذام ، وقضاعة ، وعند المناذرة والغساسنة في جوارهم للفرس والروم ، وعند سكان جنوب الجزيرة العربية في جوارهم للأحباش .

ولهذا عدّ اللغويون لغة هذيل مصدراً من المصادر التي عنها يأخذون ، ومورداً من الموارد التي منها ينهلون . ومما ينقله في ذلك صاحب المزهري عن أبي نصر الفارابي . أن « الذين نقلت عنهم العربية ، وبهم اقتدي ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس ، وتميم وأسد... ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم » (٦٣) .

فهم قد ارتضوا هذيلاً إلى ما ارتضوه من هذه القبائل لفصاحتها وخلوص لغتها أو لهجتها .

وانظر أيضاً إلى قول صاحب العمدة : « أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات وهن ثلاث : الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، فأولها هذيل ، وهي التي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة بالسراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد... » (٦٤) .

ولفصاحة هذيل في نطقها استحَب عثمان رضي الله عنه في الجمع الثاني للقرآن أن يجعلوا الممي من هذيل والكاتب من ثقيف (٦٥) .

وقد جاء بصدد الكلام عن الأحرف السبعة أن القرآن نزل على سبع

(٦٣) السيوطي ، المزهري ١/ ١٢٨ .

(٦٤) ابن رشيقي ، العمدة (١/ ٥٥) .

(٦٥) المزهري ١/ ١٢٧ .

لغات ذكر بينها لغة هذيل^(٦٦).

ويسوق ابن الجزري أنها خمس لغات في أكناف سعد وثقيف وكنانة وهذيل وقريش . ولغتان على جميع ألسنة العرب^(٦٧).

وقد أعطى النحاة واللغويون هذه اللهجة شيئاً من عنايتهم يتصل أغلبها بعنايتهم بأشعار أصحابها ، أو قل إن هذه العناية وصلتنا مظاهرها من خلال العناية بهذه الأشعار .

فالنحاة تناولوها في شذرات منشورة في أبواب النحو عندما يشيرون إلى بعض ما خرجت فيه اللهجات عن قواعدهم وأقيستهم .

ومن ذلك قولهم - في معرض حروف الجر - إن متى يجربها في لغة هذيل كقولهم : « أخرجها متى كمة » . والنحاة يسوقون لذلك أيضاً شاهداً من شعر هذيل هو قول أبي ذؤيب :

تروّت بماء البحر ثم ترقعت متى لجج خضر لهن نئيع^(٦٨)
وشاهداً آخر من شعرهم هو قول ساعدة بن جؤية :

أخيل برقاً متى حاب له زجل

ويشيرون خلافاً حول معنى « متى » في بيت أبي ذؤيب فقبل إنها بمعنى « من » وقيل بمعنى وسط ، وقيل بمعنى « في »^(٦٩).

كما يشيرون هذا الخلاف نفسه في قول ساعدة فبقولون إن « متى » بمعنى « في » أو بمعنى « وسط »^(٧٠).

(٦٦) لسان العرب (حرف).

(٦٧) النشر ٢٤/١ .

(٦٨) ابن عقيل مع حاشية الحضري ٢٢٦/١ .

(٦٩) المغني ٢٠/٢ . الخزانة ١٩٣/٣ . المحصن ٦٩/١٢ .

(٧٠) المغني ٢٠/٢ .

وهي - كما نرى - تخرج في بعض هذه المعاني عن أن تكون حرفاً للجر .

ومن هذا القبيل ما يقوله النحاة بصدد الاسم الموصول «الذين» حين يقولون بأن نطقه بالواو لغة هذيل أو عقيل ويسوقون لذلك شاهداً هو قول الشاعر :

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم التّخيل غارة ملحاحا^(٧١)
وهذا شاهد ليس من شعر الهذليين ، بل هو منسوب إلى عقيلي هو «أبو خُرب بن الأعم» مع خلاف كثير ، ولكننا لسنا بصدد الإيغال في مناقشتهم في ذلك .

بل إنهم يوغلون فيقولون إن بعض هذيل يقولون «اللاءون» لجماعة الذكور رفعاً ، واللائين نصباً مستشهدين ببيت ينسبونه لشاعر هذلي ، هو قوله :

هُمُ اللّاءون فكوا الفل عني بهرو السابحات وهم جناحي^(٧٢)
ومن إشاراتهم هذه ما ينسبونه إلى هذيل من فتح العين في جمع بيضة ، وجوزة ، وعورة ، وروضة وأمثالها على بيّضات ، وجوّزات ، وعوّرات ، وروّضات بفتح عينه بدلاً من سكونها^(٧٣) .

ومع هذا فأمثال هذه الظواهر قليلة ، ومع قلتها نجد من المحدثين من ينكرها عليهم - لا سيما فيما يتصل بالإعراب - ويعدونّها من صناعة هؤلاء النحاة حين يشتد بينهم الجدل ويحاول كل فريق منهم أن يأتي بجديد في قواعد الإعراب ، مدعوماً بالشواهد المفتعلة ، ومنسوباً إلى لهجة من اللهجات .

(٧١) الأشموني ١٤٩/١

(٧٢) المفني ٥٧/٢ .

(٧٣) مختصر الشواد ص ١٠٣ . شرح المصل ٣٠/٥ .

التصريح على التصحيح ١٣٠١/٢ .

واللغويون (وأكثرهم من النحاة أنفسهم) نجدهم يتناولون من هذه اللهجة ما تناوله النحاة. ولكنهم يزدون على ذلك ما نجد في معاجمهم بشأنها عند الحديث عن المادة اللغوية، وما يندرج تحتها من ألفاظ تختلف معانيها باختلاف لهجات العرب، وهم يحصون - في هذا - هذيلًا بالكثير من العناية، وينصبّ أغلب كلامهم على الدلالة اللغوية، أي الدلالة المادية والمعنوية للألفاظ منسوبة إلى هذيل.

ونجد مثل هذا الاهتمام عند هؤلاء العلماء عندما يتجهون إلى تفسير غريب القرآن فهم يعرضون كثيراً من الألفاظ التي ينسبونها إلى هذيل، ويفسرون في ضوءها ما هم بصدد من الغريب.

ولكننا - مع ذلك - إذا استثنينا ما عساه أن يكون قد كتب عن اللهجة الهذلية قديماً، ولم يصلنا مثل كتاب «لغات هذيل» لعزير بن الفضل الهذلي - يمكننا القول بأن تناول هؤلاء العلماء من أسلافنا لهذه اللهجة إنما هو تناول جزئي، فهو - حتى مع التسليم بصحته جميعه - ليس مقصوداً به عقد دراسة خاصة بهذه اللهجة الهذلية؛ ولهذا كان من واجبنا أن نهتم نحن بمثل هذه الدراسة.

ودراسة هذه اللهجة الهذلية - شأنها شأن غيرها من اللهجات - يتطلب منهجاً سليماً يقوم على أسس علمية صحيحة.

فينبغي بادئ ذي بدء أن نعرف مواطن القبائل العربية، ونتتبع حركاتها وانتقالها، وظعنها وإقامتها، وتأثرها بغيرها وتأثيرها في سواها.

وهذه الدراسة تعتمد كذلك اعتماداً كبيراً على قراءة كتب التراث مخطوطة ومطبوعة كموسوعات اللغة ومعاجمها، وكتب النحو والأدب وما إليها من المراجع التي هي مظنة وجود نقول وروايات تتصل بهذه اللهجة.

ولكنها تعتمد قبل ذلك على دواوين شعر هذيل، فهي المصادر الأولى في هذه الدراسة، وإطالة النظر فيها تهدي إلى الشيء الكثير من سمات هذه اللهجة، وتبيء الوصول إلى خصائصها ومبزاتها، ومفرداتها التي ربما تكون

قد أغفلتها كتب اللغة والأدب وغيرها .

ولأن قراءات القرآن الكريم لها أهميتها في هذا الشأن ، يجب أن تعطى من العناية ما يناسب أهميتها ، ولا سيما قراءة عبد الله بن مسعود ، فله مصحفه وقراءاته التي تتراءى فيها لهجة قومه هذيل ؛ فقراءته وقراءة تلاميذه من قراء الكوفة لها أهمية خاصة في دراسة هذه اللهجة .

وإذا كان ما كتب قديماً في اللهجة الهذلية مثل كتاب « لغات هذيل » لعلي بن الفضل الهذلي قد فقد فيما ضاع من تراثنا كما سبقت الإشارة ، فإن هنالك ما قد يعوض هذا النقص ككتاب « اللغات في القرآن » لإسماعيل بن عمرو المقرئ ، ورسالة ما ورد في القرآن من لغات العرب لأبي القاسم بن سلام ، وما جمعه السيوطي في الإتيقان خاصاً بلهجات القبائل ممثلة في القرآن ، وكتاب « مميزات لغات العرب » لحفي ناصف . . .

هذا وينبغي عدم إغفال ما كتب حديثاً في اللغة واللهجات مثل كتاب « اللغة » لفندريس ، و « العربية » ليوهان فك ، و « فقه اللغة » للدكتور علي عبد الواحد ، وفي اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ، والأصوات اللغوية للمؤلف نفسه . . .

كذلك ينبغي تتبع الروايات التي تنبئنا أن بعض أسلافنا قد اتصل بهذيل نوعاً من الاتصال يمكن الاعتماد عليه في الوصول إلى شيء مفيد في مثل هذه الدراسة ، ومن ذلك ما طالعنا به ياقوت في معجم الأدباء من أن الشافعي مكث في بادية هذيل بضعة عشر عاماً ، وأنه حفظ أشعارها وتعلم لهجتها . فمثل هذه الرواية ينبغي أن تلفتنا إلى النظر في بعض تراث الشافعي ، والاطلاع على مؤلفاته لنرى مدى أثر هذه اللهجة في نطقه ، وما يمكن أن تقدمه لنا كتبه عن طريق عبارته وألفاظه ، لا سيما أن الإمام الشافعي قد أثر عنه بعض ما هو غير مألوف في الفصحى ، ولكن العلماء يعتبرونه حجة في ما نطق به ؛ لما هو معروف من فصاحته . وقد كتب بعض علماء اللغة كالأزهري صاحب التهذيب كتاباً في غرائب لغة هذا الإمام سماه « الزاهر » .

وقد يحس الناظر في كتب الشافعي توافقاً مع نطق هذيل لبعض الألفاظ «كالقران» بدلاً من القرآن، و«النسبة» في موضع النسبة... وهكذا.

ولعل الاهتمام بجمع المادة غير كاف في هذا مهما كان البذل في سبيله، فيجب ألا تؤخذ مأخذ التسليم، بل نضعها قيد الدراسة الفاحصة، حتى يتضح الصحيح من الزيف على أسس علمية دقيقة.

وكذلك ينبغي تتبع الروايات العامة التي تنسب بعض اللهجات إلى بيئة أكثر شمولاً من هذيل، كقول اللغويين: هذه لغة تهامة، وتلك لغة الحجاز، أو لغة العالية، أو لغة السراة.

فأمثال هذه الإشارات العامة يقضيها البحث أن نخصها بشيء من الدراسة المستأنية؛ حتى نعرف ما إذا كانت هذه - كلها أو بعضها - لهجة لهذيل هي الأخرى باعتبارها من القبائل الحجازية، أو لأن بعض بطون هذه القبيلة كان ينزل تهامة، وبعضها من مواطنه جبال السراة في جزء منها يسمى سراة هذيل كما عرفنا من خلال هذه الدراسة.

فهذا الوجه من وجوه البحث والدرس هو من ألزم الأمور لتمحيص هذه الروايات، وتخصيص ما تتسم به من عموم هو أقرب شيء إلى الإيهام والإيهام.

كذلك ينبغي ألا يقتصر الجهد على ما نص أصحاب المراجع على أنه لغة هذيل، بل يجب أن نحيل النظر في أفق أوسع من هذه الدائرة الضيقة، فننظر في الشواهد المستقاة من الشعر الهذلي، والتي أوردها علماء اللغة والنحو والصرف؛ لكي يؤيدوا بها دعواهم في أن هذه الكلمة أو تلك إنما هي لغة من لغات العرب دون أن ينصوا - هم أو غيرهم - على أنها لهجة لهذيل، أو غيرها من القبائل، ولكنهم ساقوا إلينا من هذه الشواهد قدراً كبيراً، لا يمكن أن يمر بنا دون درس وتمحيص، فقد نصل من وراء ذلك إلى أن كثيراً من هذه الألفاظ لهجة لهذه القبيلة مع غيرها من اللهجات

الحجازية ، أو لهجات بعض جيرانها من القبائل الأخرى ، وقد نجد لها لهجة
لهذيل وحدها من دون أخواتها الحجازيات ، وإن لم ينسبها اللغويون إليها
مكتفين بإيراد الشواهد من الشعر الهذلي مع غيره حيناً ، ومن الشعر الهذلي
وحده في كثير من الأحيان .

ويجب أن ننتبه إلى تأثير البيئة ؛ فهذه القبيلة مع كونها حجازية ، لا
نستطيع أن ننسب إليها كل ما ننسبه إلى الحجازيين ، فهم إذا كانوا في كثير
من الأمر يتبعون أصلهم الحجازي ، فإنهم مع هذا - بحكم موقعهم وجيرانهم -
يجمعون بين خصائص البدو في وسط الجزيرة ، وخصائص إخوانهم من
الحجازيين ، وإن كانوا أقرب ميلاً إلى أصلهم الحجازي في كثير من
الظواهر اللغوية .

ولنضرب لذلك مثلاً إحدى ظواهر اللغة كالإدغام والإظهار ، فإن
الإدغام مثل شُدَّ ورُدَّ ، ولم يشدَّ ، ولم يردَّ ، هو في عمومته من سمات القبائل
البدوية التي قد يصعب عليها النطق بالحروف المتجاورة إذا كانت متماثلة
أو متقاربة ، فنجد عندهم اختلاطاً وتداخلاً في نطقها .

وقد أدرك قدامى اللغويين ذلك ، فذكروا أن وجه الإدغام هو
التخفيف ، وأنه ثقل الالتقاء بين المتجانسين على ألسنتهم ؛ فعمدوا
بالإدغام إلى ضرب من الخفة « (٧٤) » .

كما ذكروا في إدغام الحرفين المتقاربين أن سببه تقريب الأصوات
بعضها من بعض « (٧٥) » .

وهذا كلام نجد مصداقه عند البدو غالباً ، أمثال الحجازيين أو
بعضهم ، فمن شأنهم نطق الألفاظ في أناة ، وتمييز الحروف بعضها من بعض
تمييزاً يتسنى معه الإظهار ، وفصل الحروف . ولهذا فإن من نسب الإظهار

(٧٤) ابن يعيش ، شرح المصل ١٠/١٢١ .

(٧٥) المرجع السابق ١٠/١٢٤ .

إلى قريش هو أكثر دقة من نسبه إلى الحجازيين جميعاً ، لأن قريشاً قبيلة حضرية ، أما غيرها من قبائل الحجاز فأكثرهم من البدو .

والهذليون - وهذا بيت القصيد في الموضوع - يجمعون أحياناً بين خصائص البدو في وسط الجزيرة ، وإن كانوا أقرب ميلاً إلى الإظهار في المضعف ، وهذا يتفق وطبيعتهم الحجازية . ولكنهم حين يجمعون بين ظاهرتين متضادتين هكذا ، فإنما يكون ذلك راجعاً إلى وضعهم الذي أشرنا إليه .

وهكذا كلما رأينا ظاهرتين مختلفتين في نطق بعض الألفاظ عند بعض البطون الهذلية تكون إحداها أشبه بالبدو من قيس وأسد ومن إليهما ، والأخرى أنسب للحضرين كقريش - كان واجبنا أن ننظر إلى ذلك نظرة قائمة على أساس سليم ، وأن نعرف أن ناموس التأثير والتأثر لا يمكن إهماله ، فهذيل ببطونها المترامية تقع قريباً من الحضر الحجازي من جهة ، والبدو في وسط الجزيرة من جهة أخرى . فهي إذن في طبيعتها وطريقة نطقها حلقة وسطى بين الحضر من الحجازيين ، وبين البدو الموغلين في البداوة من الأعراب الضاربين بجرانهم في وسط الجزيرة العربية .

ولو قد أدرك القدامى من علمائنا هذه الحقيقة لحلت أمامهم مشكلات كثيرة .

وإذا كنا نهتم بالبيئة وأثرها ، فيجب ألا نعني بذلك البيئة الطبيعية وحدها ، فإن هذا قد يبعد بنا عن الجادة ، فالبيئة المعنوية هي الأخرى لها أثرها الذي لا يمكن جحده وإنكاره ، فقد نجد مثلاً عند قراء الكوفة اتجاهاً لهجياً خاصاً بهذيل ، نقلته إليهم قراءة ابن مسعود التي كانوا يعتزون بها اعتزازاً كبيراً - فنرى بعض الباحثين من المحدثين يعزو ذلك إلى البيئة الكوفية التي ينتشر فيها بنو أسد وينو تميم ويقول إن معظم القراء قد تأثروا ببيئتهم^(٧٦) . ونحن لا نناري أصلاً في تأثير البيئة الطبيعية في

(٧٦) د . أنبس ، في اللهجات العرصة ص ٥٢ .

أصحابها . ولكن أغلب الظن أن القراء ، بما يلتزمون من تحفظ في الأداء ، واحتياط فيما يتصل بقراءات القرآن الكريم ، يكونون بيئة معنوية خاصة لها تأثير كبير في نفوسهم ، ويؤيد هذا ما قيل بحق من أن القراءة سنة متبعة .

وإذا كنا نضع في اعتبارنا أثر البيئة - مادية ومعنوية - في أصحابها ، ونعطي قانون التأثير والتأثر حقه من الاهتمام - فإنه ينبغي لنا أيضاً ألا نغفل ناموس التطور الذي هو ظاهرة واضحة في الحياة ، تقتضيها طبائع الأشياء ، فنحن نجد مثلاً أن علماء اللغة يكادون يُجمعون على أن الفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد^(٧٧) ، والمحدثون يتبعون القدامى في هذا التقسيم الذي هو في حاجة إلى كثير من الدقة والتحديد ، ومع هذا نستطيع في ضوئه أن نقول من حيث المبدأ بأن الإمالة من خصائص البدو ، والفتح من سمات الحضرة .

وإذا اعتبرنا الإمالة مرحلة وسطاً من مراحل التطور في اللهجات العربية كما يقول علماء الأصوات تأسيساً على القوانين الصوتية في مختلف اللغات ، وعلى المشاهدة الحسية في اللهجات العامية التي يسمونها باللهجات الحديثة ، وما نجده لدى القدامى من لمحات مشرقة في كثير من الأحيان ، منها ما يشير إلى أن الياء كانت طوراً سابقاً على الألف^(٧٨) ، فكانت بداية طيبة لما وصل إليه المحدثون من نتائج - فإنه من المعقول جداً أن تكون قبيلة حضرية كقريش قد وصلت إلى المرحلة الأخيرة من مراحل هذا التطور ، وهي « الفتح » ، وأن الإمالة قد تكون معدومة عند هذه القبيلة ، موجودة في قلة عند بعض القبائل البدوية ، ولو كانت حجازية كبي سعد وهذيل ، فاشية في كثير من القبائل الأخرى كلما توغلنا شرقاً في قبائل أسد وقيس وقيم ...

(٧٧) الإتيان ٩١/١ . شرح الشافية ٤/٣ .

(٧٨) المرجع الأخير ١١/٣ .

ويمكن الاستدلال على أن الإمالة كانت طوراً سابقاً على الفتح بما سبق ذكره من أن الإمالة كانت شائعة في البيئات البدوية التي هي أكثر محافظة على القديم ، واستعصاء على التطور السريع في النطق وغيره من مظاهر الحياة .

ففي ضوء ناموس التطور نستطيع أن نقول بأن الإمالة كانت طوراً سابقاً للفتح في اللغة العربية . وليس المحدثون هم الذين ينفردون بهذا القول بل سبقهم إليه بعض قدمائنا فيما لمسناء لديهم من لمحات كانت - كما أشرنا - أساساً لهؤلاء المحدثين في أبحاثهم ، ومن ذلك ما رواه الرضي في شرح الشافية نقلاً عن كتاب سبويه « وكره بعض العرب إمالة نحو رجي ؛ لكراهة أن يصيروا إلى ما فروا منه ، يعني أنهم قلبوا الياء ألفاً أولاً ، فلم يقلبوا الألف ياء بعد ذلك » (٧٩) .

ومعنى ذلك أننا انتهينا إلى الألف بصورة واضحة في البيئات الحضرية من غرب الجزيرة العربية ، وبقيت الإمالة شائعة بين القبائل الموغلة في البداوة في وسط الجزيرة ، وفي شرقيها ، وكان منها اثارة في بعض القبائل البدوية الحجازية كبني سعد وهذيل .

وعلى هذه الأسس نستطيع أن نصحح بعض المفاهيم التي أخطأ فيها أسلافنا على ما لهم علينا ، وعلى التراث العربي كله من فضل .

فهم مثلاً عندما وجدوا صيغة كصبغة المقصور مضافاً إلى ياء المتكلم مثل عصاي ، فتاي ، بشراي . . . واستقامت لهم هذه الصيغة في اللغة الفصحى ، ثم اصطدموا بعد ذلك بما يخالف هذا الاتجاه كأن وجدوا عصي بدلاً من عصاي ، وفقي بدلاً من فتاي ، وبشري بدلاً من بشراي . . . وذلك في لهجة قبيلة كهذيل نراهم يقولون إن الألف في هذه اللهجة قد انقلبت إلى الياء . وهم يريدون بذلك أن يردوها في يسر إلى الصيغة التي ألفوها . ولكن قولهم هكذا يخالف كل المخالفة ما أشرنا إليه من قول سبويه

(٧٩) شرح الشافية ١١/٢ الكتاب ٢٦٣/٢ .

بصدد الإمالة : « وكره بعض العرب إمالة نحو رمي لكرامة ان يصيروا إلى ما فروا منه ، يعني أنهم قلبوا الياء ألفاً أولاً ، فلم يقلبوا الألف ياء بعد ذلك » . فالقول إذن بأن الألف قلبت ياء عند هذيل قد يوهم أن الألف هي الأصل القديم ، والياء تطور لها ، والحق أن العكس هو الصحيح ، فالأصل هو وجود الواو والياء في كثير من الكلمات قبل ان تتطور كل منهما إلى الألف ، ومن ذلك قولهم « أفَعَوْ » يريدون أفَعَى ، و« قَفَى » يريدون قَفَا^(٨٠) . ولا شك أن هذا هو الطور الأول من أطوار النطق في مثل اللفظ الذي تطور في اللهجة القرشية إلى الألف فصار « أفعى وقفا » ولكنه وقف عند كثير من القبائل البدوية لم يتطور ، فعصا كانت تنطق عندهم « عَصُو » وهَدَى : هَدَى ، وبَشَرَى : بَشَرَى وهكذا .

وعند الإضافة إلى ياء المتكلم كان لا بد إذن من أن تدغم الياء في الياء في مثل بَشَرَى فتصير بَشَرَى . وأن تقلب الواو في (عَصُو) لما قالوا به هم أنفسهم من اجتماع الواو والياء في كلمة وسبق إحداهما بالسكون ، ثم تدغم الياء في الياء .

وهذا هو التعليل الصحيح لهذه الظاهرة اللغوية .

ومن أمثال هذا التساهل عندهم أحياناً أنهم عندما رأوا ابن مسعود يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَنَادَا يَا مَالِكُ ﴾ : « يا مَالُ » بالترخيم - يروي الرواة ، واهمين ، أن ابن عباس لم يُسْغ هذه القراءة تأسيساً على أن أهل النار سيكونون في شغل شاغل عن هذا الترخيم^(٨١) ، وأغلب الظن أن هذا القول مدسوس عليه ، أو هو وهم من الرواة كما أشرنا ، ولو صحّت نسبته إليه لما كان الحق في جانبه ، لأن هذه لهجة عربية ، وقراءة من القراءات يقرؤها ابن مسعود ، وهي لهجة قومه ، فلا شأن لها بأهل النار ، وما سيكونون فيه . وإذا كان قد نسب إلى ابن عباس - خطأ أو عمداً - عدم استحسان

(٨٠) خزاعة الأدب (السلفية) ٣٢٦/٤ .

(٨١) مختصر الشواد ص ١٣٦ .

الترخيم في هذا الموطن ، فقد حسّنه ابن جني ، وذكر أن علة ذلك هي ضعف أهل النار عن إتمام الاسم^(٨٢) . وهذا التعليل هو الآخر تعليل متكلف كسابقه . ويعلق الطيبي على كلام ابن جني بأن هذا اعتذار منه لقراءة ابن مسعود حيث ردها ابن عباس بقوله : « ما أشغل أهل النار عن الترخيم » .

والحق انه لا وجه لهذا الجدل ، ولا لذلك الاعتراض ، ولا هذا الاعتذار ، فإنما هي لهجة لهذيل كما ذكرنا .

ولا نريد أن نسترسل في ذلك فليست الإطالة فيه من مطالب هذا البحث ولكننا نريد أن نقول إن مثل هذا الذي نجده ليس مقصوراً على أسلافنا بل نجده حتى عند المحدثين الذين توفرت لديهم إمكانيات البحث وعدته ، وذلك حين ينظرون نظرة سطحية إلى بعض ظواهر اللغة . وذلك ما فعله المستشرق الإنجليزي «Rabin»^(٨٣) حينما وجد أن هذيلًا تقول في الجواب « نعيم » بكسر العين بدلاً من فتحها ، فإنه يادر إلى القول بأن لهجة هذيل لم يصبها شيء من الميل الشرقي إلى تجانس الأصوات ، وربما دفعه إلى ذلك أن هذيلًا من قبائل غرب الجزيرة التي سبق له أن قال بأن الاحتفاظ بهذه الصيغة فيها هو انعدام الميل إلى التناسق الصوتي^(٨٤) .

والواقع ان هذيلًا ، وإن كانت قبيلة حجازية ، فهي بدوية تجاور في بعض بطونها قبائل وسط الجزيرة . وهذا - كما سبق أن أشرنا قد جعلها شيئاً وسطاً بين القبائل الغربية أو الحجازية ، وبين غيرها ممن كانوا ينزلون في وسط الجزيرة أو شرقها ، فإذا كان (راهن) يريد بتناسق الأصوات انسجام الحركات في الكلمة الواحدة ، فكيف يمكن أن يقول مع هذا بأن هذيلًا لم يصبها منه شيء مع أنه يوجد في لهجات الحجازيين شيء من هذا الانسجام في مثل «عُنق» بضم العين والنون بدلاً من «عُنق» بسكون النون عند تميم . وكذلك «براء» بفتح الباء والراء بدلاً من بريء...

(٨٢) المصنف ١٨٦/٢ .

(٨٣) Ancient West Arabia. p. 79.

(٨٤) Ancient West Arabia. p. 13.

وقد تنبه اللغويون والنحاة إلى أن ضم النون في لهجة الحجاز إنما هو للاتباع^(٨٥)، وهذا الاتباع . في حقيقته هو الانسجام الذي يعنيه (راين) ، ويقصده سائر المحدثين .

وإننا لنلمس هذا الانسجام الصوتي عند هذيل في توالي الضمتين في مثل نُجْدٌ وَعُمْدٌ... ، وتوالي الكسرتين في مثل « نِعمات » بكسر العين ، وقد تنبه القدامى الى ذلك فقالوا إن الاتباع فيه لأهل الحجاز^(٨٦) ، كما ورد في مثل « ابن » بكسر الباء بدلاً من « ابن » بسكونها ، وقد ذكر ذلك (راين)^(٨٧) نفسه في كتابه .



فكما عرفنا أن الدراسة الجزئية للظواهر اللغوية لا تؤدي بنا إلى نتائج كلية ، فكذلك وجدنا أن الدراسة السطحية التي لا تعتمد على منهج سليم لا تسلمنا إلى حكم صحيح .

فالجمع بين الأشباه والنظائر ، وإلقاء الضوء على الساحة كلها ، وإعمال الفكر استنتاجاً واستنباطاً في ظل القوانين والنواميس هو الاتجاه الأمثل في مثل هذه الدراسة .



وبعد ، فلعلنا قد وفينا الآن هذه القبلة حقها من الدرس في حدود القدرة والطاقة . وأسأل الله سبحانه أن يمنحني من عونه وتوفيقه ما يساعدني على مواصلة البحث إنه خير مسؤول ! .

(٨٥) العدوى ، فتح الخليل ص ٦٩ .

(٨٦) ابن سيده المحكم « على » ١٢٩/٢

(٨٧) Ancient West Arabia. p 80

أهم مراجع الكتاب

- (١) الآمدي المؤلف والمختلف (تحقيق عبد الستار فراج).
- (٢) إبراهيم أنيس (دكتور) في اللهجات العربية الطبعة الثانية ١٩٥٨ .
- (٣) إبراهيم رفعت مرآة الحرمين الطبعة الأولى . دار الكتب .
- (٤) الأبيهي المستطرف مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- (٥) ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٢٨٦ هـ .
- (٦) ابن الأثير المثل السائر ١٢٨٦ هـ .
- (٧) ابن البتاني الجزائري
- (٨) ابن بليهد النجدي صحيح الأخبار (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) ١٩٥٠ م .
- (٩) ابن الجزري النشر في القراءات العشر طبع مصر .
- (١٠) ابن جني التام في تفسير أشعار هذيل ، طبع بغداد .
- (١١) الحصائص ، طبع دار الكتب .
- (١٢) سر صناعة الإعراب ، طبع الحلبي (مصر) .
- (١٣) المحتسب في شواذ القراءات مخطوط (دار الكتب) قراءات ٢٥٢ .
- (١٤) المنصف (شرح كتاب التصريف) ، ط الحلبي . مصر .
- (١٥) ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ، ط . مصطفى محمد بالقاهرة . ١٩٣٩ م .
- (١٦) ابن حجر تعجيل المنفعة ، طبع حيدر آباد .
- (١٧) ابن حزم جهرة أنساب العرب (نشر وتحقيق) ليثي بروثسال .
- (١٨) ابن خالويه مختصر الشواذ (نشر برجستراسر) مصر ١٩٣٤ م .

- (١٩) ابن خلدون المقدمة ، المطبعة الأميرية ، بولاق مصر .
- (٢٠) تاريخه ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر .
- (٢١) ابن خلكان وفيات الأعيان ، ط . سنة ١٩٤٨ م .
- (٢٢) ابن رشيق العمدة في صناعة الشعر ونقده الطبعة الأولى ١٩٠٧ م .
- (٢٣) ابن سعد الطبقات الكبرى (ط ليدن) .
- (٢٤) ابن سلام طبقات الشعراء ، بيروت ١٩١٢ م .
- (٢٥) ابن سيده المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (تحقيق عبد الستار فراج) ١٩٥٨ م .
- (٢٦) ابن سيده الخصاص ، الطبعة الأولى ، بولاق . مصر .
- (٢٧) ابن عبد الحكم فتوح مصر ، طبع ليدن .
- (٢٨) ابن عبد ربه العقد الفريد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر . مصر .
- (٢٩) ابن عقيل شرح الألفية (مع حاشية الحضري) ١٩٤٠ م .
- (٣٠) ابن العماد الجنبلي شذرات الذهب . منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت
- (٣١) ابن فارس الصاحي في فقه اللغة ، القاهرة ١٩١٠ م .
- (٣٢) ابن فضل الله العمري مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار ، طبع دار الكتب . مصر .
- (٣٣) ابن قتيبة الشعر والشعراء الطبعة الأولى .
- (٣٤) ابن الكلبي الأصنام ، طبع دار الكتب . مصر .
- (٣٥) ابن الجاور صفة بلاد السمن ومكة وبعض الحجاز ، طبع ليدن ١٩٥١ م .
- (٣٦) ابن منظور لسان العرب ، طبع بولاق . مصر .
- (٣٧) ابن هشام الأنصاري مغني اللبيب ، الطبعة الأولى .
- (٣٨) ابن هشام (المعافري) السيرة النبوية ، الطبعة الأولى .
- (٣٩) ابن يعيش (شرح المفصل) المطبعة المنيرية بالقاهرة .
- (٤٠) أبو حنيفة الدينوري الأحبار الطوال الطبعة الأولى (ط . السعادة بمصر) .
- (٤١) أبو زيد القرشي جهرة أشعار العرب ، الطبعة الأولى .
- (٤٢) أبو سعيد السكري شرح أشعار الهذليين (تحقيق عبد الستار فراج) .

- (٤٣) شرح بقية أشعار الهذليين طبع برلين ١٨٨٤ م.
- (٤٤) شرح ديوان أبي نؤيب مخطوط ١٩ أدب إ.ش. دار الكتب.
- (٤٥) أبو الفرج الأصفهاني الأغاني (سأى)
- (٤٦) أبو القاسم بن سلام رسالة ما ورد في القرآن من لغات القبائل (هامش الحلالين). الطبعة الثالثة ١٩٥٤ م.
- (٤٧) أحمد أمين فخر الإسلام (الطبعة السابعة) لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- (٤٨) أحمد بن المنير الاسكندري الانتصاف (هامش الكشف) ١٩٤٨ م.
- (٤٩) الإدفعوي: الطالع السعيد (تحقيق سعد محمد حسن) ١٩٦٦ م.
- (٥٠) الأزهرى التهذيب (مخطوط) دار الكتب رقم ٩ لغة.
- (٥١) الأزهرى الزاهر في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي، مخطوط دار الكتب ٣٥١ لغة.
- (٥٢) إسماعيل بن عمرو المقرئ الإصطخري: رواية ديوان الهذليين، ط. دار الكتب. القاهرة.
- (٥٣) الأصمعي كتاب أسماء الوحوش وصفاتها (ط. فيينا) ١٨٨٨ م.
- (٥٤) الأصمعي النبات مخطوط دار الكتب ٦ محاميع ش.
- (٥٥) الأصمعي بلوغ الأرب في أحوال العرب، طبع بغداد.
- (٥٦) الألوسي الرحلة الحجازية، الطبعة الثانية.
- (٥٧) الببتانوي خزانة الأدب، طبع بولاق، وط. السلفية.
- (٥٨) البغدادي فتوح البلدان (الطبعة الأولى)، مصر ١٩٠١ م.
- (٥٩) البلاذري البيان والتبيين الطبعة الرابعة. الاستقامة بالقاهرة.
- (٦٠) الجاحظ جلال الدين السيوطي الإقتان في علوم القرآن، الطبعة الثانية ١٩٢٥ م.
- (٦١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الطبعة الأولى.
- (٦٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط. صبيح

- بالأزهر . مصر .
 لب اللباب في تحرير الأساب . مخطوط
 دار الكتب . مصر .
- (٦٥)
- (٦٦) جمال الدين بن
 ظهيرة القرشي
 الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف .
 ط . عيسى الحلبي ١٩٣٨ م .
- (٦٧) جواد علي
 (دكتور)
 تاريخ العرب قبل الإسلام طبع بغداد ١٩٥١ م .
 مميزات لغات العرب . الطبعة الثانية (السعادة بمصر) .
 حاشيته على شرح ابن عقيل ١٩٤٠ م .
 تحريد أسماء الصحابة (طبع الهد) .
- (٦٨) حفي ناصف
 (٦٩) الحضري
 (٧٠) الذهبي
 (٧١) رضي الدين
 الاسترابادي
 (٧٢) الزبيدي
 (٧٣) الزبيدي
 شرح شافية ابن الحاجب (مطبعة حجازي بالقاهرة)
 تاج العروس ، القاهرة ١٢٨٦ .
 طبقات النحويين واللغويين (تحقيق محمد
 أبو الفضل) ط . الأولى .
 أساس البلاغة الطبعة الأولى ١٩٥٣ م
 الحبال والأمكنة والمياه طبع ليدن ١٨٥٥ م .
 أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (دار الفكر بدمشق) .
 الروض الأنف ، مطبعة الجمالية بمصر ١٩١٤ م .
 سبائك الذهب طبع النحف .
 الكتاب (الطبعة الأولى) بولاق .
 تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة الأولى .
- (٧٤) الزمخشري :
 (٧٥)
 (٧٦) سعيد الأفغاني
 (٧٧) السهيلي
 (٧٨) السويدي
 (٧٩) سيويه
 (٨٠) الطبري
 (٨١) عريب بن سعد
 القرطبي
 (٨٢) علي عبد الواحد
 (دكتور) .
 (٨٣) علي مبارك
 (٨٤) عمر رضا كحالة
 (دكتور)
- معجم قسائل العرب القديمة

- والحديثة ، ط . دمشق ١٩٤٩ م .
- ٨٥ (فؤاد حزة) قلب الجزيرة العربية (المطبعة السلفية . مصر) ١٩٢٣ .
- ٨٦ (القفطي) إنباه الرواة على ألباه النحاة ، طبع دار الكتب .
- ٨٧ (القلقشندي) نهاية الأرب في أنساب العرب (تحقيق الأرباري) الطبعة الأولى .
- ٨٨ (المبرد) نسب عدنان وقحطان (لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
- ٨٩ (المسعودي) مروج الذهب (طبعة قديمة) مكتبة جامعة القاهرة .
- ٩٠ (مصطفى صادق الرافعي) تاريخ آداب العرب (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) .
- ٩١ (المقرئزي) البيان والإعراب عن حل بأرض مصر من الأعراب . الطبعة الأولى ١٩٦١ م .
- ٩٢ (الهمداني) صفة جزيرة العرب (نشر محمد بن بليهد النجدي) ١٩٥٣ م .
- ٩٣ (ياقوت : معجم الأدباء (نشر مرجليوث) ١٩٢٢ م .
- ٩٤ (ياقوت : معجم البلدان (الطبعة الأولى) ط . السعادة بمصر .
- ٩٥ (ياقوت : المختضب من جمهرة أنساب العرب (مخطوط) دار الكتب ، ١٠٥ تاريخ .

الفهرس

٥ تقديم
---	-------------

الفصل الأول

أصل هذيل ونسبها وبطونها

١٣ أصلها ونسبها
١٧ بطونها كما يصورها الشعر
٢٢ بطونها في المراجع الأخرى
٢٣ لحيان
٢٤ بطون لحيان
٢٦ سعد بن هذيل
٣٥ هذيل والمراجع الحديثة
٣٧ نظرة ناقدة

الفصل الثاني

منازل هذيل ومواطنها

٥١ أولاً: منازل هذيل في الجاهلية
٥٢ السراة
٥٩ تهامة
٧٠ ثانياً: مواطن هذيل في الإسلام
٧٢ مكة والمدينة

٧٤ الهذليون في العراق
٧٥ الكوفة
٧٨ البصرة
٧٩ بغداد
٨٠ الهذليون في المغرب
٨٣ الهذليون في مصر

الفصل الثالث

حياة الهذليين

(١) حياتهم في الجاهلية:

الحياة المادية:

٩١ الرعي
٩٧ الصيد والطرْد
٩٩ شيء من الزراعة
١٠١ اختيار العسل
١٠٣ الغارة والسطو
١٠٦ وقائعهم وأيامهم

من غارات هذيل على غيرها

١١٠ غارات للكسب
١١٣ غارات للثأر

من غارات غيرها عليها

١١٦ أيام في إطار القبلة
-----	---------------------------

الحياة الاجتماعية:

المقراء	١١٨
الأغنياء	١١٩
السادة	١٢٢
الموالاة والجوار	١٢٤
صفاتها وعاداتها	١٢٦
الشجاعة والنجدة	١٢٧
الكرم	١٢٨
وأد البنات	١٣٠
الخمر	١٣٤
عادتها في التشاؤم	١٣٦
اللطم بالنمل	١٣٦

الحياة الروحية:

أصنامها	١٣٨
طقوسها	١٣٩

(٢) وضعهم في الإسلام:

المشاركة في الجهاد	١٤٢
المشاركة في الجانب السياسي	١٤٤
المشاركة في العلوم الدينية واللسانية	١٤٧
في علم الحديث وروايته	١٤٧
العلماء في القراءات	١٤٧
العلماء في الفقه	١٤٧
علماء اللغة والنحو	١٤٨
علماء الأنساب والأخبار	١٤٩
علماء التاريخ	١٤٩

الفصل الرابع أدب الهذليين

١٥٣ النثر
١٥٤ من سجع الكهان
١٥٤ أصبل
١٥٥ قصر الجمل
١٥٥ أبو ذؤيب
١٥٧ ابن مسعود
١٦٠ أبو صخر
١٦٢ الشعر
١٦٢ كثرة شعر الهذليين وشعرائهم
١٦٤ أهمية هذا الشعر ، واعتداد العلماء به ، واعتقادهم عليه
١٦٧ مجموعات هذا الشعر
١٦٨ مخطوط الشنقيطي
١٦٨ مخطوط لبدن
١٦٩ مخطوط باريس
١٦٩ شرح ديوان هذيل لابن جني (التام)
١٧٠ ديوان أبي ذؤيب وشرحه
١٧١ المطبوعات :
١٧١ المجموعة الأولى
١٧١ المجموعة الثانية
١٧٢ المجموعة الثالثة
١٧٢ المجموعة الرابعة
١٧٢ المجموعة الخامسة
١٧٣ المجموعة السادسة
١٧٥ من شعرائهم
١٧٥ حول اللهجة الهذلية

انتهى طبع هذا الكتاب
في شعبان ١٤٠٢ / جوان ١٩٨٢ بمطبعة
الشركة التونسية لفنون الرسم
٢٠ نهج المنجى سليم - تونس
تحت عدد ٨٢ / ٩٨ الايداع القانوني
الثلاثة الاشهر الثانية لـ ١٩٨٢